القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الأسبوعي
Weekly
www.alquds.co.uk
السنة الخامسة والثلاثون العدد 10977 الأحد 7 أيار (مايو) 2023 – 17 شوال 1444 هـ
Volume 35 - Issue 10977 Sunday 7 May 2023

تركيا:
انتخابات رئاسية مصيرية

زاخو العراقية:
عروس أعالي كردستان

هل تعمد ميسي شراء عداء باريس وجماهيره؟

السودان: مباحثات بين الجيش والدعم السريع
02

حوار: السياسي الجزائري عبد الرزاق مقري
16

حريات: «شيطنة» اللاجئين السوريين في لبنان
18

الأسير الفلسطيني والزنزانة الفاشية

قضى الشهيد الفلسطيني خضر عدنان في سجون الاحتلال بعد 87 يوماً من الإضراب عن الطعام وإصرار سلطات السجون الإسرائيلية على حرمانه من العلاج في مستشفى ملائم، بما يرقى إلى جريمة إعدام صريحة أضيفت إلى عشرات الجرائم الفاشية التي يواصل الاحتلال ارتكابها في سائر أرجاء فلسطين. وإذا كانت الواقعة غير غريبة عن سجلّ الاحتلال الشائن في معاملة آلاف الأسرى الفلسطينيين، وبينهم نساء وأطفال، فإنّ استمرار دولة الاحتلال في الإفلات من المحاسبة يبقى وصمة عار تفضح أصدقاء الاحتلال الذين يتشدقون بالقانون الدولي والعدالة وحقوق الإنسان.

(حدث الأسبوع 8 ـ 15)

تتويج تشارلز الثالث: مصائر مملكة

Price List
الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

السودان: انطلاق مباحثات غير مباشرة بين الجيش وقوات الدعم السريع برعاية أمريكية سعودية

راح ضحية المعارك أكثر من 500 قتيل و5 آلاف جريح من المدنيين، ويقدر عدد الفارين من القتال بنحو 330 ألف نازح وأكثر من 100 ألف لاجئ.

الخرطوم ـ «القدس العربي»: ميعاد مبارك

بعد ثلاثة أسابيع من المعارك العنيفة، بدأ الجيش السوداني وقوات الدعم السريع، أمس السبت، مفاوضات غير مباشرة، تستضيفها مدينة جدة، بمبادرة أمريكية سعودية، هي الأولى من نوعها منذ اندلاع القتال بين الجانبين.

وراح ضحية المعارك، التي تتخذ من شوارع العاصمة السودانية الخرطوم ومدن أخرى، ساحة لها، منذ منتصف نيسان/ابريل الماضي، أكثر من 500 قتيل و5 آلاف جريح من المدنيين، وفق الإحصاءات الأولية لوزارة الصحة السودانية، بينما لحقت أضرار فادحة بالبنية التحتية للعاصمة ومنشآتها الرئيسية، ويقدر عدد الفارين من القتال بنحو 330 ألف نازح وأكثر من 100 ألف لاجئ حسب مفوضية شؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة.

وقال الجيش السوداني أن وفده المفاوض وصل الجمعة إلى جدة في إطار المبادرة السعودية الأمريكية التي تم طرحها منذ بداية الأزمة، لافتا إلى أن الغرض من المفاوضات ذات الطابع غير المباشر، مناقشة التفاصيل الخاصة بالهدنة التي يجري تجديدها، بغرض تأمين وتهيئة الظروف المناسبة للتعامل مع الجوانب الإنسانية لمواطنينا في ظل الأوضاع الراهنة.

ووفق تصريحات لمبعوث رئيس مجلس السيادة السوداني، السفير دفع الله الحاج، ستقتصر المفاوضات على مناقشة الشأن الإنساني، مشددا على عدم قبول الجيش أي مقترحات للتسوية مع قوات الدعم السريع، وأنّ أولوية الجيش هي حسم المعركة.

فيما أكد الدعم السريع، التزامه بوقف إطلاق النار وتمديد الهدنة المعلنة بين الجانبين لمدة 72 ساعة إضافية، استجابة لوساطة أمريكية سعودية، من أجل فتح الممرات الإنسانية وتسهيل حركة المواطنين والمقيمين وتمكينهم من قضاء احتياجاتهم والوصول إلى مناطق آمنة.

ويمثل الجيش في المفاوضات ثلاثة عسكريين ودبلوماسي، مقابل ثلاثة من قادة قوات الدعم السريع ومختص في الشأن الإنساني.

وفي بيان مشترك، رحبت المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية ببدء المحادثات الأولية بين ممثلي القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع في مدينة جدة، داعية كلا الطرفين إلى استشعار مسؤولياتهما تجاه الشعب السوداني والانخراط الجاد في هذه المحادثات.

وتهدف المفاوضات، إلى رسم خريطة طريق لوقف العمليات العسكرية والتأكيد على إنهاء الصراع وتجنيب الشعب التعرض للمزيد من المعاناة وضمان وصول المساعدات الإنسانية للمناطق المتضررة.

ونوهت واشنطن والرياض إلى جهود العديد من الدول والمنظمات التي أبدت تأييدها لعقد هذه المباحثات بما في ذلك مجموعة دول الوساطة الرباعية وجامعة الدول العربية والآلية الدولية الثلاثية المكونة من الأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي وإيغاد.

وحثت على استمرار بذل الجهود الدولية المنسقة لمفاوضات واسعة تشارك فيها كل الأحزاب السودانية.

وفي سياق متصل، قالت وكالة الأنباء السعودية أن وزير الخارجية السعودي الأمير فيصل بن فرحان، تلقى الجمعة اتصالاً هاتفياً من نظيره الأمريكي أنتوني بلينكن، بحثا خلاله الأحداث في السودان. فيما أكد الجانبان على أهمية وقف التصعيد العسكري في السودان.

واستعرض الوزيران مستجدات المبادرة السعودية الأمريكية الخاصة باستضافة ممثلين عن الطرفين في جدة، والتي تهدف لتهيئة الأرضية اللازمة للحوار لخفض مستوى التوترات بين الجانبين بما يضمن أمن واستقرار السودان.

واعتبرت القوى المدنية السودانية الموقعة على الاتفاق الإطاري، مباحثات جدة خطوة أولى لوقف الانهيار المتسارع الذي شهدته البلاد منذ اندلاع الحرب في 15 نيسان/ابريل الماضي، داعية قيادة الجيش والدعم السريع إلى اتخاذ قرارات شجاعة تنتصر لصوت الحكمة وتوقف القتال وتنهي المعاناة التي يعيشها الشعب جراء هذه الحرب.

ورحبت في بيان أمس السبت بشروع الجانبين في مباحثات ضمن المبادرة الأمريكية السعودية، مؤملة أن تقود لوقف القتال ومعالجة الأوضاع الإنسانية بما يمهد الطريق لحل سلمي سياسي مستدام.

وأكدت أنها ستعمل على المساعدة في إنجاح ما وصفته بالمسار السلمي لحل الأزمة، بالتواصل المستمر مع القوى المدنية المناهضة للحرب، ومع قيادة الجيش والدعم السريع والمجتمع الإقليمي والدولي.

وفي كانون الأول/ديسمبرالماضي، بناء على عملية سياسية بوساطة دولية، وقعت مجموعة من القوى المدنية أبرزها مكونات الحرية والتغيير وبعض الحركات المسلحة اتفاقا إطاريا مع القائد العام للجيش عبد الفتاح البرهان وزعيم قوات الدعم السريع شبه العسكرية محمد حمدان دقلو «حميدتي» كان من المنتظر أن يفضي إلى اتفاق نهائي يبتعد العسكر بموجبه من السلطة وتتشكل حكومة انتقالية مدنية، إلا أن المعارك التي اندلعت بين القادة العسكريين عرقلت المسار السياسي لحل الأزمة في البلاد.

ودعا المتحدث باسم العملية السياسية في السودان خالد عمر، في بيان أمس إلى تنسيق واسع بين المجهودات الإقليمية والدولية للمساعدة في وقف الحرب ومعالجة الأزمة الانسانية في السودان.

وأبدى أمله بأن تتوصل هذه المباحثات لوقف كامل لإطلاق النار يمهد لحل سياسي شامل ينهي معاناة الشعب ويحافظ على وحدة الدولة ومؤسساتها ويحقق السلام والحرية والعدالة والعيش الكريم لكل أبناء وبنات السودان.

وأضاف: «الحرب ذميمة وهي ليست حلاً لقضايا البلاد الرئيسية» لافتا إلى تزايد كلفتها يوماً بعد يوم، وإنها حال استمرت ستشهد تدخلات ذات أبعاد خارجية وداخلية قد تجعل من الصعب وقتها انهائها بأيدي السودانيين.

وأشار إلى أن الطريق الأمثل للحفاظ على وحدة السودان وسيادته، هي الوصول لجيش واحد قومي بنأى عن السياسة، والتأسيس لتحول مدني ديمقراطي مستدام، وتنمية عادلة ومتوازنة، معتبرا أن الحل السياسي السلمي التفاوضي، هو الأمثل للوضع الراهن في البلاد وأنهم يتمسكون بهذا الخيار مهما تعالت «أصوات التهييج التي تؤجج حريق البلاد» على حد قوله.

وأضاف: هذا هو طريقنا الذي لن نحيد عنه أبداً.

وتأتي مباحثات جدة، بعد يومين، من إصدار الرئيس الأمريكي جو بايدن، أمراً تنفيذياً يسمح بفرض عقوبات على الأشخاص الذين يزعزعون استقرار السودان في استجابة للعنف الدائر في البلاد.

ورأى المحلل السياسي عبد الله رزق في حديثه لـ«القدس العربي» أن مباحثات جدة ستدور تحت ضغط واشنطن؛ سلام السودان مقابل الأمر التنفيذي الرئاسي.

وقال إن تقدير المخابرات الأمريكية باحتمال استطالة أمد الحرب واحتمال لجوء المتحاربين للاستقواء بأطراف خارجية، ليس من بينها الولايات المتحدة مثل داعش أو فاغنر، والذي يمثل تهديدا للأمن القومي الأمريكي في المنطقة، كان عاملا حاسما في تحريك واشنطن إلى مربع التأثير الفاعل في الأزمة السودانية.

تركيا: انتخابات مصيرية

يخوض اردوغان الذي يقود تحالفاً من أربعة أحزاب الانتخابات في ظل ظروف اقتصادية صعبة إلى جانب تداعيات الزلزال، وتتوحد أحزاب المعارضة على اختلاف توجهاتها في محاولة لإنهاء حكمه.

إسطنبول ـ «القدس العربي»: محمود علوش

على مدى العقدين الماضيين، كانت الانتخابات العامة التي أجرتها تركيا أشبه باستفتاء فقط على مستوى شعبية حزب العدالة والتنمية الحاكم الذي يرأسه الرئيس رجب طيب اردوغان. أجرت البلاد منذ وصول الحزب إلى السلطة عام 2020 نحو عشرة استحقاقات انتخابية محلية وتشريعية ورئاسية، واستطاع اردوغان وحزبه الفوز فيها جميعاً باستثناء الانتخابات المحلية الأخيرة التي جرت عام 2019 وخسر فيها الحزب الحاكم رئاسة بلديات كبرى كإسطنبول وأنقرة لصالح المعارضة. على عكس الاستحقاقات الماضية، تبدو الانتخابات الرئاسية والبرلمانية التي ستُجرى في الرابع عشر من أيار/مايو الجاري مختلفة بشكل كبير. فمن جانب، يخوض اردوغان، الذي يقود تحالفاً مكوناً من أربعة أحزاب هي «الحركة القومية» و«الرفاه المحافظ» و«الدعوة الحرة الكردي المحافظ» و«اليسار الديمقراطي» هذه الانتخابات في ظل ظروف اقتصادية صعبة وتضخم قارب حالياً الأربعين في المئة إلى جانب تداعيات الزلزال المدمر الذي ضرب جنوب تركيا في السادس من شباط/فبراير الماضي. ومن جانب آخر، تتوحد أحزاب المعارضة على اختلاف توجهاتها الأيديولوجية للمرة الأولى في محاولة لإنهاء حكم اردوغان.

كرئيس استطاع أن يبقى في السلطة حتى الآن لأكثر من عقدين ولم يسبق لرئيس آخر في قرن من تاريخ الجمهورية أن تمكن من البقاء في الحكم كل هذه الفترة ويطمح لولاية أخرى وأحدث تحوّلاً كبيراً على تركيا في كافة المجالات من الاقتصاد الذي أضحى أحد أكبر عشرين اقتصاداً في العالم إلى الهوية الداخلية التي أعادت الاعتبار للهوية المحافظة مروراً بالهوية الجيوسياسية التي حوّلت تركيا إلى قوة قائمة بحد ذاتها ومستقلة إلى حد كبير في سياساتها الخارجية عن الغرب وتسعى للموازنة بين هويتها كعضو في حلف شمال الأطلسي وبين مصالحها مع الشرق، فإن الانتخابات المقبلة، لن تكون اختباراً فحسب لقدرة اردوغان على البقاء في السلطة، بل ستُحدد كذلك مستقبل إرثه السياسي.

تعد المعارضة التركية في حال وصولها إلى السلطة بإلغاء النظام الرئاسي الذي أنشأه اردوغان بعد نجاحه في تمرير التعديلات الدستورية في عام 2017 بشق الأنفس، أي بعد سنتين فقط من محاولة الانقلاب العسكري الفاشلة، والتحول إلى نظام برلماني مُعزز. كما يُقدم التحالف السداسي المعارض في وثيقته للسياسات المشتركة رؤية من شأنها أن تُحدث تغييراً واسعاً في السياستين الداخلية والخارجية. مع ذلك، لا يزال من غير الواضح كيف ستستطيع المعارضة تشكيل ائتلاف حكومي مستقر وإدارة التحديات الكبيرة التي تنتظر تركيا والتعامل بالكفاءة التي عمل بها اردوغان في إدارة سياسة خارجية مندفعة واللعب بين القوى العالمية الكبرى كالولايات المتحدة وروسيا.

في علامة على المخاطر التي تُهدده في هذه الانتخابات، اضطر اردوغان إلى توسيع تحالف الجمهور وضم أحزاباً صغيرة إليه كأحزاب الرفاه والدعوة الحرة واليسار الديمقراطي من أجل ضمان فوزه في الرئاسة وضمان الحصول على غالبية في البرلمان. ومع أن استطلاعات الرأي التي نظمتها شركات استطلاع مقربة من الحكومة توقعت أن يتمكن اردوغان من الفوز في الانتخابات الرئاسية من الجولة الأولى وأن يستطيع تحالفه الحصول على أكثرية في البرلمان، إلاّ أن استطلاعات الرأي شبه المستقلة تُجمع على الأقل على صعوبة أن ينجح اردوغان في هزيمة منافسه القوي كمال قليجدار أوغلو في جولة أولى لأنّه يواجه صعوبة في الحصول على نسبة الخمسين زائد واحد التي يفرضها قانون الانتخابات لحسم المنافسة الرئاسية دون الاضطرار لإجراء جولة ثانية.

على جبهة المعارضة، التي لم تستطيع على مدى عقدين من الزمن خوض منافسة متكافئة مع اردوغان والحزب الحاكم بسبب ضعفها وتشتتها، فإن الانتخابات المقبلة تُشكل فرصة نادرة لها للوصول إلى السلطة وربما لن تتكرر لسنوات أو لعقود أخرى. نجح زعيم حزب الشعب الجمهوري العلماني المعارض كمال قليجدار أوغلو في تشكيل تحالف من ستة أحزاب يضم إلى جانب حزب الشعب، أحزاب «الجيد» و«المستقبل» و«الديمقراطية والتقدم» الذين يقودهما كل من رئيس الوزراء السابق أحمد داود أوغلو ووزير الاقتصاد السابق علي باباجان، وكلاهما انشقا عن حزب العدالة والتنمية الحاكم قبل سنوات، فضلاً عن الحزب الديمقراطي. ولأن هذا التكتل لن يكون كافياً للتحالف السداسي لحسم المنافسة الرئاسية والبرلمانية لصالحه، شرع قليجدار أوغلو منذ فترة في مفاوضات مع حزب الشعوب الديمقراطي الكردي من أجل الحصول على دعمه وقد تُوجت بإعلان تحالف العمل والحرية الذي يقوده الحزب الكردي مؤخرا دعم قليجدار أوغلو. مع ذلك، لا يزال قليجدار أوغلو يواجه عقبة محتملة قد تُفسد فرصه للنصر. ففي الانتخابات الرئاسية، هناك منافسان آخران يُشاركان في السباق وهما محرم إينجه رئيس حزب البلد، الذي انشق عن حزب الشعب الجمهوري بعد خسارته الانتخابات الرئاسية أمام اردوغان في عام 2019 وسنان أوغان عن تحالف الأجداد الذي يضم أحزابا قومية يمينية متشددة.

تبدو فرص كل من إينجه وأوغان للفوز في الانتخابات الرئاسية أو العبور إلى جولة إعادة محتملة ضئيلة للغاية إن لم تكن مستحيلة، لكنّ الأصوات التي سيحصلان عليها ستكون من الحصة الافتراضية للتحالف السداسي على اعتبار أنهما مُعارضان أصلاً لاردوغان. بعد الأزمة القصيرة التي عصفت بالتحالف السداسي على خلفية التوافق على مرشح رئاسي مشترك في الثالث من آذار/مارس الماضي، وأدت إلى انسحاب زعيمة حزب الجيد ميرال أكشنر مؤقتاً من التحالف قبل أن تعود إليه بعد بضعة أيام، أظهرت استطلاعات الرأي ارتفاعاً في نسب التأييد لإينجه من واحد في المئة إلى نحو سبعة، وهو ما أرجعته الاستطلاعات إلى الأصوات القومية في كل من حزبي الشعب الجمهوري والجيد، والتي قررت الابتعاد عن التحالف السداسي بسبب تحالف قليجدار أوغلو مع حزب الشعوب الكردي. علاوة على ذلك، تُشير الاستطلاعات أيضاً إلى أن إينجه تمكن من استقطاب فئة ناخبة أخرى من حزب الشعب الجمهوري لأنها عارضت تحالف قليجدار أوغلو مع الأحزاب المحافظة خصوصاً حزبي المستقبل والديمقراطية والتقدم لأن زعيميهما أحمد داود أوغلو وعلي باباجان كانا في السابق عضوين في حزب العدالة والتنمية. ومن المرجح على نطاق واسع أن تؤدي مواصلة إينجه خوض المنافسة الرئاسية إلى حرمان قليجدار أوغلو من احتمالية الفوز فيها من الجولة الأولى.

في حال ذهبت المنافسة الرئاسية إلى جولة إعادة، فإن المخاطر المحتملة على قليجدار أوغلو ستكون أكبر. في هذا السيناريو، سيجد قليجدار أوغلو حاجة لإعادة استقطاب الأصوات القومية التي خسرها، لكنّ ذلك سيفرض عليه التعهد بمواصلة نهج قوي في الصراع مع حزب العمال الكردستاني المحظور، وهو ما سيُثير غضب ناخبي حزب الشعوب. علاوة على ذلك، فإن الأصوات القومية المعارضة لتحالف كليجدار أوغلو مع الحزب الكردي، ولأنها لم تُقرر التصويت المحتمل لصالح محرم إينجه في جولة أولى لأنها تُفضّله، قد ترد على تمسك قليجدار أوغلو بتحالفه مع حزب الشعوب الكردي بالتصويت لصالح اردوغان في جولة ثانية. ومن غير المرجّح أن تُغير هذه الكتلة قناعاتها في معارضة كليجدار أوغلو في جولة إعادة محتملة يتنافس فيها مع اردوغان.

بقدر الأهمية التي تكتسبها المنافسة الرئاسية، فإن الانتخابات البرلمانية التي ستُجرى في نفس اليوم لا تقل أهمية. سيحتاج المنتصر في السباق الرئاسي سواء في جولة أولى أو ثانية أن يُسيطر التحالف الذي يقوده على البرلمان كذلك، لأن الانتصار في انتخابات رئاسية دون برلمانية والعكس سيكون انتصاراً غير مكتمل لأي طرف. يبدو الأمر بالنسبة للمعارضة أكثر أهمية لأنها، كي تستطيع تعديل الدستور وإلغاء النظام الرئاسي، فإنها ستكون بحاجة للحصول على غالبية الثلثين في البرلمان من أجل تمرير مشروع التعديل الدستوري اللازم أو على الأقل الحصول على أكثرية أعضاء المجلس لطرح التعديل الدستوري على الاستفتاء العام. حقيقة أن استطلاعات الرأي المستقلة التي أجريت في الأشهر والأسابيع القليلة الماضية لم تستطع تقديم صورة واضحة للمشهد الذي سيكون عليه البرلمان بعد هذه الانتخابات يجعل المستقبل الذي ينتظر تركيا أكثر غموضاً.

العقوبات الأمريكية-التركية على المسؤول المالي في «تحرير الشام»: سيف «التصنيف» على رقبة أبي محمد الجولاني مجددا

توقع مصدر تجاري مقرب من الهيئة قيمة الأموال المنقولة وغير المنقولة لعمر الشيخ بأكثر من 200 مليون دولار بين سوريا وتركيا.

منهل باريش

تلقى تنظيم «تحرير الشام» صفعة قوية بسبب القرار الأمريكي–التركي بمعاقبة مسؤولها المالي وعقلها الاقتصادي أبو أحمد زكور وهو صاحب الشبكات التجارية الممتدة من إيران والصين إلى إدلب، وهو المشرف على توزيع احتكارات السلع الرئيسية في الشمال السوري ومهندس الحركة التجارية بين مناطق سيطرة الهيئة في إدلب ومناطق سيطرة النظام عبر معبر معارة النعسان غير المعلن.

وردا على عقوبات أمريكية–تركية، استنكر القيادي في «هيئة تحرير الشام» عمر الشيخ، المعروف بجهاد عيسى الشيخ، والملقب بـ «أبو أحمد زكور» ما جاء في بيان وزارة الخزانة الأمريكية من فرض عقوبات مالية عليه باعتباره ممولا لجماعات «إرهابية» في إشارة لارتباط زكور بـ «تحرير الشام» ومسؤولياته عن ملفات عدة في التنظيم من أبرزها المالي والتنسيق والتواصل مع فصائل الجيش الوطني.

وقال الشيخ في بيان أصدره يوم الأربعاء الماضي، وبعد يوم من قرار الخزانة الأمريكية، إن «الإرهاب الحقيقي هو ما يمارسه النظام المجرم والمحتل الروسي والإيراني» مفرغًا العقوبات المفروضة عليه من أي معنى، مبررا ذلك بعدم امتلاكه لأي أموال خارج سوريا، ونافيًا مسؤوليته عن الملف المالي أو الاقتصادي في تحرير الشام التي وصفها بـ«الجماعة».

وفي لهجة معاتبة لتركيا استنكر «أبو أحمد زكور» صدور القرار عما وصفها بـ «دولة حليفة» وجاء في البيان «لهو أمر محزن خصوصًا أنه صدر من دولة حليفة، لطالما أحسن الظن فيها، كما أننا كنا وما زلنا نحرص على أمنها كما نحرص على المحرر».

وتابع زكور في هذا الصدد، «هذا الحرص واجب أخلاقي لأن تركيا هي من وقف بجانبنا في هذه الثورة، وهي من فتحت أبوابها لأهلنا المشردين».

وأشار بيان زكور، إلى أنه رغم الاختلاف في بعض وجهات النظر مع تركيا إلا أن ذلك لا ينفي التقاءهم في «حلفٍ واحد».

وبالتوازي مع ذلك، هاجم البيان لهجة شيوعية ماركسية حيث أرجع أسباب الإرهاب والتطرف لـ «الظلم والأنظمة الاستبدادية» وربط بين القضاء عليه بالقضاء على الظلم والاستبداد، مذكرًا بأن الثورة قضت على ما وصفها بـ «أصوات الغلو والإرهاب» في إشارة منه للتحولات المتعاقبة في حياة هيئة تحرير الشام «جبهة النصرة سابقًا».

وكانت وزارة الخزانة الأمريكية قد أصدرت يوم الثلاثاء 2 أيار (مايو) من الشهر الجاري قرارًا صنف كلا من، عمر الشيخ المعروف بجهاد عيسى الشيخ، والمعروف أيضًا بـ «أبو أحمد زكور» وشركة «كوبيلاي ساري» كميسرين ماليين لـ «جماعات إرهابية» متمركزة في سوريا، شملت «كتيبة الجهاد والتوحيد، وهيئة تحرير الشام».

وقال بريان إي نيلسون، وكيل وزارة الخزانة لشؤون الإرهاب والاستخبارات المالية: «مع استمرار الجماعات الإرهابية في سعيها للوصول إلى النظام المالي الدولي، فإن التعاون مع شركائنا يزيد من قدرتنا على تعطيل شبكات التيسير هذه بشكل أكثر فعالية» مشددا «تظل وزارة الخزانة ملتزمة بالعمل مع تركيا وآخرين في المنطقة لتعطيل تدفق الأموال إلى الجماعات الإرهابية وتقليل قدرتها على العمل».

ويأتي قرار العقوبات الأمريكي–التركي عقب إجراء مشترك بين البلدين في 5 كانون الثاني (يناير) من العام الجاري بهدف تعطيل شبكات التسهيلات المالية الرئيسية لتنظيم «داعش» ووفق الأمر التنفيذي 13224 بالصيغة المعدلة من الإجراء ليستهدف الجماعات الإرهابية وداعميها والأصول المرتبطة بها.

مقاتلو تنظيم «تحرير الشام»

وجاء في قرار الخزانة الأمريكية «تم تصنيف عمر الشيخ لقيامه بالعمل لصالح أو نيابة عن جبهة النصرة، بشكل مباشر أو غير مباشر، وهو شخص تم حظر ممتلكاته ومصالحه وفقً للقرار 13224».

من جهتها، أفادت وزارة الخزانة والمالية التركية بتجميد الأصول المالية لشخصين مرتبطين بتنظيمي «القاعدة وداعش الإرهابيين».

وقالت الوزارة في بيانٍ نشرته على موقعها الرسمي «أنه نتيجة الدراسات التي أجريت بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية جمدت الأصول المالية لشخصين تم اكتشاف أنهما يمولان الإرهاب في تركيا والولايات المتحدة.»

وأرجعت وزارة المالية والخزانة التركية قرار تجميد الأصول لكل من عمر الشيخ وقوبلاي ساري لأسباب «معقولة لارتكابهما أعمالا تندرج في إطار جريمة تمويل ودعم الإرهاب».

وكانت تركيا قد أضافت في الثالث من حزيران (يونيو) 2014 «جبهة النصرة» باعتبارها الجناح السوري لتنظيم «القاعدة» على لوائحها للمنظمات الإرهابية التي تفرض عليها بموجب ذلك عقوبات مالية.

ويشار في هذا الصدد، إلى أن مجلس الأمن الدولي أدرج في أيار (مايو) 2013 «جبهة النصرة لأهل الشام» على لائحة المنظمات «الإرهابية» حيث أعلنت لجنة العقوبات التابعة لمجلس الأمن حينها أنها عدّلت لائحة العقوبات للأفراد والكيانات التابعة لتنظيم القاعدة بإضافة اسم جبهة النصرة إليها.

ويندحر عمر الشيخ «أبو أحمد زكور» المولود في 5 كانون الثاني (يناير) 1979 من منطقة النيرب في حلب، وينتمي لعشيرة البو عاصي، التابعة لقبيلة البكارة إحدى أكبر قبائل الشمال السوري، وتقلد ملفات ومناصب عدة في «هيئة تحرير الشام» بمسمياتها المتلاحقة بدءا من «جبهة النصرة» وحتى اليوم، حيث ذكر قرار الخزانة الأمريكية أن زكور منتمي لـ «جبهة النصرة» ومتورط مع الجماعات «المتطرفة» منذ 2003.

ومن أدواره في «تحرير الشام» قائدًا لـ «لواء عبد الرحمن» ومديرا للعلاقات العامة، ومسؤولا عن الملف الاقتصادي، فضلاً عن عضويته حتى الآن في مجلس شورى هيئة تحرير الشام، وأميرا لقطاع حلب فيها.

كما شغل زكور مطلع شباط (فبراير) 2019 منصب المسؤول المالي العام في «تحرير الشام» وفي آذار (مارس) 2022 تولى منصب الأمير الأمني في «الهيئة» وفي تشرين الأول (أكتوبر) من العام نفسه أصبح مديرا للعلاقات العامة وملف التواصل مع القيادات العسكرية.

والمعروف عن «أبو أحمد زكور» امتلاكه لثروة مالية كبيرة يديرها من خلال مشاريع استثمارية خارج سوريا، وبشكل خاص في تركيا، من خلال شركات بأسماء وهمية.

وفي هذا السياق، توقع مصدر تجاري مقرب من الهيئة في حديث مع «القدس العربي» قيمة الأموال المنقولة وغير المنقولة لعمر الشيخ بأكثر من 200 مليون دولار بين سوريا وتركيا، داعيا إلى الانتظار لمعرفة «قيمة الأموال التي ستجمد في تركيا على خلفية القرار الأمريكي–التركي».

ولفت المصدر إلى أن القرار المشترك يؤكد «جدية الدور التركي في محاربة الإرهاب» وألمح إلى أن التطورات في شمال غرب سوريا، وطموحات «تحرير الشام» للتمدد على حساب فصائل الجيش الوطني، يمكن «اعتبارها بمثابة رسالة تحذيرية لتحرير الشام وقياداتها». وتوقع المصدر المطلع على النشاط المالي والشبكات المالية لتحرير الشام في شمال سوريا أن تطال العقوبات في مراحل لاحقة قيادات أخرى في الهيئة.

وأشار قرار الخزانة إلى أن شركة «قوبلاي ساري» تلقت أموالا من مانحين وداعمين لكتيبة «التوحيد والجهاد» لشراء أسلحة ومعدات عسكرية لصالح الكتيبة، وجاء في القرار «منذ أوائل عام 2018 تلقت شركة Kubilay Sari ومقرها إسطنبول في تركيا أموالاً من مانحين نيابة عن جامعي تبرعات لكتيبة التوحيد والجهاد لشراء أنظمة أسلحة مثل الأسلحة النارية وقذائف الهاون»

وأضاف القرار «حدد العديد من أعضاء كتيبة التوحيد والجهاد المقيمين في سوريا قوبلاي ساري وحساباته المصرفية كقناة للتحويلات المالية للعمليات الإرهابية، بما في ذلك شراء المعدات العسكرية، مثل الدراجات النارية والرؤية الليلية. كما حدد عضو في هيئة تحرير الشام قوبلاي ساري كجهة اتصال موثوقة لتحويل الأموال».

الجدير بالذكر، أن تقارير صحافية عدة أشارت إلى أن «ساري» هو اسم قيادي في «كتيبة التوحيد والجهاد» التي تضم مقاتلين من الطاجيك والأوزبك، وما يؤكد ذلك وثيقة تجميد الأموال الصادرة عن الخزانة الأمريكية التي نشرت بيانات باسم «ساري» ومواليده 22 أيار (مايو) 1991.

وتنضوي «كتيبة التوحيد والجهاد» ضمن التشكيلات العسكرية لـ «هيئة تحرير الشام» وتقاتل تحت راية «لواء أبو عبيدة بن الجراح» وهو واحد من أهم أربعة ألوية في الجناح العسكري للهيئة.

وكانت الكتيبة قد انضمت لـ «جبهة النصرة» في تشرين الأول (أكتوبر) 2015 وصنفتها واشنطن «جماعة إرهابية عالمية» في آذار (مارس) من العام الماضي، لتدرج على لوائح عقوبات مجلس الأمن الدولي المرتبطة بتنظيمي «داعش» و «القاعدة» الأمر الذي نفته «التوحيد والجهاد» حينها، واعتبرت تصنيفها على لوائح الإرهاب مجرد اتهام لا يمت للحقيقة بصلة، نافية أي علاقة تربطها بتنظيمي «القاعدة» أو «داعش».

ولا تعتبر معاقبة عمر الشيخ خارج الحسابات المتوقعة له ولأبي محمد الجولاني وأبي ماريا القحطاني والدكتور مظهر الويس. فالتنظيم المصنف على لوائح الإرهاب يحسن التعامل في قضاياها المالية ويمتلك عددا كبيرا من الشركاء المشغلين لأمواله. ومن غير المستغرب أن الرجل لا يمتلك «دولارا واحدا» كما زعم.

الخطر الذي يلاحظه أبو محمد الجولاني اليوم، ليس مسألة العقوبات على واجهته الاقتصادية، وإنما صدمته مع أبو ماريا القحطاني ومظهر الويس الذين اعتقدوا أنهم تجاوزوا مسألة التصنيف على لوائح الإرهاب، وهو ما أعربوا عنه صراحة بعد زيارات لوسطاء أمريكيين وأوروبيين لإدلب ولقائهم بالجولاني مرات متعددة كان آخرها قبل أسبوعين.

كما اعتقد الجولاني أن الوكالة الأمنية التي حصل عليها من أجل القضاء على خلايا تنظيم «الدولة الإسلامية» والقضاء على تنظيم «حراس الدين» الموالي للقاعدة وباقي الجماعات الجهادية، ستسهل شطبه من قوائم الإرهاب الدولية بمساعدة أمريكية.

وحصل الجولاني مقابل وكالته الأمنية تلك على حرية الحركة والتنقل، فبينما كانت الطائرات الثابتة الجناح الأمريكية تستهدف قادة تنظيم حراس الدين ومسؤولو خلايا تنظيم «الدولة» كان يتجول في أسواق مدينة إدلب ويعقد المهرجانات الخطابية. وفي حين كانت طائرات الأباتشي المروحية تنزل جنود القوات الخاصة الأمريكية لقتل البغدادي، وقرداش في شمال إدلب، كانت حواجزه تمنع اقتراب أي مسلح من فصائل المعارضة حتى لا يشوش على الجنود الأمريكان.

العراق: السوداني ينتظر إقرار الموازنة لإجراء التعديل الوزاري ومخاوف من أزمة مرتقبة داخل الائتلاف الحاكم

تعديل وزاري مرتقب، في خطوة قد تمهد لأزمة سياسية جديدة داخل ائتلاف إدارة الدولة الحاكم، الذي شكّل الحكومة وفقاً لنظام المحاصصة.

بغداد ـ «القدس العربي»: مشرق ريسان

أقدم رئيس الوزراء العراقي، محمد شياع السوداني، على «إعفاء وتدوير» أكثر من 50 مسؤولاً حكومياً بدرجة مدير عام، خلال الأسبوع الماضي، تمهيداً لإجراء «تعديل وزاري» مرتقب، في خطوة قد تمهد لأزمة سياسية جديدة داخل ائتلاف «إدارة الدولة» الحاكم، الذي شكّل الحكومة وفقاً لنظام «المحاصصة» المتّبع في هذا البلد المُثقل بالأزمات منذ عام 2003.

المتحدث باسم الحكومة، باسم العوادي، فصّل في تصريح رسمي، عمل لجنة تقييم أداء المديرين العامين في الوزارات والهيئات والجهات غير المرتبطة بوزارة، ومنهجية التقييم التي تم اعتمادها، وعدد المديرين العامين (أصالة، ووكالة) الذين شملوا بقرارات الإعفاء والتدوير.

وطبقاً للعوادي فإنه «استناداً إلى المادة 78 من الدستور، وبناءً على ما ورد في المنهاج الوزاري، صدر أمر ديواني بتوجيه رئيس مجلس الوزراء محمد شياع السوداني، برقم (23059 لسنة 2023) لتشكيل لجنة تقييم أداء المديرين العامين في الوزارات والهيئات والجهات غير المرتبطة بوزارة».

اللجنة الحكومية باشرت أعمالها في بداية شهر آذار/مارس الجاري، وأعدت (4) استمارات تساعد في تقييم الأداء الأولى خاصة بتقييم وتوصية الوزير، واستمارتين لديوان الرقابة المالية الاتحادي وهيئة النزاهة، أما الاستمارة الرابعة فهي للمديرين العامين أنفسهم، حسب العوادي الذي أفاد أيضاً بأن تلك الاستمارات تضمّنت "78 سؤالاً تم تصميمها على ضوء قرار مجلس الوزراء رقم 114 لسنة 2018 (لائحة السلوك الوظيفي من هيئة النزاهة) وكذلك (منهجية التقييم المعتمدة لدى ديوان الرقابة المالية) على أن يرفقوا مع كل إجابة الأدلة الداعمة».

ولفت إلى أنه «تم تشكيل الفريق الساند لعمل اللجنة (مكون من 12 أستاذاً أكاديمياً) وفق الأمر الديواني (23112 لسنة 2023) والفريق الفني (المكون من 12 موظفاً) وفق الأمر الديواني 23125 لسنة 2023 وكان من الأمانة العامة لمجلس الوزراء/ دائرة التدقيق والرقابة، وأيضا فريق للتدقيق».

وأوضح أن «اللجنة لم تتوفر لها قاعدة معلومات، لذلك أعدت قاعدة بيانات شاملة محدثة ولكل مدير عام، وأرسلت استمارات التقييم إلى الوزارات والجهات غير المرتبطة بوزارة للّئها بتاريخ 13/3/2023 ومستمرة باستلام الإجابات».

وأشار إلى أن «عدد الوثائق المستلمة لغاية نهاية الأسبوع الماضي بلغ 150 ألفا تطلبت فرزًا وإعادة تصنيف وتوزيع، ثم الشروع بالتقييم والتدقيق والمنجز النهائي» مبينا أن «العمل استمر لمدة شهرين وكثير من أيام العطل وحتى ساعات الليل».

ونوه إلى أن «مجموع المديرين العامين في الوزارات الـ23 يبلغ 439 مديراً عاماً، والإجراءات أعلاه أنتجت تقييم 322 ملفا لمدير عام في 19 وزارة بالإضافة إلى أمانة بغداد».

وبشأن منهجية التقييم، أوضح العوادي، أنه «تم اعتماد ثلاثة محاور وجمع درجاتها، وكانت الأسئلة تدور حول المؤهلات الشخصية العلمية والعملية، ومهارات القيادة ونتائج الأداء، والبرنامج الحكومي غير المعتمد على الموازنة».

وأضاف أن» هذه الأسئلة وزعت على ثلاث استمارات وهي: استمارة الوزير المختص وتضمنت 25 سؤالاً، استمارة ديوان الرقابة المالية وتضمنت 14 سؤالاً، واستمارة المدير العام وتضمنت 39 سؤالاً، إضافة إلى عرض موقف هيئة النزاهة حول كل مدير عام التحقيقات، الوقاية، القانونية وكذلك وزارة التخطيط للمديرية التي لها علاقة عمل فني».

وأكد المتحدث باسم الحكومة العراقية، أنه «بعد إطلاع رئيس الوزراء على محضر وعمل اللجنة، وجه بتقديم قائمة بأسماء المديرين العامين الذين توافق رأي الوزير المختص مع رأي اللجنة في ضعف أدائهم كمرحلة أولى وهم 57 مديراً عاماً، 30 منهم أصالة و27 وكالة، بعضهم أوصي بإعفائهم وبعضهم بالتدوير».

وكشف العوادي، عن «عدد المديرين العامين (أصالة، ووكالة) المشمولين بالإعفاء والتدوير في عدد من الوزارات» مردفاً بالقول: «تضمنت قائمة الإعفاء والتدوير57 مديراً عاماً» في وزارات التربية، والصحة، والكهرباء، والبيئة، والموارد المائية، والاتصالات، والزراعة، والعمل والشؤون الاجتماعية، والهجرة، والمالية، والصناعة، فضلاً عن أمانة بغداد.

ويبدو أن هذه التغييرات تعدّ خطوة حكومية لجسّ نبض الأحزاب السياسية المشاركة في تقاسم المناصب الحكومية، على أن تلحقها خطوة أوسع تشمل الوزراء والمحافظين، على أن تجري على «ثلاثة مستويات» حسب القيادي في تحالف «الفتح» علي الفتلاوي، الذي أكد لوسائل إعلام محلية إن كل تغيير سيأتي بعد «التثبت من وجود إخفاق في أداء المهام، سواء على مستوى الوزارات أو مؤسساتها في المحافظات».

وأوضح أن «الحكومة هي المعنية بإعلان الأسماء ولا يحق لأي جهة أخرى إعلان أي قائمة للتغييرات» مشيراً إلى أن «التغييرات ستشمل الدرجات الخاصة والكابينة الوزارية والمحافظين، وستعلن بشكل رسمي نهاية أيار/مايو الجاري، أي عند انتهاء مهلة الـ«أشهر التي وعد بها رئيس مجلس الوزراء».

غير أن رئيس الوزراء العراقي، تحدث عن عدم إمكانية إجراء تقييم للوزراء من دون إقرار الموازنة المالية التي تخضع حالياً لمناقشات برلمانية مكثّفة.

وذكر السوداني خلال أعمال «منتدى العراق للاستقرار والازدهار» المنعقد في بغداد، أن «استقرار عمل الحكومة سبقته حوارات بين القوى السياسية أنتجت ورقة الاتفاق السياسي» موضحا، أن «اجتماعات ائتلاف إدارة الدولة مستمرة كل أسبوعين ويجري فيها النقاش والحوار بنحو بناء».

وأشار إلى أن «الحكومة أثبتت خلال 6 أشهر من عملها بُطلان الأحكام المسبقة عليها وهي كانت أكبر تحد أمامها ابتداءً» لافتا إلى أن «كسب ثقة الشعب يتحقق بمصداقية عمل الحكومة وتنفيذ ما وعدت به».

وأضاف قائلاً: «نفذنا 31 في المئة من البرنامج المتفق عليه بين القوى السياسية من أصل 80 فقرة

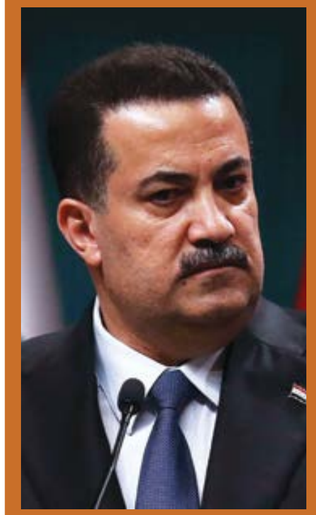

بالتزامات الحكومة في المنهاج الوزاري» مؤكدا أنه «لا يمكن تحقيق أي نجاح في العمل الحكومي دون العمل بروح الفريق مع المتابعة الدقيقة».

ولفت إلى أن «الفريق الحكومي حريص ومخلص ويعمل ليلاً ونهاراً والعمل يتم بانسيابية مع الوزراء والمحافظين» موضحا أن «الحكومات السابقة فرضت المديرين العامين على الوزراء».

وطبقاً للسوداني فإن «التقييم الحكومي بدأ من المديرين العامين ولمدة 3 أشهر وسيكون 6 أشهر للوكلاء والمستشارين والمحافظين» مبينا أن «بعض ما يتم تداوله بخصوص تقييم الوزراء غير دقيق ولا يمكن تقييم الوزير قبل إقرار الموازنة».

ورأى أن «تقييم الوزراء سيتم في فترة لاحقة ولن يلغى» مستدركا بالقول إن «الفساد يهدد جميع خطط وبرامج الحكومة إذا لم يوضع له حد».

وبيّن أيضاً أن «الحكومة لن تتردد في محاسبة الفاسدين، ولا توجد لدينا خطوط حمراء» منوهاً بقوله: «بدأنا بمراجعة المؤسسات المعنية بمكافحة الفساد ووجدنا خللاً في عملها».

في الموازاة، يرى رئيس «مركز التفكير السياسي» احسان الشمري، أن التعديل الوزاري لا يرتبط بـ«مزاج قوى وزعامات سياسية» محذراً من نشوء أزمة سياسية مرتقبة.

ونقل إعلام نقابة الصحافيين العراقيين عن الشمري قوله: «التعديل الوزاري المرتقب قد يخلق أزمة داخل ائتلاف إدارة الدولة، وقد يؤدي لتعويق العمل بشكل كامل للبرنامج الحكومي أو الاتفاقات السياسية».

وأضاف: «عدم وضوح الرؤية بهذا الخصوص ما بين من يقول بوجود تعديل وآخر ينفي، سيولد أزمة جديدة في ظل هذا الخطاب السياسي المرتبك» موضحاً أن عدم الوضوح هذا «سيخلق أزمة، لذا لابد من كشفه بصورة واضحة، لأنه لا يرتبط بمزاج قوى وزعامات سياسية بقدر ارتباطه بحياة المواطن» حسب قوله.

السنة الخامسة والثلاثون العدد 10977 الأحد 7 أيار (مايو) 2023 – 17 شوال 1444 هـ

عشائر الأردن: خلطة نضالية بتوقيع الإسلاميين عندما «يتراكم» اليقين بالخطر الإسرائيلي

البنية العشائرية الأردنية بدأت تشعر بالخطر جراء استعراضات حكومة الائتلاف اليميني الإسرائيلي بعد ثبوت دورها في تدمير البنية التقليدية للعلاقات الأردنية الإسرائيلية.

عمان – «القدس العربي»: بسام البدارين

مستجدان يمكن رصدهما بوضوح وبساطة في خطاب الإسلاميين الأردنيين مؤخرا لكنهما يكملان عمليا نصاب الحالة الاجتماعية والنخبوية المحلية التي بدأت تشعر بالخطر الشديد جراء استعراضات وأدبيات حكومة الائتلاف اليميني الإسرائيلي بعد ثبوت دورها في تدمير البنية التقليدية للعلاقات الأردنية الإسرائيلية، وثانيا في إحياء كل هواجس القلق في عمق المجتمع الأردني وتحديدا في شرائحه القبلية والعشائرية.

المستجد الأول هو التركيز في خطاب حزب جبهة العمل الإسلامي التنظيمي والشعبي والإعلامي أيضا على استدعاء كل دلالات وترميزات الاشتباك العسكري اليتيم الذي انتصر فيه جيش عربي على غزو إسرائيلي.

والحديث هنا حصرا عن معركة الكرامة التي يعيد الإسلاميون ويزيدون بشكل واضح في استعادة ذكرياتها مع ذكريات النصر على العدو في عملية لا يمكنها أن تكون إلا منهجية بالنسبة للمكاتب والأجنحة والشعب التي تحكم أكبر أطراف المعادلة في التيار الإسلامي الأردني.

والمستجد الثاني لا يقف على عتبة معركة الكرامة ودلالاتها فقط، بل بدأ يخاطب البنية العشائرية الأردنية بشكل واضح والتي زادت هواجسها أصلا بسبب ما يسمى بتطلعات اليمين الإسرائيلي وأطماعه في سلسلة هواجس وطنية أردنية وعشائرية واجتماعية يغذيها اليوم القصور الشديد في مناجزة أو مفاوضة أو حتى مواجهة صلف اليمين الإسرائيلي ليس في بعده الفلسطيني فقط ولكن في بعده الأردني أيضا.

يعزف التيار الإسلامي الأردني على الوترين بكفاءة. والأهم بكثافة مؤخرا تعبيرا عن ما يسميه الشيخ مراد العضايلة بعودة القضية إلى جذرها وعلى أساس القناعة بأن مصالح الوطن الأردني اليوم بما فيه مصالح النظام والدولة تقتضي العودة لأصل الصراع والتوثق بأن الشعب الأردني لا خيار له سوى توحيد مصيره مع الشعب الفلسطيني ومقاومته.

واللافت أكثر أن عملية العزف هنا لا تقتصر على الإسلاميين وحدهم من باب الانصاف في المتابعة والتحليل، فمساحة هواجس الخوف من تطلعات وطموحات اليمين الإسرائيلي زحفت بقوة مؤخرا بعد تحرشات إيتمار بني غفير وخرائط يتسئيل سيموتريتش في أوصال الخريطة النخبوية والعشائر الأردنية بصيغة ملحوظة وأيضا في أوساط حتى بعض دعاة السلام ورموز المفاوضات.

ما يسميه الشيخ العضايلة في نقاش مع «القدس العربي» بالوقوف أمام الحقيقة الموضوعية، يشبهه بالقياس ما يصر عليه وزير البلاط الأسبق الدكتور مروان المعشر عندما يطرح معادلة تطالب أوساط القرار في بلاده بالانتباه واليقظة لأن «إسرائيل التي نعرفها ووقعنا معها معاهدة انقلبت علينا».

ليس سرا هنا أن ما يؤشر عليه العضايلة ويشبه ما يقوله المعشر قريب رغم التناقض السياسي من حرص

النائب عماد العدوان

وزير الداخلية الأسبق سمير الحباشنة وعلنا على الدعوة إلى عودة خدمة العلم العسكرية وتجهيز الأردنيين للتدريب على السلاح، وهو خطاب يشبه أيضا ما يقوله مخضرم مثل الوزير والبرلماني الأسبق الدكتور ممدوح العبادي وهو يؤسس عدة مرات وأمام «القدس العربي» أيضا لفكرة الصدام الحتمي المقبل والقادم يقينا بين الشعب الأردني ومؤسساته وبين مشروع اليمين المتطرف.

قريب من نفس الخطاب ما يقوله رمز عشائري كبير مثل الشيخ طراد الفايز بخصوص انقلاب إسرائيلي قد لا يقف عند حدود استهداف الدولة الأردنية فقط بل قد يخطط لاستهداف الهوية الوطنية الأردنية.

وهو ما يقوله أيضا جنرالات سابقون من المؤسستين الأمنية والعسكرية وما يردده اليوم في اجتماعات العشائر والقبائل زعماء وقادة محليون، وما تعززه بعض القناعات المخفية في ملف احتجاز إسرائيل لممثل قبيلة مهمة في البرلمان الأردني وهو النائب عماد العدوان.

الرابط أساسي ومهم ولا يمكن إنكاره لا في الخطاب ولا في البيان ولا في المخاوف والتعبير وحتى في الوفد الذي فاوض على اتفاقية وادي عربة، ينسحب المفاوضون الرسميون في مواجهة هواجس الانقلاب الإسرائيلي كما بدأ وزراء خارجية سابقون ينتقدون أو يمتعضون.

يتراكم الإحساس بالخطر بين خريطة النخب وقوى المجتمع الأردني بطريقة غير مسبوقة ويؤسس لأدبيات يلتقط ما هو جوهري حصرا قبل غيره التيار الإسلامي الأردني العميق، حيث تجلى ذلك حتى في شريط الفيديو الذي كان من بين إصدارات حزب الجبهة مؤخرا والهادف لتسليط الضوء على التناقض الطبيعي ما بين الهوية العشائرية الأردنية والوطنية معها وبين فكرة إسرائيل ومشروعها.

الفيديو طرح سؤالا لجذب انتباه الجمهور: ما الذي تعرفه عن دور قبائل شرق الأردن في مناصرة القضية الفلسطينية؟

لكن الأهم وفقا لما يشخصه القيادي الإسلامي الشاب الدكتور رامي العياصرة هو ان التناقض ليس جديدا بل قديم جدا ما بين المشروع الصهيوني الإسرائيلي والقبائل الأردنية برمتها، والعشائر الأردنية تاريخيا كان لها الدور الأكبر والأبرز في دعم المقاومة الفلسطينية ضد المشروع الصهيوني.

يلاحظ العياصرة بأن أي قراءة في سيرة الوطني والمناضل الأردني القومي راشد الخزاعي وفي سيرة مفلح الكايد العبيدات وغيرهما من أبرز زعماء القبائل الأردنية تدلل على الدور الكبير والبصمة الأساسية في إسناد مقاومة الشعب الفلسطيني وتزويد ثورة القسام بالسلاح لا بل والمشاركة بالرجال أحيانا.

Volume 35 - Issue 10977 Sunday 7 May 2023

لبنان: من يملك أسرار الموقف السعودي وهل اقترب فرنجية من بعبدا أم يحتاج إلى أعجوبة؟

موقف البخاري لم يتسم بالوضوح بل حمل الكثير من الأخذ والرد، ما جعل البعض يقرأ فيه مرونة تجاه انتخاب رئيس «تيار المردة» سليمان فرنجية.

بيروت – «القدس العربي»: سعد الياس

غسل السفير السعودي وليد البخاري يدي بلاده من تهمة عرقلة الاستحقاق الرئاسي في لبنان، لكن جولته على عدد من المسؤولين اللبنانيين ورؤساء الأحزاب والقيادات الروحية لم تحسم حقيقة موقف المملكة العربية السعودية من الانتخابات الرئاسية في لبنان وسط تكهنات وتأويلات لهذا الموقف من قبل الأطراف المتخاصمة، إذ تولى كل طرف تفسير كلام السفير السعودي وفق ما يتلاءم مع تطلعاته ولاسيما أن موقف البخاري لم يتسم بالوضوح بل حمل الكثير من الأخذ والرد، ما جعل البعض يقرأ فيه مرونة تجاه انتخاب رئيس «تيار المردة» سليمان فرنجية بسبب قول البخاري إن بلاده لا تضع فيتو على أي مرشح، وجعل البعض يقرأ فيه استمراراً لموقف المملكة بعدم التدخل في لعبة الأسماء واعتبار الاستحقاق الرئاسي شأناً سيادياً لبنانياً. وطالما أن انتخاب فرنجية يحتاج في رأي المعارضة إلى أعجوبة في ضوء موقف الأحزاب المسيحية الثلاثة المعترضة على انتخابه وهي القوات اللبنانية والتيار الوطني الحر والكتائب وبعض النواب المستقلين، فإن انتخاب رئيس «المردة» وإن توافر له 65 صوتاً فإنه من الصعب بمكان تأمين نصاب الثلثين للجلسة.

وبغض النظر عن عدم وضع السعودية فيتو معلن على فرنجية أو غض الطرف عن انتخابه، فإن فريق المعارضة يسأل الثنائي الشيعي على ماذا يراهن ليواصل تمسّكه بمرشحه في ظل تشبّث الأحزاب المسيحية الثلاثة برفض خيار فرنجية؟ ويدعو هذا الفريق إلى عدم الرهان على التراجع عن هذا الموقف وإعادة سيناريو انتخاب العماد ميشال عون عام 2016 انطلاقاً من حرص القوى السيادية على مصلحة البلد كما حصل في تجارب سابقة، حيث كان محور الممانعة يقضم المكاسب الواحد تلو الآخر ويستغل التنازلات تباعاً للإمساك أكثر فأكثر بمفاصل البلد.

وتضيف أوساط المعارضة «أن الرهان على مستشار الرئيس الفرنسي باتريك دوريل واتصالات الرئيس ايمانويل ماكرون بالقيادة السعودية لاقناعها بخيار فرنجية وبالتالي استدراج الرياض لاقناع حلفائها في لبنان بالسير بهذا الخيار هو في غير محله، لأن السعودية لن تضغط على حلفائها ولأن الأحزاب المسيحية ليست في وارد التجاوب مع المقايضة التي تسعى إليها فرنسا بعد استياء هذه الأحزاب من تخطي باريس إرادة المسيحيين وما تقرّر من مواصفات للرئيس في الاجتماع الخماسي الذي جمعها بالولايات المتحدة الأمريكية والسعودية وقطر ومصر وسعيها وراء مصالحها التجارية والاقتصادية مع الثنائي الشيعي وقفزها فوق علاقاتها التاريخية مع المسيحيين وبكركي، مع أن باريس حاولت متأخرة تلميع صورتها والوقوف عند خاطر المسيحيين وإجراء لقاءات مع قياداتهم. وجاء بيان الخارجية الفرنسية الذي أعلن أن «ليس لدى باريس أي مرشح» ليحاول تصحيح انحياز خلية الاليزيه لطرف لبناني على حساب طرف آخر، بعدما تبيّن أن أداء هذه الخلية لا يشبه عظمة فرنسا ومبادئها.

غير أن المسعى الفرنسي الذي يقوده مستشار الرئيس ماكرون لم يتوقف رغم ذلك، وصدرت تبريرات فرنسية تقول إن همّهم انتخاب رئيس جمهورية ليكون هناك انتظام في الحياة السياسية والدستورية ولتأتي بعده حكومة تنفّذ الإصلاحات المطلوبة من المجتمع الدولي ومن الشعب اللبناني. ويقول الفرنسيون إنه في غياب التوافق بين المسيحيين على مرشح وفي غياب أي بديل جدي هناك خيار مدعوم من طرف أساسي هو حزب الله جرى تبنيه على أساس أن يكون رئيس الجمهورية ينتمي إلى فريق سياسي معين ونعمل لتأمين التوازن من خلال اختيار رئيس حكومة ينتمي إلى فريق آخر على ألا يكون هناك إشكال بين رئيسي الجمهورية والحكومة من أجل تسهيل تنفيذ الإصلاحات.

ولكن في مقابل اعتبار المعارضة أن الثنائي الشيعي يكابر ويروّج الأضاليل حول ارتفاع أسهم مرشحه الرئاسي فإن فريق الموالاة ينقل أن السفير السعودي كان أكثر ارتياحاً في لقاءاته مع القوى التي تُعتبر في خانة الخصومة مع الرياض من اللقاءات التي جمعته بالحلفاء والأصدقاء. وقرأ هذا الفريق إيجابية في تغيير السعودية لهجتها من انتخاب رئيس غير حليف لحزب الله وغير متورط بالفساد إلى أنها لا ترتضي الفراغ الرئاسي الذي يهدّد استقرار الشعب اللبناني ووحدته.

ولكن أين تكمن الحقيقة ومن يملك أسرار الاليزيه والديوان الملكي السعودي؟

يصرّ الرئيس نبيه بري على القول إن الإدارة الفرنسية أقنعت السعودية بفرنجية والأخيرة ستبلغ أصدقاءها في لبنان بضرورة دعم هذا الخيار، مضيفاً إن لا الفرنسيين ولا السعوديين نفوا ما صدر عني، وتعبتر أوساط الموالاة أن ترتيبات انتخاب فرنجية باتت في نهاياتها وإن جلسة لانتخاب الرئيس سيتم تحديدها في منتصف حزيران/يونيو المقبل.

إلا أن فريق المعارضة وخصوصاً القوات اللبنانية تسخر من رهان الممانعة، وترى «أن المعطيات الداخلية تظهر لغاية الآن استحالة تأمين أكثر من 50 صوتًا لفرنجية، وعليه ستتركّز الأنظار على كيفية نزول الممانعة عن الشجرة التي تسلقتها بالمزايدات والرهانات إن على أوهام خارجية أو على أوهام تراجع القوى المعترضة على مرشحها».

في هذه الأثناء، يراقب الرئيس بري تطور موقف رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط والنواب السنّة ومدى انخراطهم في التسوية وانتقالهم إلى ضفة فرنجية بعد الموقف السعودي المحايد، علماً أنه ليس سهلاً على الزعيم الدرزي معاكسة الجو المسيحي في الجبل الذي يتوزّع بين القوات اللبنانية والتيار الوطني الحر وتأثيراته على المصالحة السعودية الدرزية، كما ليس سهلاً على نجله رئيس «اللقاء الديمقراطي» النائب تيمور جنبلاط السير بما يراه خياراً تقليدياً.

الرصاصة متحدثا رسمياً: ماذا صنعت الحرب بالإعلام اليمني؟

بمناسبة اليوم العالمي لحرية الصحافة طالبت نقابة الصحافيين اليمنيين رفع القيود عن الصحافة ومساندة الصحافيين، وقالت إن الصحافيين اليمنيين يعيشون أسوأ وأقسى أيامهم بعد أكثر من ثماني سنوات حرب.

صنعاء – «القدس العربي»: أحمد الأغبري

يبرز الإعلام أحد أهم ضحايا الحرب؛ فجميع الأطراف تخافه، وانطلاقًا من ذلك تتعمد المعركة تلويث بيئته وتكميم أصواته وتوظيفه في إدارة حرب موازية اسمها التضليل.

وكشفت دراسة مسحية حديثة نفذتها نقابة الصحافيين اليمنيين بالتعاون مع الاتحاد الدولي للصحافيين، أن 165 وسيلة توقفت بسبب الحرب وتأثيراتها من بين 365 وسيلة إعلام ما زال يعمل منها 200 وسيلة، فيما تأسست 137 وسيلة إعلام خلال فترة الحرب.

استهدفت الدراسة، التي أعلنت النقابة خلاصتها الأربعاء بمناسبة اليوم العالمي لحرية الصحافة 3 أيار/مايو، كشفٌ مدى التأثير السلبي للحرب على وسائل الإعلام اليمنية في جوانب مهنية عديدة أبرزها الاستقلالية والتمويل وحقوق الصحافيين.

وضم مجتمع الدراسة 365 وسيلة إعلام متنوعة بين القنوات التلفزيونية، والإذاعات والصحف والمجلات والمواقع الإلكترونية منها 26 قناة فضائية بنسبة 7 في المئة من إجمالي وسائل الإعلام المستهدفة، 60 إذاعة محلية بنسبة 16 في المئة و132 صحيفة ومجلة يومية وأسبوعية وشهرية ودورية، بنسبة 36 في المئة و147 موقعا إخباريا بنسبة 47 في المئة.

على صعيد القنوات الفضائية والإذاعات، أوضحت الدراسة أنه من بين 26 قناة فضائية تعمل 22 قناة، بينما هناك أربع قنوات متوقفة، وتعمل 54 إذاعة محلية من بين 60 إذاعة بينما هناك 6 إذاعات متوقفة، ومن بين 132 صحيفة ومجلة تعمل 13 صحيفة فقط فيما توقفت 119 صحيفة ومجلة.

وطبقا للدراسة فإنه تم تأسيس 12 قناة فضائية جديدة تتبع أطراف الصراع خلال فترة الحرب، مشيرة إلى أنه من ضمن 26 قناة تبث 13 قناة من خارج اليمن، كالسعودية ولبنان وتركيا ومصر (قناة اليمن الحكومية، وعدن الحكومية، الشرعية، المسيرة، الساحات، عدن سكاي «متوقفة» عدن لايف «متوقفة» وسهيل، يمن شباب، بلقيس، المهرية، الغد المشرق، اليمن اليوم) فيما تبث 13 قناة من داخل اليمن، حيث تبث قنوات من صنعاء مثل (قناة اليمن، قناة عدن، الايمان، سبأ، اللحظة، الهُوية، واليمن اليوم) وتبث خمس قنوات من محافظة حضرموت (الملكال، حضرموت الحكومية، حضرموت الأهلية، العصرية، عاد) وتبث قناة عدن المستقلة التابعة للمجلس الانتقالي الجنوبي من مدينة عدن.

فيما يتعلق بالإذاعات كشفت الدراسة أن من بين 60 إذاعة تمت دراستها هناك 42 إذاعة تتبع أطراف الصراع و18 إذاعة مستقلة منها 7 إذاعات متخصصة، بالإضافة إلى وجود 22 إذاعة جهوية وإذاعتين مدعومتين من منظمات دولية متخصصة بدعم الإعلام.

وكشفت الدراسة أن فترة الحرب شهدت تأسيس 36 إذاعة محلية منها 19 في صنعاء، و5 إذاعات في حضرموت،4 في عدن، 3 في مأرب، و3 إذاعات في تعز، وإذاعة واحدة في صعدة، وإذاعة واحدة في إب.

فيما يتعلق بالصحف والمجلات أفادت الدراسة بأن من بين 132 صحيفة ومجلة هناك 100 وسيلة تتبع أطراف الصراع، و32 وسيلة مستقلة منها 30 وسيلة متخصصة.

ووفقا للدراسة فقد تأثرت الصحف والمجلات بشكل أكبر بالحرب بعد توقف 119 صحيفة ومجلة سواء كانت يومية الصدور أو أسبوعية، أو شهرية، أو فصلية بسبب الحرب، وتبعاتها الأمنية، والاقتصادية، والسياسية.

وأشارت إلى أنه لا تزال تعمل 13 صحيفة فقط منها 5 في صنعاء و6 في عدن و2 في تعز، ومن ضمن هذه الصحف 10 وسائل جديدة صدرت خلال فترة الحرب، خمس منها في عدن، وأربع في صنعاء وواحدة في تعز.

على صعيد المواقع الإخبارية بينت الدراسة أنه من 147 موقعا إخباريا يعمل 114 موقعا فيما توقف 33 موقعا بسبب الحرب، ناهيك عن حجب غالبية المواقع عن متابعيها داخل اليمن من قبل سلطة الحوثيين.

وكشفت الدراسة أن من ضمن 147 موقعا إخباريا استهدفته الدراسة هناك 118 موقعا إخباريا يتبع مراكز قوى من أطراف الصراع، و29 موقعا مستقلا، وخلال فترة الحرب تم تأسيس 82 موقعا إخباريا، فيما توقف 33 موقعاً خلال السبع السنوات الماضية.

وذكرت الدراسة أن من ضمن 365 وسيلة إعلام لا توجد وسيلة تنشر بياناتها المالية، بينما 111 وسيلة ربحية و254 وسيلة غير ربحية، كما لا توجد سوى 40 وسيلة إعلام تبرم عقودا مع الصحافيين، ورغم ذلك فإن العقود لا تضمن كافة الحقوق الاقتصادية والمالية والتأمينية للصحافيين، ولا تتناسب مع طبيعة العمل الصحافي ومخاطره.

وبمناسبة اليوم العالمي لحرية الصحافة طالبت نقابة الصحافيين اليمنيين رفع القيود عن الصحافة ومساندة الصحافيين. وقالت في بيان «إن الصحافيين اليمنيين يعيشون أسوأ وأقسى أيامهم بعد أكثر من ثماني سنوات من الحرب والصراع وما رافقها من قمع وإرهاب، واختطاف، وما تعرضت له العشرات من وسائل الإعلام الأهلية والمعارضة من إغلاق ونهب ومصادرة، وما عانى خلال هذه السنين الزملاء الصحافيون من حرمانهم رواتبهم وحقوقهم المعيشية، وفقدان مئات الصحافيين لأعمالهم، ومطاردة أصحاب الرأي وترويعهم، واختطاف بعضهم واغتيال البعض الآخر».

وأكدت النقابة «موقفها الرافض للتضييق على العمل النقابي في كل اليمن، وما تعرض له مقر نقابة الصحافيين اليمنيين في محافظة عدن من اعتداء واقتحام مطلع شهر اذار/مارس الفائت، ثم السطو والاستيلاء عليه بالقوة، من قبل مسلحين يتبعون المجلس الانتقالي الشريك في الحكومة الشرعية».

وأعربت النقابة عن الأمل في «أن يرافق أي انفراجة سياسية أو تسويات بين الأطراف المتصارعة رفع القيود المفروضة على وسائل الإعلام، وتوفير بيئة آمنة للعمل الصحافي في كل مناطق اليمن، ورعاية أسر الشهداء الصحافيين وضحايا هذا الصراع الدموي».

حدث الأسبوع

الأسرى الفلسطينيون وجدان القضية الفلسطينية والاحتلال يصعد محاصرتهم

الناصرة ـ «القدس العربي»: وديع عواودة

أكّد نادي الأسير الفلسطينيّ، أنّ حالة من التّوتر الشديد ما تزال تسود أقسام الأسرى في كافة سجون الاحتلال، وذلك بعد مرور أيام على جريمة اغتيال الشّهيد خضر عدنان داخل أسره مضربا عن الطعام. وأضاف نادي الأسير، أنّ إدارة السّجون تواصل إغلاق الأقسام حتّى اليوم، تحسبًا لأي مواجهة قد ينفذها الأسرى ضد السّجانين، كما وتهدد بفرض عقوبات في حال لم يكن هناك تعهد من الأسرى بوقف التهديدات المعلنة منهم، خاصّة بعد المواجهة التي نفذها الأسير محمد خروشة من نابلس، ضد أحد السّجانين في سجن «مجدو» قبل أيام ردًا على جريمة اغتيال الشيخ خضر عدنان. من الجدير ذكره، أنّ الأسرى في كافة السّجون قد نفذوا سلسلة من الخطوات الاحتجاجية عقب جريمة اغتيال الشهيد خضر عدنان، والتي تمثلت بإرجاع وجبات الطعام، وكذلك وقف كافة مظاهر الحياة الاعتقالية اليومية، وإبلاغ إدارة السّجون أنّ الحداد سيكون مفتوحًا حتّى الرد على الجريمة.

على خلفية ذلك التقى رئيس نادي الأسير الفلسطيني قدورة فارس، القنصل الفرنسي العام رينيه تروكاز، لوضعه في آخر المستجدات على صعيد قضية الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال الإسرائيلي، وما يواجهونه من جرائم وانتهاكات جسيمة متواصلة وعلى عدة مستويات، وتحديدًا جريمة إعدام الشهيد خضر عدنان، وما جرى طوال فترة إضرابه المفتوح عن الطعام إلى يوم استشهاده. وخلال اللقاء الذي جرى في المقر العام لنادي الأسير الفلسطيني في رام الله، استعرض فارس، جملة من القضايا المتعلقة بواقع الأسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال الإسرائيلي، وأبرزها جريمة الإهمال الطبي المنهجة والقتل البطيء، التي يواجهها الأسرى، والتي تُشكّل اليوم أبرز الجرائم المنهجة، واستعرض بعض حالات الأسرى المرضى، وعلى رأسهم، الأسيران وليد دقة، وعاصف الرفاعي، إضافة إلى جريمة احتجاز جثامين الشهداء ومن بينهم الشهداء الأسرى، وآخرهم الشهيد خضر عدنان. ووجه فارس جملة من الانتقادات والتساؤلات عن الموقف الأوروبي، والموقف الفرنسي على جملة من القضايا وكان من أبرزها قضية الأسير السابق والحقوقي صلاح الحموري. كما وطالب فارس، بضرورة أن تكون هناك مراجعة حقيقية للموقف الأوروبي تجاه الكثير من القضايا المتعلقة بالقضية الفلسطينية، وتحديدًا في ظل التحولات الكبيرة والخطيرة التي فرضتها الحكومة اليمينية الأكثر تطرفًا في تاريخ الاحتلال، والتهديدات غير المسبوقة من الوزير الفاشي بن غفير. وبدوره وجه القنصل رينيه العديد من التساؤلات عن الواقع الراهن، ومنها قضية الأسرى، وكذلك قضية استمرار اعتقال القائد الوطني مروان البرغوثي، ومستوى حضوره على المستوى السياسي والوطني.

اعتقال الصحافيين

وفي هذا المضمار قالت مؤسسة «الضمير» لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، بمناسبة اليوم العالمي لحرية الصحافة، إنّ سلطات الاحتلال الإسرائيلي، تواصل اعتقال 16 صحافيًا في سجونها، من بينهم أربعة رهن الاعتقال الإداريّ. وأضافت المؤسسات، في تقرير لها، إنّ سلطات الاحتلال تنتهج جملة من السّياسات لتقييد حرّيّة الرأي والتعبير وفرض مزيد من الرّقابة والسّيطرة على الفلسطينيين، كجزء من أدوات نظام الفصل العنصري، وأبرزها سياسة الاعتقال، والتّهديد، والحبس المنزليّ، والاعتداءات المتكررة في ميدان العمل؛ وذلك في محاولة مستمرة لتقويض دورهم المجتمعيّ، والثقافيّ، والسياسيّ، ومنعهم من الكشف عن الجرائم المستمرة بحقّ الفلسطينيين.

وشكّل العام المنصرم المحطة الأبرز في الجرائم والانتهاكات بحق الصحافيين، فكان اغتيال الصحافية الشّهيدة شيرين أبو عاقلة، الجريمة الأبرز التي شهدها العالم، والتي رافقتها محاولة الاحتلال التضليل عبر اختلاق عدة روايات لجريمة قتلها.

سياسة الاعتقال الإداريّ

تُشكل سياسة الاعتقال الإداريّ أبرز السّياسات المنهجة التي تستهدف الفلسطينيين، فهي عملية اعتقال من دون محاكمة وبسببها هناك مئات الأسرى الفلسطينيين اليوم. إسرائيل التي تستخدم هذه الانتهاكات والأنظمة القمعية الموروثة من نظام الاستعمار البريطاني لا تكترث للانتقادات الدولية ولا حتى الإسرائيلية ضد هذا النوع من التنكيل ومحاولات كسر الإرادة ما يدفع الكثير من الأسرى للإضراب عن الطعام. بعد اغتيال خضر عدنان في أسره في الأسبوع الماضي حملت صحيفة «هارتس» الإسرائيلية على سلطات الاحتلال وقالت إنه فيما يتظاهر عشرات الآلاف من الإسرائيليين لحماية الديمقراطية يتم تجاهل واحدة من أبشع المظاهر الاستبدادية في العالم وهي الاعتقال الإداري. كما قالت «هارتس» في افتتاحيتها الاستثنائية إن مظاهر الاحتجاج في إسرائيل تتجاهل ما يجري في الساحة الخلفية لإسرائيل ساحة الاحتلال داعية لضرورة وقف هذا «الاعتقال وهذا العار».

«شياطين» في عيون معظم الإسرائيليين

لكن افتتاحية «هارتس» ما زالت صوتا استثنائيا في المشهد الإسرائيلي، فعلى النقيض تماما من المكانة السامية التي يحظى بها الأسرى الفلسطينيون لدى شعبهم بوصفهم قيادات وطلائع و«خيرة أبناء وبنات الشعب» تميل معظم التحليلات والمقاربات الإسرائيلية إلى ترداد وجهة النظر الرسمية – الأمنية، التي تنظر إلى الأسرى الفلسطينيين من زاوية استعلائية عنصرية، فهم مخربون وقتلة ومتطرفون، وأفراد يمثلون خطرا على الجمهور، تحركهم رغبة القتل وليسوا جديرين بأية معاملة إنسانية ولا حتى وفق الحد الأدنى للقوانين الإسرائيلية للسجناء الجنائيين وينبغي مطاردتهم وسجنهم وإبقاءهم رهن الاعتقال مع تشديد ظروف حبسهم. ونادرة هي المواقف ووجهات النظر التي تتطرق للأسرى الفلسطينيين باعتبارهم بشرا ذوي حقوق أولا، ناهيك عن الاعتراف بهم كمناضلين من أجل الحرية. ومثلما تمتنع إسرائيل عن تطبيق القوانين والمعاهدات الدولية على الأراضي الفلسطينية المحتلة، وتعتمد نظامين قانونيين متباينين أحدهما للمستوطنين والثاني للفلسطينيين، فإن سلطات الاحتلال تطبق نظامين قانونيين على السجناء أحدهما للسجناء الجنائيين، والثاني للسجناء الأمنيين، وهم الأسرى الفلسطينيون. ويحرم الاحتلال الأسرى بموجب هذه القوانين والإجراءات من جميع أنواع التسهيلات والمزايا التي توفرها القوانين للسجناء العاديين مثل الزيارات والإجازات والأجهزة الكهربائية والإلكترونية وإمكانيات الاتصال مع الأهل وظروف الزيارة والتفتيش والرعاية الطبية، بينما أعدت قوانين خاصة للأسرى السياسيين في مختلف المجالات التي تخص ظروف الاعتقال أو المحاكمة كما يُفصّلها المركز القانوني لحقوق الأقلية العربية في إسرائيل «عدالة».

نظرة عنصرية واستعلائية

ويشكل موضوع الأسرى الفلسطينيين الأمنيين الذين يتراوح عددهم بين 4600 و4700 أسير، بينهم 40 امرأة، و200 طفل وأكثر من 500 معتقل إداري، موضوعا بالغ الحساسية بالنسبة للفلسطينيين، لكنه بات يمثل ورقة ضغط وابتزاز في يد السلطات الإسرائيلية حسب نادي الأسير الفلسطيني الذي تؤكد معطياته أن أكثر من مليون فلسطيني تعرضوا للاعتقال منذ العام 1967 لفترات متفاوتة، ومن بينهم نحو 13000 امرأة. ورغم أهمية الموضوع وحساسيته فقد خلت اتفاقية أوسلو، المعروفة باتفاقية إعلان المبادئ، الموقعة في أوسلو في مثل هذه الأيام عام 1993 بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية من أي ذكر لقضية الأسرى. كما يشير «مدار» أنه بينما اتفاقية القاهرة الموقعة بتاريخ 1994/5/4 تحدثت عنهم ولكنها أبقتهم رهن الإجراءات والمعايير الإسرائيلية، حيث ورد في المادة 20 من تدابير بناء الثقة بأن تقوم إسرائيل بالإفراج أو تسليم السلطة الفلسطينية خلال مهلة خمسة أسابيع، حوالي 5000 معتقل وسجين فلسطيني. لكن أسماء الأسرى ومعايير الاتفاق بين الجانبين لم تتحدد وفق اتفاق ثنائي، بل ظلت محكومة للاعتبارات الداخلية التي يراها الجانب الإسرائيلي. وكما هو متوقع، فحتى هذا الاتفاق المتساهل خرقته إسرائيل ولم تف به تماما كما فعلت عند الاتفاق على الإفراج عن أربع دفعات في العام 2014 بعد جهود وزير الخارجية الأمريكي الأسبق جون كيري لاستئناف المفاوضات، وكما فعلت أيضا بإعادة اعتقال الأسرى الذين تحرروا بموجب صفقة شاليط «وفاء الأحرار» ما أفضى لتفاعلات ميدانية قادت لحرب على غزة بنفس العام. في السنوات اللاحقة لاتفاق أوسلو وضعت إسرائيل معايير مشددة للإفراج ضمن إجراءات بناء الثقة، ورفضت مرارا وتكرارا الإفراج عن أسرى الداخل، أو عن أسرى القدس، فضلا عمن تصفهم بأن على «أيديهم دماء يهودية» وفي اتفاقية طابا (أوسلو 2) العام 1995 واتفاقية واي ريفر في واشنطن العام 1998 تم الاتفاق على الإفراج عن دفعات إضافية من الأسرى، ولكن عند التطبيق كانت إسرائيل تفرج عمن تبقت له شهور قليلة، أو من أمضى أكثر من ثلثي فترة محكوميته، من دون الاستجابة للمطالب الفلسطينية بالإفراج عن ذوي الأحكام العالية أو من قضوا فترات طويلة في السجون. وتنوه مديرة المركز الفلسطيني للشؤون الإسرائيلية «مدار» دكتورة هنيدة غانم لـ «القدس العربي» أن حديث التسهيلات والامتيازات تدحضه الدراسات المتخصصة. ففي دراسة تعود إلى العام 2016 ترى الباحثة طالي حيروتي سوفير، في بحث نشره موقع «ذي ماركر» بتاريخ 14 تموز/يوليو 2016 أن نظام السجون في إسرائيل هو من أكثر الأنظمة شدة وصرامة في العالم. وفي دراستها أجرت مقارنات مع عدد من الدول الأوروبية يتبين منها أن نسبة عدد السجناء الأمنيين والجنائيين في إسرائيل إلى عدد السكان (256 لكل مئة ألف) تصل إلى أربعة أضعاف دولة مثل السويد وأكثر من ثلاثة أضعاف ما في هولندا، لكن النسب في جنوب أوروبا تقترب قليلا من إسرائيل التي لا يتفوق عليها في هذا الشأن في أوروبا سوى روسيا.

تبعات استشهاد عدنان على الأسرى

وفي المقابل أظهر استشهاد الأسير الشجاع خضر عدنان نوعا من ضعف أو تراجع الهبة الشعبية لنصرة الأسرى الفلسطينيين داخل الشارع الفلسطيني. صحيح أن استشهاده دفع المقاومة في قطاع غزة لتوجيه أكثر من 100 صاروخ نحو أهداف في إسرائيل تسببت بالنيل من هيبتها واستعلائيتها وغطرستها، ولكن بشكل عام بقيت ردود الفعل على استشهاد عدنان خضر مخالفة لما هو مستحق في مثل هذه الحالة. وهذه التوقعات جاءت على خلفية كون خضر عدنان متأصل يتعرض للاعتقالات الإدارية في معظمها منذ 20 عاما وسبق ان أضرب عن الطعام خمس مرات لفترات طويلة ويبدو ان سلطات الاحتلال رغبت هذه المرة بكسر إرادته وإرادة ما يمثله، فهل ينعكس ذلك سلبا على أحوال ومكانة الأسرى في السجون الإسرائيلية؟

سرديات «حلم صهيوني»: صدوع وانكسارات وفاشية

صبحي حديدي

انقضت 25 سنة على صدور «رصاص مطاطي: القوّة والضمير في إسرائيل الحديثة»، كتاب الأكاديمي والفيلسوف الإسرائيلي يارون إزراحي (1940–2019)، الذي صدر بالإنكليزية عن مطبوعات جامعة كاليفورنيا؛ وطوّر فيه المؤلف أطروحة مركزية في قراءته لمعضلات الاحتلال الإسرائيلي خلال تلك الحقبة. هذه دولة، ساجل إزراحي، تسدد أبهظ الأثمان لقاء انتقالها من المعجزة بحدّ السيف، إلى ما بعد الملحمة بالرصاص المطاطي؛ واستخدام هذه الذخيرة، تحديداً، في قمع الانتفاضة كان نقلة نوعية في السردية الصهيونية الكلاسيكية، الأسطورية والملحمية والتربوية. وكان، على صعيد شخصي، عتبة تدشّن انقطاع خيط الرواية الكبرى التي لَمّت شمل أسرة إزراحي اليهودية طيلة خمسة أجيال، منذ أواخر القرن التاسع عشر حين غادر أجداده أوكرانيا إلى فلسطين، وحتى أواخر القرن العشرين حين أدرك أنه يصارع قراراً مؤلماً بتجنيب ابنه آلام حلم صهيوني فادح الأثمان.

وكتب إزراحي: «في تلك الليلة من شهر كانون الثاني (يناير) عام 1988، حين شاهدت على شاشة التلفزة جندياً إسرائيلياً شاباً يجثو على ركبة واحدة ليسدد بندقيته إلى طفل فلسطيني لا يحمل سوى الحجارة، انتابني إحساس حادّ لا سابق له بالصدوع العميقة التي أخذت تتشكل داخل ملحمة عودتنا وتحريرنا في هذه الأرض، ولقد شعرت بفداحة الخسران، وبالتناقض الشديد في قوّة الرواية التي أدامت الحلم الصهيوني». وأقرّ إزراحي بأنّ محاولة دولة الاحتلال مصالحة أزمة الضمير مع فحشاء استخدام القوّة، لن تسفر عمّا هو أقلّ من هوّة فاغرة بين أجيال الجدّ والأب والابن؛ ولسوف تكون معركة سرديات متنازعة، ومتنازَع عليها، كلما اقتضت الحال تخليص النفس الإسرائيلية من، أو تحصينها بوسيلة، «الملحمة الكبرى» و«الحلم الصهيوني».

الأقدار شاءت أن يرحل إزراحي قبل أن يشهد ما هو أفظع بكثير، واقعة استشهاد الطفلة الفلسطينية إيمان الهمص (13 سنة)، خريف 2004، التي سقطت أرضاً بعد أن تعرّضت لإطلاق من نقطة مراقبة عسكرية إسرائيلية. لكنها كانت قد جُرحت فقط، حين تقدّم منها الضابط الإسرائيلي، قائد الفصيل، وأطلق طلقتين على رأسها من مدى قريب، ثمّ عاد من جديد إلى الطفلة وغيّر سلاحه إلى التلقيم الآلي، وتجاهل اعتراضات زملائه التي تواصلت عبر جهاز الاتصال، وأفرغ كامل الذخيرة في جسدها!

وعلى شاكلة قيادة جيش الاحتلال، التي بَرّأت الضابط المجرم من أيّ اتهام يومذاك، فإنّ طراز الضمير الذي اعتاد أمثال إزراحي امتلاكه في قليل أو كثير، لم يعد يؤرّقه الرصاص المطاطي، ولا الإعدامات الميدانية والتصفيات الجسدية للناشطين الفلسطينيين، ولا انحدار «الحلم الصهيوني» إلى سياسات فاشية صريحة ومنظومات أبارتيد أكثر صراحة. وجلّ ما يوقظه من سبات، إذا استيقظ حقاً، لا يتجاوز القلق على صلاحيات المحكمة العليا وتعيينات القضاة وهيمنة أمثال إيتمار بن غفير على مصائر سياسية وعسكرية وأمنية لا يجوز أن يلهو بها هواةٌ لم يؤدوا حتى الحدّ الأدنى من الخدمة العسكرية.

وقد لا تكون واقعة استشهاد الشيخ خضر عدنان محطة نوعية فارقة ضمن السجلّ الدموي الفاشي لطرائق الاحتلال في معاملة الأسرى الفلسطينيين عموماً، ومعتقلي ما يُسمّى «الاعتقال الإداري» خارج أيّ سلطة قضائية غير عسكرية، وخارج أيّ اتهام أساساً؛ لكنها، مع ذلك، تنطوي على امتياز تحت اصطلاح المقاومة بالأمعاء المضربة عن أيّ إطعام سوى حبيبات ملح أو سكّر. وما دام تاريخ الأسر الفلسطيني يبدأ من مطالع تأسيس الكيان الصهيوني، وتوفرت على الدوام ملاحم مقاومة سطرها السجين الفلسطيني من قلب زنزانته، وثلث أبناء فلسطين عرفوا تجربة الاعتقال أو الاحتجاز أو السجن أو الأسر، على نحو أو آخر... فإنّ تواريخ الاحتلال والإخضاع هي، أيضاً وفي آن معاً، تواريخ انتفاض وصمود ومقاومة؛ مقابل «حلم صهيوني» تلهث سردياته نحو أقصى الفاشية.

الأسرى الفلسطينيون بعد استشهاد الشيخ بين فرص الحرية واستمرار الخذلان

رام الله ـ «القدس العربي»: سعيد أبو معلا

لا جدال في أن حكاية الشيخ خضر عدنان هي «نهاية رجل شجاع» لكنها نهاية ماساوية ومفزعة، الجانب المخيف في هذه النهاية لا يرتبط بالشيخ إنما بالأسرى الآلاف الذين ما زالوا في السجون الإسرائيلية، فهؤلاء هم الذين يعيشون المأساة والفزع مع نهاية الشيخ التي حمل خلال حياته كما كبيرا من البطولة بصفته مقاتلا شرسا وباحثا أصيلا عن الحرية.

أما كلمات زوجته، رندة موسى بعد ساعات قليلة على خبر استشهاده، فما زالت ترن في الأفق، لقد وقفت أمام باب منزلها وتحملت خبر استشهاده وانتقدت بشدة الفصائل الفلسطينية والجهات القانونية والمقاومة الفلسطينية ومنها الفصيل الذي انتمى زوجها إليه، وجهت نقدا حادا في أكثر اللحظات عاطفية، ولا نقول ذلك للتقليل من قيمة النقد الذي قالته، بل لكونها جسدت عمليا أعلى مراحل حالة العجز التي وصل الفلسطينيون إليها، وفي أكبر وأطول لحظات الخذلان التي عاشها زوجها الذي استشهد وحيدا في زنازين الاحتلال في سجن الرملة رغم أنها أكدت أنه خضر عدنان «بين الشهادة والشهادة» مرارا وتكرارا. وقالت بما يشبه العتب الشديد: «يبدو أنه لا أحد يصدق أنه يموت إلا إذا مات».

تعميق ثقافة «لا»

المحامي المقدسي محمد عليان، المتحدث باسم حملة استعادة جثامين الشهداء، لخص حكاية الأسير الشهيد الشيخ بثلاث كلمات: «تركناه.. فخذلناه.. فقتلوه».

وفي معرض تعبيره عن مأزق الفعل الفلسطيني رغم الخطر الشديد على حياة الأسرى، بعد استشهاد الشيخ وقبله فاستخدم أربع كلمات لتلخيص الموقف: «وقفنا (وقفات احتجاجية).. هتفنا.. وتصورنا.. وغادرنا».

وأضاف «من وحي الوقفات الاحتجاجية بعد رحيل الشيخ أنه ليس المهم كم كان عدد المشاركين في الوقفة الاحتجاجية، وليس المهم من الذين شاركوا في الوقفات، وليس المهم من كان يقف في الصف الأول، غير أن المهم كنا نتحدث لبعضنا البعض عن أننا غير قادرين على عمل أي شيء حقيقي».

وتابع: «لقد فرطنا في خضر عدنان وفي الأسرى كلهم، وفي جثامين الشهداء..».

وأضاف عليان: «جميع المشاركين في وقفات الاحتجاج والتنديد كانوا يحملون طاقة سلبية، الجميع كانوا يبكون وحيارى، ماذا سنقول لزوجة الشهيد خضر عدنان؟ ما هي رسالتنا الحقيقية فيما لو ظهرنا على وسائل الإعلام؟ بصراحة لا أحد يعرف، لا أحد قادر على فهم حالة عجزنا وقلة حيلتنا، الوقفات، حمل اليافطات المنددة والمطالبة، الهتاف، ومن ثم نغادر، طيب وبعدين؟ لا أحد يعرف أين نحن ذاهبون».

ويختم: «صحيح أن هناك غضبا، صحيح أن هناك حزنا شديدا، لكن لا توجد استراتيجية للعمل المنظم، ليست هناك قيادة تحلل وتخطط وتنفذ، ليس هناك اتفاق على أي خطوات منظمة، ليس هناك توافق بين الأطراف، ليس هناك أي أفق».

وأضاف: «رسالة خضر عدنان يجب أن تكون أعمق من مجرد وقفة وشعار وهتاف، رسالته تعميق ثقافة اللا، وهي الثقافة التي يمكنها أن تنقلنا من مرحلة يا لعجزنا، إلى مرحلة يا لقوتنا».

استراتيجية موحدة وجامعة

وحسب الأسير المحرر عصمت منصور فإن سياسات الاحتلال بحق الأسرى تجاوزت كل ما أقدمت عليه الحكومات الإسرائيلية السابقة، فهناك تحريض وشيطنة بحق الأسرى ومضاعفة سياسة التنكيل بهم، فيما إيتمار بن غفير، وهو المسؤول المباشر عن ملف الأسرى قدم سياساته بحقهم وهي ضمن مسارين، الأول: المسار القانوني الذي شرعن فيه قانون الإعدام، واتخذ قوانين تتشدد في الإجراءات والعقوبات بحق الأسرى، والمسار الثاني مرتبط بالسيطرة على شروط حياتهم داخل السجون.

ووصف منصور حالة التصعيد بحق الأسرى بأنها متواصلة وممنهجة وخطيرة، «فنحن إزاء حكومة جمهورها معادي ويتغذى وينتعش ويزداد دعمه لقادته كلما أمعنوا بالتنكيل بحق الأسرى في ظل تعبئته بخطاب شيطنة، وهذا أولا، أما ثانيا فليست هناك محاولات كي تدفع هذه الحكومة ثمن جراء سياساتها، فهذه السياسات لا تتحول إلى ثمن وكلفة إعلامية وقانونية وميدانية». وأضاف: «فقط عندما هدد الأسرى بالإضراب مثلما حصل في رمضان الماضي، تراجع الاحتلال، لكنه تراجع مؤقت ما لبث أن عاد الاحتلال مجددا لحمله بحق الأسرى، فهناك سياسة أكثر عداء للأسرى، فيما هم في وضع صعب، هناك عشرات الأسرى بوضع صحي صعب جدا، كما أن هناك أسرى ممن قضوا بالسجن 30 عاما، فيما المئات منهم بحالة صحية سيئة، ويترافق ذلك مع انسداد في الأفق السياسي، وهو ما يصعب الوضع أمامهم».

ويرى منصور أنه يمكن العمل على استثمار حكاية الشيخ عدنان الذي يعتبر بحق رمزا للحرية والصمود ولكسر قرارات السجن الإداري التي فرضت ضده، فهو رمز وطني رفض الاعتقال الإداري وواجهه بجسده، لقد رفض فكرة أن يتم الزج بالأسرى لسنوات بالاعتقال بدون لوائح اتهام، وبدون أحكام وبدون أن يعرف الأسير موعد الإفراج عنه وأن يخضع لتقارير سرية وبمزاجية الاحتلال، فأعلن إضرابه الأول 2012 الذي استمر لشهرين محولا قضية الإضراب لقضية رأي عام عالمي، حيث أوصل قضية الإضراب الإداري لكل وسائل الإعلام.

وأضاف: «للأسف لم يتم البناء والاستفادة من هذا الزخم الذي أسسه عدنان، وتكرر الأمر إلى أن وصلنا لمرحلة دفع الاحتلال فيها الشيخ للاستشهاد، فنحن أمام جريمة واغتيال مباشر لكسر عدنان وهذا أولا، وكسر فكرة الإضراب وإفشال الأسلوب النضالي وإعادة صورة الردع لأمنهم حيث أصبح الإعدام على موضع التشريع والتنفيذ، وعلى رأس أولويات الحكومة الإسرائيلية».

وعن المطلوب حسب منصور فإن هذه الكلمة هي السؤال الذي يدور في ذهن كل أسير داخل السجون، ماذا نفعل كي نوقف القتل والإعدام البطيء بحق الأسرى داخل السجون؟

وتابع: «عدنان رفع في عام 2012 قضية الاعتقال الإداري لأعلى مستوى، ومع إعدام واغتيال عدنان في السجن مضربا فإنه يرفع مطلب حرية الأسرى وعلاجهم وإنقاذ حياتهم والتجاوب مع مطالبهم لأعلى مستوى من الاهتمام أيضا».

ورأي منصور أنه من هذه اللحظة التي يختلط فيها الحزن مع التصميم على تحرير الأسرى، على الفلسطينيين أن يشتقوا استراتيجية موحدة وجامعة، ليس عليهم البحث عن ردود فعل فردية أو عاطفية أو ارتجالية، بل عليهم صياغة استراتيجية وطنية تضع مطلب تحرير الأسرى على الطاولة، واستغلال السقف الذي رفعه خضر عدنان ضمن خطة يتعامل معها الجميع، السلطة ومؤسسات الأسرى، والمؤسسات القانونية ووسائل الإعلام، والفصائل والأحزاب، وأهالي الأسرى.

وشدد أن مطلب وضع الجهود معا في استراتيجية وطنية ليس فقط لأن عدنان استشهد، وليس فقط لأن ناصر أبو حميد سبقه بالاستشهاد قبل فترة قصيرة، أو أن الأسير وليد دقة مهدد بالموت بفعل المرض، بل لأن الأسرى يتعرضون لسياسة الموت البطيء فيما كل السياسات الفلسطينية السابقة بقيت عاجزة عن منحهم الحرية، وكل ذلك يترافق مع حكومة تتحدث عن أهدافها نهارا وجهارا المتمثلة في تركيع الأسرى وقتلهم وإعدامهم، «فلا مجال للانتظار، فالاستراتيجية مطلب ملح وبحاجة لمن يحملها وهي مسؤولية الجميع».

وحسب الكاتب زاهر أبو حمدة فإن ما حصل مع الشيخ عدنان هو درس كبير يجب أن يتلقفه الجميع، فقضية الأسرى ليست تفصيلا بسيطا في المشوار النضالي الطويل، وما حصل يمكن أن يتكرر.

وتابع أبو حمدة في مقال حمل عنوان «خضر عدنان والكثير من الخذلان» أنه من الخطورة في مكان أن يفقد الأسرى ثقتهم بالفصائل خارج السجن.

ورأى أن أصعب ما شعر به الشيخ قبل استشهاده يوازي ما شعر به أهله وأبناؤه التسعة، وهو الخذلان، فالإحساس يكون أقوى إذا نبع من شخص سخر حياته نصرة للأسرى وخدمة للناس، وحين احتاجهم لم يجدهم.

صواريخها في الميدان: المقاومة تقول كلمة الفصل في معركة الانتقام للشهيد خضر عدنان

غزة ـ «القدس العربي»: أشرف الهور

فضحت حادثة إعدام الأسير خضر عدنان، الذي قضى في محبسه الإسرائيلي، جراء المرض والإعياء الشديد الذي أصابه، مع طول إضرابه المفتوح عن الطعام، والذي وصل لـ 86 يوما، سياسات دولة الاحتلال العدوانية تجاه الشعب الفلسطيني على وجه العموم، والأسرى بشكل خاص، حين تركه الاحتلال يواجه مصيره، وفق خطة للتخلص منه، شارك فيها المستويان السياسي والأمني، غير أن الحادثة في ذات الوقت، أكدت أن ملف الأسرى، يعد أحد الثوابت الأساسية، للشعب الفلسطيني، بما فيها الفصائل المقاومة، وأنه يتحكم في درجة سخونة الميدان.

86 يوما مضت على إضراب هذا الأسير، دون أن تكترث سلطات الاحتلال لمطالبه بإنهاء اعتقاله التعسفي، بما يؤكد وجود قرار إسرائيلي اتخذ من كافة المستويات سواء السياسية أو الأمنية والعسكرية للتخلص منه، وإعدامه بطريقة بطيئة، دون نصب المشانق، لكسر إرادة الأسرى الفلسطينيين الآخرين الذين اعتادوا على مواجهة ظلمهم وزجهم بالسجون، بإضرابات عن الطعام، مستخدمين فيها فقط ما يملكون من عزيمة قوية، تساعدهم فيها أمعائهم الخاوية.

هذا الإضراب الذي بدأه الأسير خضر عدنان، منذ لحظة اعتقاله فجر يوم الخامس من شباط/فبراير الماضي، يؤكد أن آخر طعام تذوقه هو ذلك الذي تناوله مع أسرته، قبل اعتقاله بساعات، ليبقى يصارع بجسده الهزيل أركان دولة الاحتلال، وقوانينها العنصرية، كاتبا بذلك صفحة جديدة في نضال الحركة الوطنية الأسيرة.

ولم يأبه الأسير عدنان، إلى لائحة الاتهام الاحتلالية التي قدمت ضده هذه المرة، لإدانته بالسجن لأربع سنوات، بعد أن ظلت طوال اعتقالاته الإدارية الأخيرة تفشل في تمرير ما تريد، حين كان يقف يواجه آلة السجان الحادة وأغلاله الحديدية وأسوار سجنه المرتفعة، بأمعائه الخاوية، ليدخل إضرابا تلو الإضراب، يحقق خلالها انتصارات بالحصول على قرارات بإطلاق سراحه، متسلحا بأن اعتقاله الإداري وقتها غير مبرر، وغير قائم على أي تهم، وباطل قانونيا من وجهة نظر القانون الدولي، حيث يعد إضرابه من أندر الإضرابات عن الطعام، إذ لم يعتد من قبل أسير قدمت ضده لائحة اتهام على الإضراب طلبا للحرية، بل انصبت سابقا إضرابات الأسرى المحكومين، أو من يتهمهم الاحتلال بتنفيذ أعمال مقاومة، على تحسين ظروف الاعتقال، وهو ما يعني أن هذا الأسير، أسس نهجا جديدا لمقاومة الأسرى في السجون.

فعلى مدار أيام الإضراب الطويلة، التي قاربت الثلاثة أشهر، لم تلتقط إدارة السجون لأذين هذا الأسير، لتظهر مدى غيظها منه، باعتباره «مفجر ثورة الإضرابات» الحديثة في سجون الاحتلال، الشهيد، الاحتلال المسؤولية الكاملة عن جريمة اغتياله، وقال متوعدا «إن العدو سيدفع ثمن هذه الجريمة وثمن كل جرائمه بحق أسرانا وشعبنا».

حركة حماس على لسان الناطق باسمها عبد اللطيف القانوع، هددت بأن كل ساحات المقاومة «مشرعة للرد على جريمة اغتيال الشيخ خضر عدنان كما غزة» واعتبر أن استشهاده يعد «جريمة مدبرة يتحمل الاحتلال نتائجها ولن يمررها شعبنا مرور الكرام أو يقف صامتاً أمامها، واتهم الاحتلال بممارسة الإهمال الطبي بحق الأسير خضر عدنان، وكذلك رفض الإفراج عنه، وقال إن ذلك «يعكس الوجه الإرهابي والسلوك الفاشي الذي يمارسه بحق أسرانا» ودعا جماهير الشعب «الفلسطيني والشباب الثائر وأبطال المقاومة في كل مكان لتوجيه ضرباتهم للاحتلال الصهيوني رداً على هذه الجريمة النكراء».

أما الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، فشددت على أن «العدو الصهيوني يجب أن لا يفلت من العقاب على هذه الجريمة» وأضافت «ولن تثنينا هذه السياسات الإجرامية الاحتلالية عن مواصلة نضالنا، والاقتداء بنموذج المناضل خضر عدنان».

أما فصائل المقاومة في غزة، فدعت الفلسطينيين وتشكيلات المقاومة المسلحة إلى «تصعيد الاشتباك والمواجهة مع الاحتلال ردًا على هذه الجريمة النكراء».

ولم تكد تمضي سوى ساعات قليلة على تهديد قادة الفصائل بالرد على تلك الجريمة، حتى انطلقت عدة رشقات صاروخية من غزة مستهدفة المستوطنات الإسرائيلية المقامة على حدود قطاع غزة، معلنة بذلك بداية جولة جديدة من التصعيد عنوانها الانتقام للأسرى.

وفي تأكيد على أهمية الملف، تبنت الغرفة المشتركة لفصائل المقاومة الفلسطينية في غزة، المسؤولية عن قصف مستوطنات غلاف قطاع غزة بالصواريخ، وأطلقت عدة رشقات صاروخية في اليوم الأول لاستشهاد الأسير خضر عدنان، كـ «رد أولي على هذه الجريمة النكراء» وقالت إنها ستفجر رداً من أبناء الشعب الفلسطيني في كافة الساحات وأماكن الاشتباك، وقالت إن ما حدث مع هذا الأسير يعد «جريمة اغتيال صهيونية جديدة» خاضها «بعد معركة مشرفة من الإضراب عن الطعام خاضها بأمعائه الخاوية متحدياً السجن والسجان، ومسطراً أسمى آيات العز والفخار».

وأكدت أنها ستبقى وفية لدماء الشهداء وتضحيات الأسرى، لافتة إلى أن قضيتهم ستبقى على رأس أولويات قيادة المقاومة في كل الظروف، وحذرت العدو من أن تماديه في العدوان وارتكابه لأية جريمة أو حماقة «لن يبقى دون رد» وأعلنت أنها على أتم الجهوزية «سيفًا ودرعًا لشعبنا في كل مكان».

هجوم إسرائيلي ضعيف

وكان لافتا أن رد المقاومة المتتالي، لم يحسب أي حساب لأي هجوم إسرائيلي على القطاع، بعد أن أفقدت المقاومة جيش الاحتلال هيبته أمام شعبه، خاصة وأنه كان يتغنى دوما بقدرته على «الردع» مؤكدة بذلك استعدادها لخوض معركة طويلة تؤكد خلالها عدم رضوخها لسياسات فرض الأمر الواقع التي تنتهجها سلطات الاحتلال.

ولذلك عقد رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو، جلسة تقييم أمني، مع وزير الجيش يؤاف غالانت، وعدد من قادة الجيش والأمن، ليكشف عقبها أن الجيش أوصى بهجوم قوي ضد غزة.

لكن تلك الأنباء التي وردت من غرفة عمليات الاحتلال العسكرية، لم تخف المقاومة، التي تحدتها عمليا بالتقليل من شأنها، عبر إطلاق رشقات صاروخية جديدة، لتؤكد من خلالها أن ملف الأسرى كما ملف القدس والأقصى، يتحكمان في درجة التصعيد الفعلي للميدان.

كما ردت المقاومة برشقات صاروخية استهدفت المستوطنات القريبة من حدود غزة، أثناء القصف الإسرائيلي لمواقع المقاومة بغزة، ولم تتوقف هذه الرشقات، إلا باتفاق على وقف متزامن لإطلاق النار أقره الوسطاء، وبدا أن قيادة دولة الاحتلال لم تكن ترغب بتوسيع نطاق القصف، ووافقت على التهدئة، خشية من اتساع التصعيد إلى حرب، وهو ما دفع بالأحزاب اليمينية المتطرفة الشريكة في حكومة بنيامين نتنياهو، إلى توجيه الانتقادات للهجمات الإسرائيلية، ووصفتها بـ «الضعيفة» وقرر حزب الوزير المتطرف إيتمار بن غفير، مقاطعة جلسات «الكنسيت» الخاصة بالتصويت على القوانين، ولوح بالاستقالة.

ومن المحتمل أن تقييمات الأمن الإسرائيلي لحادثة استشهاد الأسير خضر عدنان، لم تكن تتوقع أن تشارك كل فصائل المقاومة بالرد على الجريمة، وأن يقتصر أمرها على حركة الجهاد الإسلامي التي ينتمي لها، متناسيا أن ملف الأسرى يهم كل الفلسطينيين على اختلاف انتماءاتهم.

ولذلك قال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس إسماعيل هنية، عقب انتهاء موجة التصعيد «إن المقاومة رسخت من خلال الجولة الراهنة حقيقة كونها الرصيد الاستراتيجي لشعبنا وأسرانا ومقدساتنا من خلال أدائها الموحد والذي كان جاهزًا لكل الاحتمالات في مواجهة العدو».

وأشاد بالشعب الفلسطيني والمقاومة «التي كانت وفيةً للشيخ الشهيد خضر عدنان وللحركة الأسيرة» لافتا إلى أنها «لم تتوانَ عن القيام بواجبها على امتداد ساحة المعركة مع الاحتلال وخاصة في غزة الأبية».

وأضاف «إننا إذ نجدد موقفنا الحازم من جريمة القتل المتعمد، نشدد وكما أبلغنا جميع الوسطاء الذين تدخلوا، على ضرورة تسليم جثمان الشهيد خضر عدنان لعائلته الصابرة ليحظى بما يليق بالشهداء الأبطال من التكريم والتبجيل».

وفي هذا السياق، قال عضو قيادة حركة حماس في قطاع غزة زكريا أبو معمر، إن الغرفة المشتركة أثبتت وفاءها لشعبها، وعبرت عن موقف الإجماع الوطني الذي لا يقبل الاستفراد بأي مكون من الشعب الفلسطيني، أو التلاعب بحياة أبنائه ومجاهديه ورموزه، ولا يقبل كذلك المساس بمقدساته.

أما نافذ عزام، عضو المكتب السياسي لحركة الجهاد الإسلامي، فقال إن «رد قوى المقاومة على جريمة اغتيال الشيخ خضر عدنان، يؤكد أن شعبنا كله مُجمع على خيار المواجهة والاشتباك، ولن يسمح للعدو بالاستفراد فينا» وأضاف «لن يستطيع الاحتلال أن يُغير المعادلات التي ثبتتها المقاومة» مشددا على أن تهديدات الاحتلال لن تخيف الفلسطينيين.

خضر عدنان شهيد آخر على درب «الصبر» الفلسطيني

خضر عدنان

هشام عبد الله

أضاف الناشط الفلسطيني خضر عدنان، لبنة جديدة في بناء ومسيرة مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، ابتدع سلاح الإضراب «الفردي» عن الطعام في وجه المعتقل والزنزانة وسار معتقلون آخرون على دربه. وعلى مدار 25 عاما من عمره القصير (45 عاما) انتصر وخرج من المعتقل في نحو سبع مرات، حتى لقي حتفه بعد معركة أيام الأمعاء الخاوية الـ 86 الأخيرة، أو كما تلهج ألسنة الفلسطينيين لهكذا مناسبة: «قضى صابرا ومحتسبا».

بل أن عائلته (زوجة وتسعة أبناء، أكبرهم تسعة أعوام) ومعهم أشقاء وأقارب، لم تتمكن من رؤيته ولا وداعه الوداع الأخير، حيث تحتجز سلطات الاحتلال الإسرائيلي جثمانه وترفض تسليمه. وعوضا عن فتح بيت عزاء، كتبت العائلة على صفحة فيسبوك أنها تستقبل المهنئين وقالت «إلى محبي شيخ الكرامة الشهيد الرباني المشتبك خضر عدنان ابو عبد الرحمن، ما زلنا موجودين لاستقبال المهنئين في بيت التهنئة في ديوان آل موسى في عرابة الخير – جنين».

المفارقة، أن أول اعتقال وأول اضراب عن الطعام لخضر عدنان، جاء عندما اعتقلته السلطة الفلسطينية بتهمة التحريض على رشق رئيس الوزراء الفرنسي الأسبق، ليونيل جوسبان، بالحجارة لدى زيارته جامعة بيرزيت عام 1998. وأمضى رهن الاعتقال في حينه 10 أيام مضربا عن الطعام.

إضافة إلى عدنان، لقي نحو 236 أسيرا فلسطينيا حتفهم في سجون إسرائيل التي تعتقل، حسب إحصاءات جمعية نادي الأسير الفلسطيني، قرابة 4900 معتقل في سجونها، بينهم 700 أسير مريض ومنهم 34 يعانون من أمراض مزمنة لا يسمحا مرضى السرطان، أبرزهم وليد دقة، المحكوم بالسجن المؤبد والذي قضى أكثر من 36 عاما في المعتقل.

وعلى مدار سنوات الاحتلال الإسرائيلي ظلت قضية الأسرى في معتقلات إسرائيل تتصدر أجندة القيادة والفصائل والحركات الفلسطينية الوطنية والإسلامية على حد سواء، ناهيك عن درجة أهميتها القصوى لدى الجماهير، لكن الأمور، مع قيام السلطة الفلسطينية واتفاق أوسلو، راحت تأخذ منحنيات مختلفة غير معهودة في تاريخ النضال الفلسطيني.

ولم تتوقف الأمور على ترك الأسرى وحيدين أمام بطش السجان، ماعدا صرف مخصصات مالية لهم ولعائلاتهم، بل أن كثيرا من المعتقلين السابقين لدى إسرائيل ما لبثوا وأن أصبحوا معتقلين لدى أجهزة الأمن الفلسطينية التي تقيم علاقة التنسيق الأمني مع إسرائيل.

وغير ذلك، لا تتوانى السلطة الفلسطينية في اعتقال فلسطينيين آخرين من المنتمين لمختلف الحركات والفصائل من دون تقديمهم للمحاكمة تحت طائلة المساس بالأمن القومي.

وبعد ساعات على مصرع خضر عدنان في المعتقل الإسرائيلي، لم تتردد أجهزة السلطة الفلسطينية التي اكتفت قيادتها بشجب واستنكار مقتله وتحميل إسرائيل مسؤولية ذلك، في قمع مسيرة تضامنية خرجت للتنديد بالجريمة في مدينة جنين بالضفة الغربية.

وإثر وفاة عدنان في زنزانته وهو مضرب عن الطعام، لم تسجل سوى تظاهرات ومواجهات محدودة في الضفة الغربية إضافة إلى رشقات من صواريخ المقاومة في غزة باتجاه المستوطنات الإسرائيلية، وهي هجمات توقفت سريعا بعد تدخلات وساطة من دولتي مصر وقطر لدى حركتي الجهاد الإسلامي التي ينتمي اليها عدنان وحركة حماس.

وبالرغم من مرور أشهر فقط على وفاة أسير فلسطيني آخر في المعتقلات الإسرائيلية، ناصر أبو حميد، الذي قضى في كانون الأول/ديسمبر الماضي، جراء تفاقم وضعه الصحي بعد إصابته بورم سرطاني ورفض إسرائيل علاجه أو إطلاق سراحه، لم تتغير ردة الفعل الفلسطينية، واكتفت السلطة الفلسطينية والفصائل والحركات الوطنية والإسلامية بإصدار بيانات الاستنكار والتنديد ومطالبة المجتمع الدولي بالتدخل لدى إسرائيل.

وروى أحد المدعوين للقاء دعت إليه حركة فتح لتدارس الوضع بعد وفاة خضر عدنان وقال «كان من لبوا الدعوة أقل من عدد أصابع اليد، ومعظم الحضور من موظفي الهيئة الداعية.. كل ما تم الخوض فيه لم يتعد حديثا عاما لا يقدم ولا يؤخر».

وفي الفترة منذ اعتقال عدنان في الثاني من شباط/فبراير الماضي وإعلانه البدء الفوري بالإضراب عن الطعام، لم يسجل سوى تفاعل محدود وخجول من الجمهور ومن الفصائل والقيادة خلال الـ 86 يوما من الإضراب، ما عدا نشاط بعض المنظمات غير الحكومية لاسيما جمعية نادي الأسير الفلسطيني.

ثمة هجران واضح للدعم على المستوى الرسمي وعلى مستوى الفصائل وكذلك الجماهير انحصرت ردات الفعل الرسمية والشعبية في البيانات الرسمية وفي تقديم التعازي والنعي على وسائل التواصل الإجتماعي، كما تجلى في حالتي مقتل خضر عدنان وناصر أبو حميد خلال الأشهر الماضية.

ولا يبدو ان حالة الأسير المريض وليد دقة تختلف كثيرا. حتى اللحظة لا يمكن تسجيل أي تغير في ردات الفعل الرسمية والفصائلية ولا في التفاعل الجماهيري. الوضع كما هو عليه، نشاط من بعض المنظمات الأهلية على غرار جمعية نادي الأسير الفلسطيني. وفي رده على سؤال لإحدى القنوات الفضائية، عبر رئيس نادي الأسير، قدورة فارس، عن قلقه الكبير من وضع الأسرى عموما في سجون إسرائيل، عندما قال إن «الحل الوحيد لانقاذهم هو تحريرهم» الأمر الذي يعتبر بعيد المنال، لاسيما مع وجود حكومة اليمين المتطرف وتولي شخص مثل إيتمار بن غفير مسؤولية السجون فيها، وهو الذي لا يتوانى في التعبير عن فاشيته وعنصريته ازاء الفلسطينيين.

وحتى على مستوى الحكومات الإسرائيلية الأخرى، لا سيما التي وقعت اتفاق أوسلو مع منظمة التحرير الفلسطينية لم يتغير الوضع كثيرا فيما يتعلق بالمعتقلين. إذا رفضت جميع الحكومات المتعاقبة منذ توقيع اتفاق أوسلو إطلاق سراح بقية الأسرى المعتقلين قبل أوسلو، وما زالت ترفض الإفراج عنهم.

ويقول راضي الجراعي، القيادي في حركة فتح وهو أيضا أسير سابق لدى إسرائيل، في حديث لصحيفة «القدس العربي»: «على مدار 86 يوما من اعتقاله وإضرابه (خضر عدنان) عن الطعام لم نلمس أي جهد حقيقي من أي مؤسسة دولية ولا على مستوى السلطة لإطلاق سراحه».

وأضاف: «بشكل عام ليس هناك تفاعل. عندما يكون هناك دعوة لحدث وطني، هذا يعطي مؤشر على مدى ومستوى عدم الثقة بين القيادة وبين الجمهور. الجمهور في واد والقيادة في واد آخر. هناك تقصير واضح جدا».

ويرى الجراعي أن «عدم وجود رؤيا سياسية ونضالية (لدى السلطة الفلسطينية) لكيفية التعامل مع الاحتلال ومع الخروقات والجرائم والتجاوزات والارتهان إلى إعلان الاستنكار والشجب ودعوات الآخرين للتدخل، كل ذلك يعمق الإحباط والثقة ما بين الشعب والقيادة».

ويتفق الكاتب أكرم عطا الله، مع ذلك تمام ويقول «السؤال الجارح للفلسطينيين الذين تركوا عدنان وحيداً يصارع دولة بأكملها، وحيداً يخوض معاركهم، وحيداً يموت في زنزانته دون أن يرفعوا كل الإشارات الحمراء في وجه إسرائيل التي كانت تستسهل موته وهي تراقب المتفرجين من سلطة وفصائل وشعب».

وأضاف: «ولامبالاة الشعب، هي أسوأ ما يحدث للفلسطينيين في أعوامهم الأخيرة، حيث خصخصة نضالهم الوطني العام وتناثر قضيتهم بين الفصائل المتعاركة والأفراد».

ومع وفاة عدنان التي اعتبرها الفلسطينيون تحذيرا لبقية الأسرى، تتعاظم المخاوف على حياة المعتقلين في السجون الإسرائيلية وعلى وضعهم بشكل عام، وهم الذين يعيشون ظروف اعتقال غاية في الصعوبة، وأن استطاعوا أن ينتزعوا بعض المطالب لتحسين ظروف معيشتهم.

وإضافة إلى تخوفه على وضع الأسرى، يقول الجراعي الذي قضى 12 عاما في سجون إسرائيل وبحسرة معلقا على موقف السلطة والفصائل: «إن عصابات المافيا لا تتخلى عن أسراها، أي تنظيم؟ أي سلطة تصبر على أسير يقبع أكثر من أربعين سنة وهو دخل السجن بسبب المقاومة والنضال ضد الاحتلال؟».

وقال: «ليست هناك ردة فعل حقيقية على ما تقوم به إسرائيل ضد المعتقلين، هناك سلطة ومعها مجموعة مؤسسات ولكن محصلة تأثيرهم في الواقع تساوي صفر، كلام في الهواء فقط، شجب واستنكار ولكن لا توجد نتائج».

استشهاد خضر عدنان يجدد تضامن الرأي العام العالمي مع فلسطين

لندن – «القدس العربي»: بلال عطية

تجدد الجدل العالمي حول القضية الفلسطينية في أعقاب استشهاد الأسير خضر عدنان بعد 86 يوماً من إضرابه عن الطعام في سجون الاحتلال الإسرائيلي، كما أن استشهاده أعاد تذكير العالم بقضية آلاف الأسرى الفلسطينيين المعتقلين في سجون الاحتلال، فيما سارع بعض النشطاء إلى استدعاء حالات مماثلة من التاريخ للنضال السلمي عبر الإضراب عن الطعام.

واستشهد الأسير خضر عدنان (44 عاماً) في سجون الاحتلال الإسرائيلي يوم الثلاثاء الماضي، فيما قالت مصادر فلسطينية من بينها نادي الأسير الفلسطيني إن عدنان تم اغتياله داخل السجن عبر الاهمال الطبي المتعمد ورفض نقله إلى مستشفى مدني، وهو ما أدى إلى وفاته. وقال نادي الأسير إن «هناك احتمالاً بأن سلطات الاحتلال أخضعت الأسير خضر عدنان لتغذية قسرية أدت لاستشهاده».

ودعت الوزارة في بيان مقتضب إلى «تشكيل لجنة تحقيق دولية للوقوف على ظروف استشهاد الأسير خضر عدنان» مضيفةً أنّ «منع الاحتلال لزيارته من قبل محاميه وأهله منذ عدة أيام كان مقدمة لقتله».

وتابعت: «لا نستبعد أنّ يكون الأسير الشهيد خضر عدنان تعرض لعملية تغذية قسرية، خاصة أنّ النيابة العسكرية الصهيونية هدّدت بذلك أكثر من مرة أمام المحكمة».

والشهيد الشيخ عدنان خضر من بلدة عرابة قرب جنين، وكان يعمل خبّازاً في مخبزه الخاص ببلدته، وهو متزوج وأب لتسعة من الأبناء، أصغرهم يبلغ من العمر سنة ونصفاً وأكبرهم (14 عاماً).

وباستشهاده عادت قضية الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال إلى واجهة الرأي العام الدولي، حيث كتبت العديد من الصحف الأجنبية والمواقع الغربية عن واقعة استشهاده وعن قضية الأسرى في سجون الاحتلال.

ولفتت جريدة «الغارديان» البريطانية في تقرير اطلعت عليه «القدس العربي» إلى أن «هناك عدة حالات بارزة من الإضراب المطول عن الطعام من قبل السجناء الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية تم تسجيلها في السنوات الأخيرة».

وقالت إن «الإضراب عن الطعام في السجون الإسرائيلية عادة ما يكون احتجاجاً على الاعتقال الإداري. وعلى الرغم من ندرة الوفيات، فقد عانى العديد من المضربين عن الطعام من مشاكل طبية خطيرة نتيجة لذلك».

وحسب «الغارديان» فإن «إسرائيل تحتجز حالياً أكثر من ألف معتقل فلسطيني رهن الاعتقال الإداري، وهو أعلى رقم منذ 20 عاماً، وفقاً لبيانات منظمة حقوق الإنسان الإسرائيلية هاموكيد».

وقال الكاتب والمحلل السياسي الفلسطيني ساري عرابي إن «خضر عدنان ليس أول أسير فلسطيني يخوض إضراباً عن الطعام، ولا هو أول من استشهد بسبب الاهمال الطبي الإسرائيلي، ومن ثم لدى الفلسطينيين تاريخ طويل من المظلومية والبرهان على طبيعة الاحتلال الإسرائيلي وسجونه وتعمد الاحتلال استخدام الاعتقال والسجن من أجل الإذلال والقهر، ويُضاف إلى ذلك مشكلة الاعتقال الإداري حيث يوجد الآلاف من الفلسطينيين الذين خاضوا هذه التجربة، وبعضهم من بقي في سجون الاحتلال رهن الاعتقال الإداري لست أو سبع سنوات، من دون محاكمة ومن دون أي لوائح اتهام واضحة».

وأضاف عرابي في حديث خاص مع «القدس العربي» أن «توصيف الوضع القانوني للأسرى الفلسطينيين يعتبر أيضاً قضية مهمة ويمكن العمل عليها أمام الرأي العام، وهل هم أسرى حرب أم مجرد سجناء».

وتابع: «من المؤكد أن استشهاد خضر عدنان وهو مضرب عن الطعام في ظل هذه المعطيات والسياقات يوفر حجة جديدة ومادة جديدة وبرهانا جديدا أمام الرأي العام العالمي لفضح الاحتلال الإسرائيلي وإثبات الرواية الفلسطينية».

لكن عرابي يقول إن «لدينا إشكال كبير في مخاطبة المجتمعات الغربية، سواء على مستوى المجتمعات والشعوب أو على مستوى الدول والأنظمة والسياسات، وفي كافة المحافل سواء الأكاديمية أو الإعلامية أو الفنية أو غيرها».

ويرى عرابي أن «من يتحمل المسؤولية الأولى والكبرى على التقصير في ترويج الرواية الفلسطينية أمام المجتمعات الغربية هو السلطة الفلسطينية التي لطالما تحدثت عن المحاكم الدولية ومقاضاة إسرائيل أمامها والجوانب القانونية للقضية الفلسطينية، ولكن بدون أن تكون هناك ثمار واضحة».

كما يلفت عرابي إلى أنّ قضية الأسرى هي واحدة من الملفات التي يُمكن مقاضاة إسرائيل بسببها أمام المحاكم الدولية، كما يشير إلى أنه «يوجد عدد كبير من السفارات الفلسطينية في العالم والتي يقع على عاتقها تصحيح الرواية عما يجري في فلسطين والتأثير في الرأي العام العالمي».

ويخلص إلى القول «إن الفلسطينيين يمتلكون المادة الكبيرة التي يُمكن تسويقها أمام الرأي العام في العالم، ولكن يبقى الأمر محكوما بأدوات العمل وتوافر إرادة حقيقية من أجل العمل على هذا الأمر».

يشار إلى أنه يوجد في سجون الاحتلال الإسرائيلي حالياً نحو 4900 أسير، بينهم 31 أسيرة، و160 طفلًا بينهم طفلة واحدة، إضافة إلى أكثر من ألف معتقل إداري بينهم ستة أطفال، وبلغ عدد الأسرى القدامى المعتقلون قبل توقيع اتفاقية أوسلو 23 أسيراً، أقدمهم الأسير محمد الطوس المعتقل منذ عام 1985. وبلغ عدد الأسرى الذين صدرت بحقّهم أحكام بالسّجن المؤبد 554 أسيراً.

مخاوف فلسطينية من تفعيل إسرائيل قانون إعدام الأسرى سرا

إسماعيل عبدالهادي

أبدت أوساط فلسطينية مخاوفها من بدء إسرائيل تطبيق قانون إعدام الأسرى الفلسطينيين بشكل غير معلن على أرض الواقع، وذلك في ظل ما يعانيه الأسرى من اهمال متعمد من قبل مصلحة السجون، ولاسيما فقدان عدد منهم حياتهم خلال الفترة الأخيرة، وحالة الاغتيال المتعمدة التي طالت الأسير خضر عدنان، الذي أعلن عن استشهاده صباح الثلاثاء الماضي بعد 86 يوماً من الإضراب عن الطعام رفضاً للاعتقال التعسفي داخل زنزانته.

وقالت وزارة الأسرى والمحررين الفلسطينيين، إن إدارة سجون الاحتلال الإسرائيلي اغتالت القيادي في الجهاد الإسلامي الشيخ خضر عدنان، الذي اعتقل في 5 شباط/فبراير الماضي رافضة نقله إلى مستشفى مدني، حيث استشهد في زنزانته بعد رفض كل المستشفيات الإسرائيلية المدنية استقباله حتى بعدما ساء وضعه الصحي، مشيرةً إلى أن هناك احتمالات بأن مصلحة السجون أخضعته لتغذية قسرية أدت لاستشهاده.

وتأتي حادثة الاغتيال بينما تسعى حكومة الاحتلال لفرض قانون إعدام الأسرى الذي صادق عليه الكنيست الإسرائيلي بقراءة أولى لإقراره وجعله سارياً، بعد المصادقة عليه من قبل غالبية الأعضاء مطلع اذار/مارس الماضي، حيث يتيح مشروع القانون فرض عقوبة الإعدام على أسرى فلسطينيين مدانين بقتل إسرائيليين، وينص أيضاً على أن الشخص الذي يتسبب عن قصد أو لامبالاة في وفاة مواطن إسرائيلي، وعندما يتم تنفيذ الفعل بدافع عنصري أو كراهية ولإلحاق الضرر بإسرائيل، فإنه يجب أن يواجه حكم الإعدام، كما يتيح القانون تهجير أي فلسطيني قام بتنفيذ عملية ضد أهداف إسرائيلية وسحب جنسيته، في وقت وصفت فيه مؤسسات حقوقية فلسطينية القانون بالعنصري وغير أخلاقي.

ويعتبر الشيخ خضر عدنان الذي خاض 6 إضرابات عن الطعام أيقونة وطنية ورمزاً من رموز المقاومة الفلسطينية في الضفة الغربية، سعت إسرائيل للقضاء عليه، كونه صنع حالة نضالية بالشارع الفلسطيني من خلال مشاركته في كل الفعاليات الوطنية والشعبية والتي ارتبطت بالمقاومة والشهداء والأسرى، وفي آخر عملية اعتقال له هدد ضابط بالجيش الإسرائيلي مخاطباً أبنائه قائلا: «أبوكم يحرك الضفة من شمالها لجنوبها بكلمة منه وسأجعله يموت في السجن» هذا التهديد كان مقدمة لنوايا الاحتلال لتنفيذ حكم الإعدام.

وتفتح قضية استشهاد القيادي الأسير خضر عدنان باب التساؤلات حول ما إذا كانت حكومة الاحتلال الإسرائيلي بدأت فعلياً تنفيذ قانون إعدام الأسرى بشكل غير معلن، ويعزز هذه الشكوك تعمد الاحتلال لأول مرة ترك أسير مضرب عن الطعام في زنزانة وحده بدون رعاية صحية حتى الموت.

وفي تعقيبه على ذلك، يقول الكاتب المختص في الشأن الإسرائيلي عصمت منصور إن إسرائيل وضعت قضية الأسرى والتنكيل بهم كهدف استراتيجي، كما استخدمت الأسرى مؤخراً كمادة للدعاية الداخلية والانتقام، ومشهد عمليات قتل الأسرى سياسة تنتهجها الحكومة بشكل متعمد.

وأوضح لـ«القدس العربي» أن قانون الإعدام حتى ولو تم إقراره بجميع القراءات الإسرائيلية، سيتم بشكل سري، خوفاً من تمرد الأسرى داخل السجون وإشعال الفلسطينيين الغضب بوجه إسرائيل، وربما أن إسرائيل قد حققت غايتها بما فعلته مع الأسير خضر عدنان الذي ترك يموت بدون مساعدته طبياً، وهذه السياسة ربما هي التي ستنتهجها إسرائيل في المرحلة المقبلة باستنزاف صحة الأسرى بالإهمال الطبي.

ولفت إلى أن سياسة التعامل مع الأسير خضر عدنان كانت مقصودة لكسر إرادته، كما أرادت إسرائيل تصفيته خاصة وأنه خاض مرات عديدة إضرابات عن الطعام كسر بها جبروت السجان، لذلك حاولت إسرائيل هذه المرة تسجيل انتصار معنوي على الأسرى، وايصال رسائل لهم مفادها أن سياسة الإضراب عن الطعام غير مجدية ونهايتها الموت.

ويرى أن عملية اغتيال الأسير عدنان تدل على سلوك جديد من الكيان وحكومة الاحتلال الفاشية بحق الأسرى من أجل تركيعهم، محذراً من أن هناك العديد من الأسرى الذين يعانون من أمراض خطيرة ويخوضون الإضراب عن الطعام، يواجهون نفس مصير الشهيد خضر عدنان في أي لحظة، في ظل الإهمال الطبي الممنهج والمتعمد من قبل مصلحة السجون.

ويطالب منصور السلطة الفلسطينية وفصائل المقاومة بتبني ملف الأسرى بشكل جدي وليس كشعار لإعادة الاعتبار للأسرى وفتح أفق لتحريرهم، في ظل وجود مئات يعانون من أمراض مزمنة، إضافة إلى دعوة الأسرى لإعادة ترتيب الأوراق الداخلية لهم، وخوض خطوات جماعية بعنوان واضح تعيد الاعتبار لمكانتهم. أما الكاتب المختص في الشأن الإسرائيلي راسم عبيدات فقد بين أن استشهاد الأسير خضر عدنان جاء بقرار من قبل الحكومة الإسرائيلية للقضاء عليه، كونه ساهم في حشد الشارع الفلسطيني، وتشجيع الأسرى الإداريين على خوض الإضراب عن الطعام لنيل حقوقهم.

وأشار لـ«القدس العربي» إلى أن ما جرى مع الأسير الشيخ خضر عدنان هو جريمة اغتيال غير معلنة من قبل مصلحة السجون، وهي السياسة الخطيرة التي من المتوقع أن تقوم إدارة السجون بتفعيلها بحق العشرات من الأسرى المرضى، ممن يعانون من إهمال طبي متعمد وترفض إدارة السجون تقديم العلاجات اللازمة لهم.

ولا يستبعد عبيدات أن نشهد خلال المرحلة المقبلة فقدان عدد من الأسرى لحياتهم بشكل متعمد، خاصة في ظل حملة التحريض المكشوفة التي تخوضها الحكومة اليمينية المتطرفة وبالتحديد وزير الأمن إيتمار بن غفير ضد الأسرى، ومحاولة شرعنة قوانين تمس بحياتهم وتزيد من معاناتهم داخل السجون، بالتزامن مع حالة الصمت العربي والدولي تجاه قضية الأسرى.

يشار إلى أن إسرائيل لا تزال تحتجز جثة الأسير خضر عدنان وترفض تسليمها، رغم التدخل من قبل الوسطاء الإقليميين الذين نجحوا في وقف التصعيد العسكري بين إسرائيل وغزة الذي ساد أعقاب إعلان استشهاد الأسير عدنان، حيث يهدد إصرار إسرائيل منع تسليم الجثة، بعودة التوتر الأمني بين الفصائل في غزة وإسرائيل خلال الأيام المقبلة.

السنة الخامسة والثلاثون العدد 10977 الأحد 7 أيار (مايو) 2023 – 17 شوال 1444 هـ

خضر عدنان ومعنى مقاومة السجان بأمعائه الخاوية: رحل بعد ما تحولت الضفة لسجن كبير تستباح فيها الدماء

إبراهيم درويش

بدت الضفة الغربية في الأسابيع الماضية مثل سجن كبير، عادت الحواجز التي تعطل حركة الفلسطينيين بين مدنهم وقراهم وتضع أعباء على العاملين في المؤسسات والمصالح العامة الذين لا يستطيعون الوصول إلى أعمالهم. ويلاحظ القادم من الجسر الفاصل بين الأردن والضفة الغربية الإجراءات المتشددة، حيث يقف الجنود على كل المعابر التي تؤدي إلى مدينة أريحا، ويتم تفتيش السيارات والتحقق من الهويات، والسبب البحث عن قتلة ثلاث نساء في غور الأردن الذي استعمرته إسرائيل وملأته بالمستوطنات وانتهت الملاحقة بالبلدة القديمة بنابلس يوم الخميس 4 أيار/مايو حيث داهمت بيتا وقتلت ثلاثة مقاومين قالت إنهم متورطون في القتل.

لكن حمام الدم لا يتوقف عن ملاحقة المقاومين بل وقتل المدنيين العزل عند الحواجز أو في مزارعهم حيث يهاجم المستوطنون البيوت والسيارات ويتصرفون دونما خوف من العقاب. وبنظرة قريبة تبدو الضفة الغربية مثل ساحة بلا نظام أو قانون، يواجه سكانها دولة تستخدم اليد الحديدية من خلال قواها الأمنية وتطلق العنان للمستوطنين كي يفعلوا ما يريدون وتواصل المصادرة للأراضي الفلسطينية واعتقال الشبان وقتلهم وتزيد من عمليات التوسع الاستيطاني ضمن نظام من الفصل التيار المتشدد الذي يسيطر على زمام الأمور معركة أخيرة لتركيع الفلسطينيين في الصراع الطويل للسيطرة على الإنسان والأرض. وكان أكبر تجل لهذا النظام هو وقاة المعتقل والقيادي في حركة الجهاد الإسلامي خضر عدنان والناشط الذي مات بعد 86 يوما في إضراب عن الطعام في سجن الرملة، حيث وجد ميتا في 2 أيار/مايو. والقت الوفاة الضوء على الحركة الفلسطينية الأسيرة التي طالما استخدمت سلاح الإضراب عن الطعام كوسيلة لتحقيق مطالبها من السجان ومن سلطات الاحتلال. كان عدنان قد كرس حياته في المعتقل ومجموعها ثماني سنوات وبحصيلة 6 إضرابات عن الطعام تراوحت ما بين 25 و 66 و86 يوما لمكافحة نظام الاعتقال الإداري التعسفي، وهو نظام عملت به السلطة الانتدابية البريطانية وواصلت إسرائيل استخدامه بحيث يتم تجديد الفترة الاعتقالية كل ستة أشهر بدون حاجة لأن تقدم في إسرائيل لائحة اتهامات ولا محاكمات تقود إلى إدانة.

نظام الفصل

ورأت منظمة العفو الدولي/ أمنستي انترناشونال في وفاة عدنان أنها سلطت الضوء على المعاملة المهينة والوحشية التي تعامل فيها إسرائيل السجناء الفلسطينيين. ورأت في بيان لها صدر يوم 3 أيار/مايو الجاري مشيرة إلى أن وفاة السجين الفلسطيني خضر عدنان هو تذكير للثمن الذي يدفعه الفلسطينيون الذين يتحدون الأبارتيد الإسرائيلي ونظام العدالة العسكري المزور ضدهم. وقالت إن السجناء الفلسطينيين طالما استخدموا وبشكل منتظم الإضرابات عن الطعام لتحدي السياسات هذه والمخاطرة بصحتهم وحياتهم من أجل الحقوق التي تحرمهم إسرائيل منها. وقالت المنظمة إن خضر الذي كان خبازا بالمهنة خلف وراءه تسعة أولاد وزوجته رندا التي طالما قامت بحملات للإفراج عنه. واعتقل 13 مرة منذ 2004 نظرا لانتمائه للجناح السياسي لحركة الجهاد الإسلامي التي قام جناحها العسكري بضرب الإسرائيليين. ولم توجه لخضر عدنان أبدا تهما تتعلق بالعمل العسكري، حيث قضى 6 أعوام في السجن الإداري. ويتهم الفلسطينيون إسرائيل بقتل خضر عدنان، فعندما كانت حياته في خطر رفضت السلطات الإسرائيلية السماح بنقله إلى عناية خاصة بمستشفى مدني وتركته يموت في زنزانته. ويعتبر عدنان أول فلسطيني يموت نتيجة للإضراب عن الطعام منذ عام 1992 وكانت معاملة سجين معروف بإشارة مثيرة للرعب عن جرأة إسرائيل في احتقارها لحقوق وحياة الفلسطينيين، كما قالت هبة موراييف، المديرة الإقليمية للشرق الأوسط وشمال أفريقيا في أمنستي. مشيرة إلى أن عدنان دخل في خمسة إضرابات عن الطعام، منها أربع مرات للاحتجاج ضد الاعتقال الإداري والخامسة ضد اعتقاله، ومثل بقية الفلسطينيين لم يكن لديه الوسيلة لتحدي الظلم الذي يتعرض له آلاف الفلسطينيين الذين يعانون من نظام الفصل العنصري.

خيانة المهنة الطبية

وبات من الصعب على الفلسطينيين تحدي نظام الفصل العنصري الإسرائيلي. ومن يشاركون في التظاهرات يواجهون خطر الاعتقال أو الجرح أو القتل غير القانوني. ويمنع المدافعون عن حقوق الإنسان من السفر أو يعتقلون أو يرحلون وينقلون بالقوة، فقد تم منع حركة المقاطعة ضد إسرائيل وكذا منظمات حقوق الإنسان.

وكان الشهيد خضر عدنان قد اعتقل في شباط/فبراير 2023 ووجهت له محكمة عسكرية تهمة «التحريض على العنف» وذلك بسبب زيارته لعائلات السجناء الفلسطينيين ومشاركته في جنازات الذين قتلوا برصاص الجيش الإسرائيلي. ولم توجه لخضر في الفترات التي قضاها في السجن أي تهم وكان قادرا على تحدي نظام الاعتقال الإداري بالإضراب عن الطعام، لكن توجيه تهم وإدانة له في المرة الأخيرة كان أمرا غير عادي. وزعمت إسرائيل أن خضر رفض العناية الطبية التي قدمتها له، مع أنها رفضت في الحقيقة توفير العلاج الاختصاصي له والمراقبة التي كان يحتاجها والتي لا تتوفر إلا في مستشفى مدني. ولكن مصلحة السجون الإسرائيلية أرسلته إلى زنزانته ووضعت حارسين عليها كانا يفحصان بين فترة وأخرى إن كان حيا أم لا. وكان حرمانه من العلاج الطبي المناسب انتهاكا لحقوقه ويمثل معاملة تزدري الحياة وغير إنسانية. هذا إلى جانب الاعتقال الإداري الذي يقوم على أدلة تقدمها المخابرات وتصادق عليها المحاكم العسكرية بشكل آلي. وتعد معاملة إسرائيل التمييزية المنظمة للفلسطينيين من خلال الحبس الإداري جزءا من نظام الهيمنة والقمع ضد الفلسطينيين وهي جريمة ضد الإنسانية، حسب ميثاق روما للمحكمة الجنائية الدولية. وأشارت صحيفة «الغارديان» (2023/5/3) الطبيبة لينا كاظم حسن، مديرة أطباء من أجل حقوق الإنسان فرع إسرائيل زارت خضر في 24 نيسان/إبريل وأصدرت دعوة عاجلة لنقله إلى المستشفى لمراقبته. ورفضت محكمة إسرائيلية عريضتين من المؤسسة تطالب بنقل خضر عدنان إلى المستشفى والسماح لعائلته بزيارته. وقالت «كانت قدراته المعرفية جيدة للتحدث معي ولكنه كان ضعيفا جدا، وفقد وعيه بشكل منتظم، وكان من الواضح أن إسرائيليين في الماضي أن عدم تسليم الجثة قد يردع الآخرين من القيام بعمليات مسلحة أو تحويل جنازاتهم لمشاهد احتفالية تمجدهم. وتعتقد إسرائيل أن حركة حماس التي تسيطر على غزة ستحتفظ بجندين إسرائيليين ما زالا على قيد الحياة وبقايا اثنين قتلا أثناء الحرب بين حماس وإسرائيل في 2014. ومنذ عام 2015 رفضت إسرائيل تسليم جثث 130 دفنت في مقابر مجهولة أو ظلت في الثلاجات، وتضم جثث 12 ماتوا في السجون، بمن فيها جثة خضر عدنان. ودفن حوالي 250 جثة في مقابر الأرقام، وبعضها يعود إلى سنوات السبعينات والثمانينات من القرن الماضي.

وتمثل حياة خضر عدنان ومعركة الأمعاء الخاوية التي خاضها إلى جانب السجناء الفلسطينيين رمزا للبحث عن الحياة وتأكيد قوة الجسد الجائع على السجان. وقد خاض معركته وحيدا، فهو الشهيد الـ 237 من شهداء الحركة الأسيرة منذ عام 1967 وهو الخامس منذ 1980 والشهيد الأول منذ عام 1992 والشهيد الـ 65 ممن ماتوا نتيجة للإهمال الطبي. وبالتأكيد لن يكون الأخير، لكن ما يثير في تجربة عدنان خضر أنه كان يحب الحياة ويحب عمله وأبناءه، لكنه كان لا يسكت على الضيم. ويتذكر زميله في السجن والإضراب محمد القيق بمقال نشره موقع «ميدل إيست آي» (2023/5/4) كيف قاد خضر عدنان الاحتجاج ضد زيارة زير الخارجية الفرنسي ليونيل جوسبان في 2000 لجامعة بيرزيت حيث وصف فيها المقاومة للاحتلال بالإرهاب، إلا أن طالبا كان يدرس الاقتصاد الرياضي بالجامعة وقف واحتج على الوزير وانضم إليه بقية الطلاب. وكان هذا الحادث هو تأكيد لطبيعة الطالب الذي قرر أن يعتمد على نفسه بعد تخرجه، حيث افتتح مخبزا وكان يعمل مع زوجته رندا وأطفاله في الساعات الأولى من الصباح حيث كان يخبز ويعد المناقيش وينقلها إلى سوق قباطية القريب. ويتذكر القيق كيف اعتقل مع خضر عدنان، عندما نقل مع سجناء من سجن مجدو، في الشمال إلى سجن النقب في الجنوب، حيث أهان الجنود السجناء وضربوهم وعند وصولهم إلى السجن رفض خضر عدنان النزول ليعاد إلى مجدو. وقاد خلال حياته مسيرة من الاحتجاج الفردي، ففي 1998 قضى عشرة أيام مضربا عن الطعام. وفي 2011–2012 قاد إضرابا عن الطعام مدة 66 يوما احتجاجا على الاعتقال الإداري. وتبعه إضراب 2015 واستمر52 يوما والأمعاء الخاوية في 2018 استمر 56 يوما و 2021 مدة 25 يوما، وأخير إضرابه الأخير. ويقول القيق «أعرف أن عدنان لم يكن يريد الموت أو المعاناة، فقد أحب الحياة وأراد البقاء حيا حرا من الظلم والإهانة، الحياة التي عاشها مع زوجته وأطفاله، ولكن كان يرى في الإضراب عن الطعام أقوى سلاح يسمح له بالعودة إلى الحياة في أسرع وقت». ويظل الإضراب عن الطعام هو أكثر الطرق السلمية التي يرفض فيها السجين عنف سلطات الاحتلال. فاعتقال شخص واحتجازه في السجن بذريعة «الخطر الأمني» بدون توجيه تهم أو محاكمة هو أعلى درجات الظلم. ويتذكر أبناؤه وأصدقاؤه أبا محبا وزوجا وناشطا مصمما وخلف وراءه إرثا من مقاومة الاحتلال. وفي تقرير لموقع «ميدل إيست آي» (2023/5/5) تحدث أبناء خضر عن ثقل العيد هذا العام عليهم، فقد كان والدهم في إطار الحجز الإداري وهو أعلى رقم منذ عشرين عاما حسب منظمة حقوق الإنسان الإسرائيلية «هاموكد».

المقايضة بالجثة

وبعد معركة الإضراب عن الطعام وارتقاء خضر عدنان شهيدا، تواجه عائلته مشكلة في استعادة جثته ودفنها بمسقط رأسه في بلدة عرابة، جنين. وقالت صحيفة «نيويورك تايمز» (2023/5/5) إن رفض إسرائيل تسليم جثة خضر عدنان أثار الانتباه إلى ممارسة الاحتفاظ بجثث الفلسطينيين في ثلاجات وقبور بأرقام كورقة للمقايضة ببقايا الإسرائيليين الذين تحتفظ بهم الجماعات الفلسطينية. وقال حسن جبارين، مدير عدالة، منظمة حقوق الإنسان والمركز القانوني «إنه عقاب جماعي» و«هذه أجساد أشخاص عاشوا تحت الاحتلال الإسرائيلي». وردد الفلسطينيون إلى جانب منظمات حقوق الإنسان كلامه قائلين إن عدم تسليم الجثث هو عقاب لعائلات الموتى وقد يكون خرقا للقانون الدولي. واحتفظت إسرائيل منذ احتلالها الضفة الغربية بمئات جثث الفلسطينيين الذين ماتوا بالسجون أو قتلوا في عمليات مسلحة. ويتم الاحتفاظ بها ولعدة سنين في مركز الطب الشرعي أو يتم دفنها في قبور تحمل شاهدة برقم، فيما يطلق عليها الفلسطينيون «مقبرة الأرقام». وأقرت المحكمة العليا الإسرائيلية في 2019 بحق الجيش الإسرائيلي الاحتفاظ بجثث الفلسطينيين التي تم الحصول عليها خلال عمليات أمنية لغرض المفاوضات. واقترح المسؤولون الإسرائيليون في الماضي أن عدم تسليم الجثة قد يردع الآخرين عن القيام بعمليات مسلحة أو تحويل جنازاتهم لمشاهد احتفالية مع المضربين عن الطعام واضحة؛ كان يجب نقله للمستشفى بعد 45 يوما». وقالت الصحيفة إن الإضرابات عن الطعام معروفة في داخل السجون الإسرائيلية حيث يعبر السجناء الفلسطينيون عن غضبهم من طريقة المعاملة وعدم توفر الاحتياجات الضرورية أو سياسة مصلحة السجون في منعهم الحصول على قدر من الزيارات أو الكتب للقراءة وغير ذلك. ومن المعروف أن وزير الأمن الجديد، إيتمار بن غفير وصل إلى المنصب بتهديد للسجناء وأنه يريد حرمانهم من كل شيء. وتحتجز إسرائيل أكثر من 1.000 فلسطيني

Volume 35 - Issue 10977 Sunday 7 May 2023

اليوم الـ76 في إضرابه. وكان غيابه حاضرا ففي العيد «كان يأخذنا للمتنزهات ويلعب معنا ويفرحنا ويشترى الألعاب لنا» يقول ابنه. وترك «الشيخ» كما يقول ذكرياته عن البطولة بين الأبناء والأقارب وزملاء السجن. كان يأمل بالخروج من السجن وأسر لزوجته رندا موسى انه يرغب بتناول المنسف حالة انهى إضرابه، لكنه رحل قبل أن يحقق رغبته. كان خضر عدنان، المولود عام 1978 من أشهر الناشطين في الضفة الغربية. وبعد إضراب عام 2011– 2012 تحول لأهم ناشط يدافع عن الحق الفلسطيني. وبعيدا عن النشاط كان الزوج المحب والحاني كما تقول زوجته، وكان يساعد أطفاله بواجباتهم ويطبخ لهم وجبات شهية يخترعها. وتقول ابنته معالي «أشعر بمزيج من الحزن والسعادة، لقد تحطم قلبي لفقداني شخصا عزيزا علي ولكنني سعيدة لأنه حقق هدفه». و «في كل مرة يدخل فيها السجن كان مصمما على الخروج إما حرا أو الموت شهيدا».

أداة مقاومة

كان خضر عدنان يعرف أن كل ما يملكه هو أمعاؤه الجائعة لكي يسجل موقفا، فلطالما ظل الإضراب عن الطعام وسيلة لا عنف ضد المحتل ولدعم القضايا العادلة. وترى صحيفة «نيويورك تايمز» (2023) أن الإضراب هو سياسي وعادة ما تلجأ الحكومات لتغذية إجبارية للمضربين من خلال أنبوب يدخل عنوة في معدة المضرب، مع أن الأمم المتحدة تعتبر رفض السجين حقا. وقد استخدم هذا الأسلوب الزعيم الهندي موهانداي كي غاندي الذي قام بعدة إضرابات في أثناء المقاومة الهندية ضد الاستعمار البريطاني. ورفض السجناء حول العالم الطعام للفت انتباه العالم إلى عدد من القضايا، مثل الاحتجاج ضد الديكتاتورية وتحسين ظروف السجناء. وترى الأمم المتحدة والجمعية الطبية العالمية أن رد السلطات وإجبار المضربين على الطعام هو «نوع من التعذيب ولا يتوافق مع الأخلاقيات الطبية» إلا أن هذا لم يمنع الجيش الأمريكي من محاولة إجبار معتقلي غوانتانمو على تناول الطعام عام 2005. وأقرت إسرائيل في 2015 قانونا يعطي سلطات السجن حق إجبار السجناء على تناول الطعام. عاش خضر عدنان مقاوما وتعرض للهجوم من السلطة الوطنية التي سارعت لتبني ارتقائه إلى السماوات العلى وخصص وقتا لتغطية وفاته وشجب إسرائيل. لكن آلة القتل مستمرة، فمن مخيم جنين إلى أريحا وطولكرم ونابلس لا يتوقف القتل اليومي، ففي يوم السبت 2023/5/6 قتلت اثنين في مخيم عين شمس، طولكرم.

عندما ينتصر الأسير على السجان: نضال الأسرى الفلسطينيين من خلف القضبان

نيويورك ـ «القدس العربي»: عبد الحميد صيام

كان استشهاد خضر عدنان يوم الثلاثاء الماضي بعد انتهاء يومه السادس والثمانين لإضرابه عن الطعام متوقعا. فقد بدأت حركته تضعف وقواه تنهار منذ دخوله اليوم الثمانين. رفض أن يأخذ شيئا سوى الماء كما رفض التغذية القسرية وتمسك بمطلبه في الحرية لأنه لم يرتكب ما قد يدان عليه حتى بمعايير الفاشيين. فإما المحاكمة أو الإطلاق. كان يصر على أنه يحب الحياة ويحب عائلته ويحب وطنه وشعبه لكنه يحب الحرية أولا: فإما الحرية حيا وإما الحرية شهيدا. وقد نال الحرية الأبدية ليصبح الشهيد رقم 237 الذي يرقى في زنازين الفاشيين.

لقد دخل في معركة «كسر عظم» مع إيتمار بن غفير، مسؤول الأمن الداخلي بما فيها إدارة السجون، الذي أقر سلسلة من القوانين الجديدة تتعلق بالأسرى الفلسطينيين لكسر إرداتهم وإذلالهم وإغلاق نوافذ الأمل أمامهم. انتصر خضر على سجانيه مرات قبل هذه المرة وبنفس الطريقة. فقد استعاد حريته في إضراب عن الطعام عام 2012 في اليوم السابع والستين. وعاد وأضرب عن الطعام مرة أخرى عام 2015 وانتصر على سجانيه بعد 56 يوما. لكن هذه المرة، أراد الفاشي أن يكسر إرادة الشيخ عدنان وفشل. آثر الشهادة على التراجع عن مطلب الحرية الذي رفعه منذ اعتقاله يوم 5 شباط/فبراير الماضي وهو نفس اليوم الذي أعلن فيه الإضراب عن الطعام. تمسك بمطلبه وأصبحت قضيته قضية الوطن كلها والأسرى كلهم وتردد اسمه في كل منابر الإعلام والصحافة في العالم بما فيها الأمم المتحدة، حيث أصدر الأمين العام للأمم المتحدة بيانين واحد قبل استشهاده يطالب بمحاكمته أو الإفراج عنه والثاني يوم استشهاده حيث أعرب عن قلقه لوفاة خضر عدنان. وطالب السلطات الإسرائيلية بضمان إجراء تحقيق شامل في ملابسات وفاته، كما دعا السلطات الإسرائيلية بوضع حد لممارسة الاعتقال الإداري، «فإما أن يتم توجيه تهم فورية لجميع المحتجزين إداريا ومحاكمتهم أمام محكمة أو إطلاق سراحهم دون تأخير».

القوة المعنوية للأسرى

يقبع في السجون الإسرائيلية الآن 4750 أسيرا و29 أسيرة و160 طفلا، و900 معتقل لا يعرفون متى يحاكمون أو يتحررون. ودخل السجون والمعتقلات الصهيونية منذ عام 1967 واحد من بين كل أربعة فلسطينيين لتكون من أعلى النسب في العالم قياسا لعدد السكان. ولا يمر يوم دون مداهمة، أو اعتقال أو مطاردة أو اغتيال. ففي شهر نيسان/أبريل اعتقل 711 شخصا من بينهم 79 طفلا و6 نساء. وانتهجت السلطات الصهيونية سياسة كسر الإرادة الفلسطينية وتطويع النفوس الشامخة من خلال الأسر. إلا أن هذا لم يضعف ولم يفت من عزم الفلسطينيين بل زادهم تصميما وتحديا للسلطات. تحول السجن إلى مدرسة وجامعة ومركز تدريب ومنبر للمحاضرات وفرصة للنقاش بين الفصائل والاتفاق على برامج نضالية مشتركة. تخرج من السجون الأساتذة والنشطاء والقادة السياسيون. ونستطيع أن نجزم أن قيادة الانتفاضة الأولى عام 1987 كانت بشكل رئيسي من الأسرى المحررين في صفقة التبادل الكبرى عام 1986. ولا يمكن كذلك أن ننسى «وثيقة الأسرى للوفاق الفلسطيني» التي صدرت في أيار/مايو 2006 والتي جاءت على خلفية الصدع الفلسطيني الذي تعمق إثر الانتخابات التشريعية التي جرت في كانون الثاني/يناير 2006 وفازت فيها حركة حماس، لكن السلطة الفلسطينية قررت مقاطعتها وعزلها تحت ضغوط خارجية وعربية وكانت الأجواء مشحونة خاصة في غزة تنذر بمواجهات بين الفصيلين الكبيرين والذي حدث فعلا بعد سنة من ذلك التاريخ.

وقد كتب الأسرى في رسالة جماعية هربت من السجون والمعتقلات تقول: «نحن أحياء في مدافنكم، لن نموت ولن نهزم رغم المحنة المظلمة، ولن نتخاذل وسننهض، ولن نكون إلا كما يرانا شعبنا ويحب، مرفوعي الرؤوس منتصبي القامات ومناضلي حرية».

وسائل المقاومة

لقد استخدم الأسرى عدة وسائل في نضالهم المتواصل لتحقيق مطالبهم. ويمثل العصيان الجماعي أكثر الخطوات تأثيرا وفاعلية. ومن بين الخطوات رفض استلام الطعام أو رفض الخروج إلى الساحة ما يسمى بـ«الفورة» أو الصراخ المتواصل أو الضرب على الجدران أو رفض التعامل مع السجانين أو حجزهم. لكن الإضراب عن الطعام (معركة الأمعاء الخاوية) الفردي والجماعي ما زال يعتبر السلاح الفعال لمواجهة الإجراءات التعسفية والظالمة والإجرامية بحق الأسرى. الإضراب عن الطعام يبقى الأسلوب الأكثر تأثيرا على الرأي العام عندما يبدأ العد التصاعدي للأيام بحيث يصبح الوطن كله يعد الأيام مع الأسير، وقد ضرب بعضهم أرقاما قياسية مثل سامر العيساوي الذي أضرب عن الطعام 287 يوما، والأسير هاشم أبو هواش أضرب لمدة 132 يوما. وأضرب نحو 1380 أسيرا إضرابا جماعيا عن الطعام في أيلول/سبتمبر 2021 وبدأت أعداد الأسرى المنضمين للإضراب تتزايد فانصاع العدو لمطالبهم.

لقد تحول كل أسير فلسطيني بما يملكه من إرادة كالفولاذ، لا تنحني ولا تلين، إلى مخرز يسمل عيون أعدائه ودرع يحمي رفاقه وإخوته وتحولت ساحات السجون إلى منطقة مواجهات ومناكفات وتحد بين إرادة طالبي الحرية وفاشية السجان.

إن أعظم ما يحتاجه الأسرى هو التضامن معهم في الخارج. فكلما زاد الالتفاف حولهم خارج السجون كلما تعزز صمودهم أكثر. وقد طالب الأسرى في إضراب 2023 جميع الفلسطينيين بنصرتهم والتضامن معهم واعتبار يوم الجمعة من كل أسبوع يوم غضب نصرة للأسرى. وأكد الأسرى أن خطوات العصيان ستكون مفتوحة حتى التاريخ المحدد لخطوة الإضراب عن الطعام التي كانت مقررة في الأول من رمضان، لكن الكيان أحس بخطورة النضال الجماعي للأسرى وتأثيره على الرأي العام وخاصة شحذ روح الانتقام لدى الجماهير الفلسطينية فحققوا مطالبهم بسرعة.

مطالب الأسرى

تتضمن مطالب الأسرى عادة السماح أولا بزيارات الأهل والأقارب ليس فقط أفراد العائلة بل أوسع من ذلك، كما تشمل إدخال الكتب ووسائل الكتابة والسماح باستخدام أوسع للهاتف للاتصال مع الأهل وتحسين نوعية الطعام والسماح للأسرى بإعداد وجباتهم بأنفسهم وتسهيل لقاءاتهم مع محاميهم والسماح بنشر ما يكتبون خارج جدران الأسر وإلغاء السجن الانفرادي وتسهيل الوصول للعلاج الطبي والسريع ووقف الممارسة الفاشية بإهمال الأسير طبيا حتى الموت كما حصل مع الأسير ناصر أبو حميد وكما يحصل الآن مع الأسير وليد دقة. أما المعتقلون الإداريون فتنحصر مطالبهم بالإخلاء أو المحاكمة.

والجدير ذكره أن إدارة سجون الاحتلال فرضت عقوبات جماعية بحق الأسرى في عدد من المعتقلات، ردا على خطوات «العصيان» التي نفذوها رفضا لتطبيق إجراءات المتطرف بن غفير. وبدأت سلطات الاحتلال العقوبات ضد الأسرى، في بعض السجون بخفض كمية المياه المخصصة لهم يوميا، وكذلك تقنين وقت الاستحمام، لجعلها دقائق قليلة لكل أسير.

وتشمل خطة بن غفير التي أعلنها عقب توليه منصبه كوزير للأمن القومي، حيث تتبع إدارة السجون لسلطاته، فرض عقوبات ووقف توزيع الأسرى داخل السجون بناء على الانتماء السياسي، وإلغاء ممثل الأسرى، ومنع الأسرى من طهي طعامهم بأنفسهم، أو شرائه من الكانتين في السجن، علاوة على قرار إجراء عمليات تنقلات واسعة للأسرى، تستهدف 2000 أسير وسحب مقتنياتهم وتعريضهم للضغط النفسي والجسدي وعدم الانصياع لمطالبهم.

حوار

عبد الرزاق مقري الرئيس السابق لحركة مجتمع السلم الجزائرية:
لدي الرغبة والقدرة لرئاسة الجزائر

حاوره: محمد سيدمو

عبد الرزاق مقري الرئيس السابق لحركة مجتمع السلم هو أحد أبرز الشخصيات السياسية في الجزائر خلال السنوات العشر الأخيرة. انسحب مؤخرا من رئاسة حركته التي تعد القوة الحزبية الثانية في البرلمان، بعد أن أتم ولايتين كاملتين على رأسها، لكنه لم ينسحب من المشهد السياسي، وهو في هذا الحوار الخاص مع «القدس العربي» يتحدث لأول مرة عن إمكانية عودته بمناسبة الانتخابات الرئاسية في العام المقبل، حيث يقول بصريح العبارة إن لديه الرغبة والقدرة في أن يكون رئيسا للجزائر، ويتساءل في الوقت ذاته إن كانت الفرصة فعلا موجودة لمنافسة الرئيس عبد المجيد تبون إذا ما قرر الترشح لعهدة ثانية، وفي ما يأتي نص الحوار.

○ غادرتم رئاسة حركة مجتمع السلم بعد 10 سنوات من قيادتها ونحو 40 سنة من عضوية مكتبها السياسي. كيف هي الحياة خارج المسؤولية وما هي اهتماماتك الأساسية في هذه الفترة؟

● يوجد شيء واحد فقط تغير، وهو أمر مهم ولا شك، الذي تغير هو التخفف من الشعور بالمسؤولية كأول شخص يُسأل من الله تعالى والمناضلين والرأي العام والتاريخ تجاه حركة كبيرة، بتاريخها وأعضائها ومحبيها، رجالا ونساء، من مختلف الأجيال، ومكتسباتها السياسية وهياكلها وسمعتها ومؤسساتها وطموحاتها المستقبلية. واليوم بفضل الله أشعر براحة بال بعد أن أديت مهمتي على أحسن حال، فقد تركت الحركة قوية موحدة مستقرة، ذات سمعة ومكانة عند الجميع. مكنني الله تعالى أن أجدد التركيبة البشرية إذ صعّدت للقيادة، جيلين في نفس الوقت (أضيفوا لمن سبقهم): جيل رئيس الحركة الحالي ومن معه، وجيل من الشباب يشارك في القيادة في مختلف مستويات الهياكل والمؤسسات، وتركت فكرا متجددا متبعا، وتركت هياكل تنظيمية منتشرة وقوية ومؤسسات وظيفية فاعلة وعلاقات متمددة في الداخل والخارج.

○ وضع عبد الرزاق مقري حمس في صف المعارضة وامتاز خطه بالشدة أحيانا مع السلطة واللين والنصح أحيانا أخرى، هل يمكن أن تعود حمس بعد رحيلكم عن رئاستها إلى صف الموالاة؟

● نحن مارسنا السياسة طيلة العهدتين اللتين كنت فيهما رئيسا للحركة على أصولها المتعارف عليها في العالم، فتوصيفنا بأننا حزب معارض معناه أننا لسنا في الحكومة وأننا نعارض بشكل عام التوجهات الاقتصادية والسياسية التي تسير عليها السلطة في الجزائر، ونقاوم الفساد والتضييق على الحريات ولكن لسنا في خصومة مع مؤسسات الدولة ونفرح بكل إنجاز يكون في صالح الجزائر والجزائريين ولو جاء من الحكومة التي نعارضها، ونحن منفتحون للحوار مع كل الأطراف. والانتقال في الأداء السياسي بين الشدة واللين، أو ما يسمى بالكر والفر، هو عين الحكمة وهو ديدن القادة والسياسيين عبر التاريخ وفي العالم، والعبرة بالنتيجة، أنا والفريق الذي اشتغل معي حققنا بهذه السياسة نتائج جيدة على المستوى الانتخابي والانتشار التنظيمي وتنمية وترقية الموارد البشرية والمؤسسات الوظيفية العديدة. أما عن سؤالك هل ستعود الحركة بعدي إلى الحكومة؟ نعم يمكن أن نكون في الحكومة إذا نجحنا في الانتخابات المقبلة وتوصلنا إلى إمكانية تطبيق برنامجنا، وكان يمكن أن نكون في الحكومة في عهدي لو توصلنا إلى اتفاق حول البرنامج حين دعانا رئيس الجمهورية إلى المشاركة في الحكومة بعد الانتخابات التشريعية الأخيرة. أما أن نكون في الحكومة للمشهدية فقط ولتحقيق مصالح أفراد منّا على حساب عموم المناضلين والبلد والمشروع وللتغطية على الفشل والفشل فهذا غير وارد والله أعلم.

لقد أصبح هذا التوجه قناعة عامة في كل المستويات النضالية تحميه ثقافة عامة غالبة، وشعور كبير بالاعتزاز به لدى المناضلين، وثمة قوانين ولوائح تحمله صادق عليها المؤتمر السابق والذي قبله. والتراجع من وجهة نظري عن هذا الخط السياسي غير وارد لأن الذين يقودون الحركة بعدي هم من صناعه، علاوة على أن تغيير فكر مستقر منتج ومثمر له أشخاص مهمون يدافعون عنه في مؤسسات الحركة محليا ومركزيا، وأنا واحد منهم، لا يكون سهلا.

والحقيقة يمكن اعتبار نتائج المؤتمر الأخير هو نهاية الجدال حول هذه القضية داخل الحركة، من حيث أن نتائج الانتخابات الداخلية في الولايات التي أدت إلى انتخابات رئيس الحركة الجديد مكنت لهذا التوجه بشكل حاسم، والنقاش الآن متجه أكثر للخارج وليس في داخل الحركة، كيف نكون مؤثرين أكثر وكيف يتوسع وجودنا في المجتمع، وكيف نصل إلى انتقال من المشاركة السياسية إلى الشراكة في الحكم لتطبيق برنامجنا وإصلاح حال بلدنا.

○ كان آخر تصريح لكم بعد لقاء الرئيس عبد المجيد تبون مثيرا للجدل، بعد أن أثنيتم على طريقة تعامله مع المعارضة ورحابة صدره، كما أوردتم في خطابكم الأخير في المؤتمر عبارات ثناء على سياسة الرئيس، هناك من رأى أن هذا الكلام لا يتناسب مع توجه المعارضة الذي تتبنونه، كيف تردون على ذلك؟

● ما قلته هو عين الحقيقة، لم أجد صعوبة في التواصل الدائم مع الرئيس وعبرت له بشكل مباشر وصريح عن آرائنا في مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية وما يتعلق بالحريات وقضايا الفساد وغير ذلك، وفي خطابي الافتتاحي للمؤتمر أثنيت على جوانب مهمة في السياسة الخارجية الجزائرية، وخصوصا ما يتعلق بالملف الفلسطيني، ولكن لم يخل خطابي من النقد الشديد في العديد من الملفات، بل كان هو الأكثر ورودا. ولكن أنا أعلم أن هناك في الجزائر من يريد أن يكون خطابنا صداميا في كل كلماته، وهذه الأطراف بعضها يريد أن يستعملنا في تصفية حساباتهم مع الرئيس، أو لعبة الصراع على الحكم، وبعضهم له ثارات تاريخية، علاوة على أن كثيرا من المواطنين ضحايا التضييق أو الفساد أو في معيشتهم لا يتحملون أية كلمة إيجابية اتجاه الحكم، وهذا أمر نتفهمه ولكن نحن نبني تقاليد سياسية تبني المجتمعات والأمم بناء سليما، والمعارضة في الدول الديمقراطية ليست في قطيعة مع السلطات، بل كثيرا ما يحدث اتفاق حول بعض الملفات والقوانين، ويوجد حوار دائم بين المعارضة والموالاة، وحتى مسار الانتقال الديمقراطي الذي أسسنا له مع غيرنا من الأحزاب في التنسيقية وصولا إلى لقاء مازفران كان يدعو إلى الانتقال الديمقراطي المتوافق عليه. غير أنني أبقى أؤكد بأن سبب ضآلة الثقافة السياسية هو النظام السياسي الذي يُزهّد الناس في ممارسة السياسة على أصولها بسبب ديمومة التزوير الانتخابي وسياسات التحكم واستمرار الفساد وعدم القدرة على تحسين معيشة المواطنين.

○ يقترب الرئيس تبون من إتمام 4 سنوات في الرئاسة، أي تقييم تحتفظون به لهذه السنوات فيما يخص مسار الإصلاح السياسي وطريقة إدارة الحكم؟

● سؤالك محدد في قضية الإصلاح السياسي، وفي هذا المجال بالذات الفشل ذريع وواضح ولا يتحمل الجدال، ابتداء باستمرار التزوير الانتخابي الذي قدمت بشأنه حججا دامغة لرئيس الجمهورية، إلى فرض دستور غير ديمقراطي من عدة أوجه قدمنا بشأنه وثيقة متكاملة ستبقى للتاريخ وستكون مرجعا للدارسين، ومن ذلك طبيعة النظام السياسي الذي تبنى التوجه الدستوري البوتفليقي الهجين الذي لا هو نظام رئاسي ولا نظام برلماني ولا نظام شبه رئاسي، بل يعطي صلاحيات مضخمة للرئيس بدون أن يتحمل مسؤولية تعييناته وحتى التسيير الحكومي، إلى حد تكرر فيه المشهد الذي كان في العهد السابق، فوجدنا مرة أخرى الرئيس يشكو من الحكومة التي عينها ومن وزرائها، وكذلك نظام قضائي غير مستقل من حيث تشكيلته وصلاحياته، وحتى الأشياء الإيجابية فيه لا تطبق أو يحرفها أو يفرغها من محتواها القوانين والقرارات، ومن ذلك التحكم في المجتمع المدني بعدم تسليم وصول استلام الملفات في خلاف صادم لمواد الدستور، وتقريب الجمعيات الموالية والتضييق على الجمعيات المستقلة، ومن ذلك كذلك التحكم المطلق في وسائل الإعلام الثقيلة، وملاحقة المدونين ونشطاء التواصل الاجتماعي.

○ نشرت وكالة الأنباء الجزائرية قبل أيام مقالا يتحدث عن نقلة نوعية حدثت في فترة الرئيس تبون، وتشير قراءات إلى إمكانية أن يكون ذلك مؤشرا لبدء التحضير لعهدة ثانية للرئيس، هل استمرار تبون هو الخيار الأنسب للجزائر في المرحلة المقبلة في رأيكم؟

● نحن نعيش صورة إعلامية تشبه ما كنا عليه في زمن الحزب الواحد، وكأن كل الفضائيات والجرائد لها رئيس تحرير واحد، وعليه الرأي الغالب في الساحة الإعلامية والسياسية هو الرأي الرسمي. ومع ذلك نقول إن المؤشرات الاقتصادية تحسنت فعلا من حيث نسبة العجز في الميزان التجاري وميزان المدفوعات والنمو الاقتصادي واحتياطي الصرف، ولكن هناك ملاحظات مهمة بهذا الخصوص لا تنقلها وسائل الإعلام الرسمية والخاصة المتحكم فيها:

–هذه المؤشرات الإيجابية لم تؤثر إلى حد الآن في معيشة أغلب المواطنين من حيث غلاء المعيشة وتدني قيمة الدينار وحتى الزيادات في الأجور قضى عليها التضخم المتصاعد، ولا يخفى على أحد أن العامل الذي تصل أجوره إلى 30.000 دينار فقيرا ومسكينا.

–هذه المؤشرات لها علاقة كبيرة بظروف استثنائية إيجابية خارجة عن التدبير الحكومي وهو ارتفاع أسعار النفط بسبب الحرب القائمة في أوكرانيا، وكذلك بزيادة صادرات بعض المواد الطبيعية الأخرى كالحديد والأسمنت والأسمدة.

–هذه المؤشرات متعلقة بالإجراءات الحادة في وقف الاستيراد، وهو تدبير خاطئ إلى حد كبير حيث أن خفض الواردات يكون مفيدا من أجل حماية مؤقتة لصنف محدد من الإنتاج الوطني وليس كاستراتيجية شاملة لتحسين الميزان التجاري، وقد ظهرت الآثار السلبية التي كنا قد نبهنا إليه وأنا شخصيا تحدثت بها للمسؤولين بشكل مباشر عدة مرات. والرئيس نفسه قام بنقدها في آخر المطاف بعد أن تسببت في ارتفاع كبير للندرة وللأسعار.

–والمهم في كل هذا أن هذه المؤشرات ليست مرتبطة بنمو وتطور المؤسسة الاقتصادية، التي تمثل العنصر الأساسي في تحقيق التنمية والرفاه الاقتصادي، لا يوجد تطور كبير في نشوء وتطور المؤسسة الاقتصادية بالشكل الذي يقضي على البطالة ويزيد في الإنتاج والنمو والناتج الإجمالي والثروة الوطنية على أساس قيمة العمل التي وحدها ما يضمن مستقبل البلاد ويحفظها من التطورات السلبية في سوق المحروقات ومن الأزمات العالمية.

أما عن تحضير تبون نفسه لعهدة ثانية فأنا ليست لدي معلومات في ذلك، ولكن هناك مؤشرات في محيطه قد تفسر بأن ثمة تحضيرا لعهدة ثانية، والقرار في الأخير يخص الرئيس والدستور يسمح له بذلك، وقد يرى بأنه بدأ عملا يريد أن ينهيه، ولكن لا يهم هل سيتقدم أم لا، المهم هل ستجري الانتخابات في ظروف ديمقراطية أم لا. لأنه إذا كان هناك مرشح تسخره له قوى ومؤسسات الدولة، فما الفرق في أن يكون المرشح عبد المجيد تبون أو غيره ما دام هو مرشح قوى ومؤسسات الدولة؟ من يستطيع أن ينافسه على منصب الرئاسة؟

○ حاولتم المشاركة في رئاسيات نيسان/ابريل 2019 التي أجهضها الحراك الشعبي وامتنعتم عن التفكير لرئاسيات كانون الأول/ديسمبر 2019، هل تفكرون في إمكانية الترشح للانتخابات الرئاسية لسنة 2024 وهل وجودكم خارج رئاسة حمس سيكون عائقا امامكم؟

● للتصحيح نحن ترشحنا لرئاسيات نيسان/ابريل 2019 قبل الحراك الشعبي وانسحبنا بعد أن ترشح بوتفليقة للعهدة الخامسة قبل أن يقضي عليها الحراك، ولم نترشح لرئاسيات كانون الأول/ديسمبر 2019 احتراما للحراك الشعبي وللجزائريين الذين كانوا لا يزالون في الشارع.

وفي الحقيقة أصبح واضحا عند أغلب قيادات الحركة في المكتب التنفيذي الوطني قبل المؤتمر الأخير أن عدم الترشح في انتخابات كانون الأول/ديسمبر 2019 كان خطأ باعتبار أننا كنا قد خرجنا من منطق التغيير بالثورة السلمية عن طريق الشارع، بسبب الاستقطاب الحاد الذي قضى آنذاك على الحراك قبل أن تقضي عليه كورونا، وقبل أن ينجح النظام السياسي في احتوائه، ورجعنا في تلك الانتخابات الرئاسية إلى منطق المقاومة السياسية في الإطار القانوني ومنها المشاركة في الانتخابات رغم مخاطر التزوير، فكان علينا – بالنسبة لتيار داخل الحركة – أن نشارك في الانتخابات.

وبغض النظر عن صوابية هذا التقييم أو عدمه – حيث أننا لم نقيم الأمر رسميا – فقد وجدنا فعلا صعوبة كبيرة في استرجاع حاضنتنا الاجتماعية في الانتخابات التشريعية سنة 2021 بعد أن كان لأغلبها خيار آخر غير الذي فرضه مجلس الشورى آنذاك بعدم الترشح، إذ شارك عدد كبير من أنصارنا واستفاد غيرنا من مشاركتهم.

وفي كل الأحوال الانتخابات الرئاسية المقبلة ستكون ضمن منطق المقاومة السياسية، نتمنى أن يسبقها حوار مع الرئيس والسلطات حتى يكون تقديرنا للموقف فيها أكثر دقة وفائدة. أما بخصوصي فأنا كأي شخص سياسي عاش طيلة عمره في النضال تهمه الانتخابات الرئاسية والذي يحدد الموقف بالنسبة لي ثلاثة عوامل: الرغبة والقدرة والفرصة.

أما الرغبة، فعندي رغبة كبيرة أن أكون رئيسا للجمهورية أحقق من خلال هذا المنصب ما أصبو إليه في خدمة بلدي وتطويره وتحقيق الرفاه والازدهار للمجتمع والعيشة الطيبة وكرامة المواطن والقوة والمنعة والسؤدد والمساهمة في نهضة الأمة العربية والإسلامية واستئنافها الحضاري وتحرير فلسطين.

أما القدرة فأشعر بالقدرة على ذلك من خلال التجربة الطويلة في العمل السياسي والرقابة الحكومية من خلال البرلمان وقيادة هياكل الحركة ومؤسساتها، والمطالعة الواسعة، وتأسيس المؤسسات الفكرية والدراسية المنتجة للبرامج والبدائل، وما توصلنا إليه تحت في «البرنامج البديل» ثم برنامج «الحلم الجزائري» وشبكة الرجال الأكفاء الذين اشتغلوا معي والذين أعرفهم وتعاونوا معنا من مختلف الآفاق والاختصاصات، والذين يمكن الاعتماد عليهم في التدبير الحكومي، والاعتماد على حاضنة اجتماعية في مختلف أنحاء الوطن وفية وفاعلة، ومن خلال قربي الكبير من التجارب الناجحة في العالم وصحبة زعماء كبار حققوا نهضة بلدانهم، واطلاعي على تفاصيل كثيرة في تجاربهم. وما حققه هؤلاء سهل علينا أن نحققه نحن كذلك في بلادنا.

ولكن المشكل الكبير في الفرصة، فلا يكفي أن تكون لك رغبة وقدرة إن لم تكن ثمة فرصة، فالفرصة تحكمها معطيات ليست بيدي أولها قرار الحركة هل ستشارك في الانتخابات الرئاسية المقبلة أم لا، وهل سيكون المقصد من المشاركة هو منصب الرئاسة أم أهداف أخرى دون ذلك، ثم كيف ستكون آلية الترشيح داخل الحركة، وهل ستقرر المؤسسات ترشيحي أم لا، ثم كيف سيكون أداؤنا في المنافسة الانتخابية، وهل سنقنع الناخبين بالتصويت لنا وهل سيعطينا الشعب ثقته، ثم – وهذا هو الأهم – هل ستكون الانتخابات حرة ونزيهة أم لا. فبيدو إذن أن المشكلة الأكبر هي في العوائق التي تكسر الرغبة وتلغي الجدوى من القدرة، هل ستذلل هذه العوائق كلها أم لا.

والمتحكم في ذلك كله هو الله وحده الذي لا إله إلا هو، إذا أراد شيئا إنما يقول له كن فيكون ولا يغلب إرادته شيء أو أحد وصدق الله تعالى إذ يقول: «قل الله مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزه الملك ممن تشاء».

○ نجحت الجزائر مؤخرا في رعاية اتفاق مصالحة بين الفصائل الفلسطينية تحت إشراف الرئيس تبون، واحتضنت بعد ذلك القمة العربية التي ركزت على القضية الفلسطينية. كيف تنظرون للأداء الدبلوماسي الحالي؟

● ما قامت به الجزائر بخصوص رعاية اتفاق المصالحة الفلسطينية عملا جيدا تشكر عليه، وهو يسير مع السياسة الحكيمة المعهودة على الجزائر، رسميا وشعبيا، منذ الاستقلال. لقد كانت الجزائر دائما مع فلسطين منذ الستينات فهو أول بلد سلح الثورة الفلسطينية ودعمها سياسيا ودبلوماسيا وعلى أرض بلادنا أعلنت الدولة الفلسطينية، ونحن البلد الذي بقي صامدا في وجه التطبيع مع الكيان ويدفع أثمانا كبيرة من أجل هذا، وهذا الموقف صحيح مبدئيا ومصلحيا، فالكيان الصهيوني هو بلد محتل، وكل المؤشرات تدل على اقتراب نهايته، فهو يتفكك داخليا في مجتمعه ويندحر ديموغرافيا أمام أصحاب الأرض، وتتراجع صورته بشكل متسارع خارجيا حتى عند حلفائه، ويخسر دراماتيكيا في كل مرة في مواجهة المقاومة. فالجزائر مع الخيار العادل والرابح. وكل هذا في إطار تطور إيجابي كبير للدبلوماسية الجزائرية في مختلف الملفات.

○ بلغ التصعيد بين الجزائر والمغرب ذروته في السنة الأخيرة والعلاقات اليوم مقطوعة بين البلدين، هل لديكم تصور لكيفية حل هذه الأزمة؟

● هذه المعضلة سبب رئيسي من أسباب تهديد المنطقة كلها، وهو وضع يكون فيه الجميع خاسرا، لقد استطاع زعماء المغرب العربي السابقين بناء صرح المغرب العربي وتجاوز مشكلة الصحراء الغربية، ولكن الذين جاؤوا من بعد لم يتمكنوا من معالجة الأمر وتحقيق حلم الوحدة النافع للجميع، اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، ثم جاءت خيانة المخزن باستدعاء الكيان الصهيوني لمنطقتنا والاستعانة به ضد الأشقاء فتعقد الوضع، والحل هو أولا وقف التطبيع، وهذه مهمة الشعب المغربي، لا سيما وأن التطبيع ينحدر ويتلاشى بعد سيطرة اليمين الديني المتطرف في الكيان الإسرائيلي ودخول هذا الكيان كله في أزمة لن يخرج منها سالما. ثم يجب تحسين العلاقة بين البلدين ونسيان مشاكل الماضي وإعطاء الأولوية لبناء صرح المغرب العربي الذي في إطاره تحل مشكلة الصحراء الغربية، وهذا هو الطريق الذي يتماشى مع مبادئ الحركة الوطنية ويحقق مصلحة شعوب المنطقة.

○ تتحدثون باستمرار عن ضرورة القطيعة مع محاولات الهيمنة الفرنسية في الجزائر، هل برأيكم يسير التوجه الحالي بخصوص العلاقات مع فرنسا في المسار الصحيح، وما رأيكم في الزيارة التي ينوي الرئيس تبون إجراءها لباريس في حزيران/يونيو المقبل؟

● لا تسير الأمور في الاتجاه الصحيح، النظام الجزائري متردد جدا في هذا الموضوع وليست لديه رؤية وطنية شاملة وثابتة وقوية، رأينا كيف كان الرهان على ماكرون كبيرا فلم يأت بأي نتيجة، فهذا الرئيس لا يؤمن بوجودنا كأمة كما صرح بنفسه، وأظهر حقيقة قناعته بلسانه عدة مرات، ثم هو ضعيف جدا في بلاده وله معارضة شعبية قوية ومقاومة من تيارات فاعلة داخل مؤسسات الدولة الفرنسية أسوأ منه وأكثر تطرفا منه، وفرنسا على بعضها تمر بأزمات اقتصادية عميقة وتتراجع دوليا بشكل متسارع وتفقد كثيرا من نفوذها في مستعمراتها القديمة التي هي مصدر أساسي من مصادر ثرائها، ولغتها وثقافتها في تراجع كبير، فلا أدري لماذا لا نحسم نهائيا في العلاقة مع هذا البلد ليكون بلدا عاديا بالنسبة لنا ولنفرض عليه الاعتذار والتعويض على جرائمه الاستعمارية، ولا نمكنه من أي امتياز في أي مجال من المجالات، ولا نتعامل معه إلا في إطار الندية والمصالح المشتركة الثابتة. أنا أعلم بأن فرنسا لها لوبيات قوية تشتغل لصالحها في الجزائر داخل الدولة والمجتمع، وقد تسببوا في أضرار كبيرة لبلادنا اقتصاديا وثقافيا وفي الساحة الدولية، ولكن لو تتوفر الإرادة والشجاعة لدى الوطنيين الصادقين في الدولة فإنهم سيجدون دعما لا محدودا داخل المجتمع الجزائري لإنهاء هؤلاء العملاء وبتر هذا السرطان نهائيا.

○ كتبتم تدوينة حول اعتقال الشيخ راشد الغنوشي زعيم حركة النهضة التونسية، طالبتم فيها السلطات الجزائرية بعدم النأي عن النفس في هذه القضية لأن التطورات في تونس قد تهدد استقرار الجزائر، ألا يعد هذا الموقف دعوة لتغيير العقيدة الدبلوماسية الجزائرية الرافضة للتدخل في الشأن الداخلي للدول؟

● راشد الغنوشي صديق الجزائر وهو ضحى بعلاقته بقوى معتبرة في المنطقة وإقليميا ودوليا من أجل الجزائر. وحينما يكون بلد في تونس تلعب فيه كل المخابرات والقوى الإقليمية والدولية الأجنبية التي لا تريد الخير للجزائر وهي من دعمت قيس سعيد للانقلاب على الشرعية يصبح الحديث عن النأي بالنفس سذاجة، أي كأننا نستدعي هذه القوى الظلامية المعادية للتقدم نحو بلادنا لتنشر فيها الفتنة والفوضى، علاوة على أن الإجراءات الظالمة للنظام التونسي من شأنها أن تهدد استقرار تونس من خلال كسر مرجعياته المعتدلة وإعطاء الفرصة لقوى التطرف التي أصبحت الأحداث تخدم توجهاتها، وإذا هُدد استقرار تونس سيكون استقرار الجزائر مهددا. وفي كل الأحوال يمكن معالجة الموضوع من دون تدخل وذلك من خلال الحوار أو على الأقل عدم الانحياز وعدم مساعدة المعتدي الذي بات يتصرف تصرفات غير موزونة.

حريات

«شيطنة» اللاجئين السوريين في لبنان لعبة محفوفة بالمخاطر و«خطاب العنصرية» ليس فعلاً وطنياً

رلى موفّق

لا يقتصر الخطاب المعادي للاجئين على بلد أو منطقة أو شعب ما دون غيره. أضحت قضية اللاجئين أو المهاجرين في كل المجتمعات أداة من أدوات الاستخدام السياسي ضمن البلد بعينه بين موالين ومعارضين، بين أحزاب اليمين وأحزاب اليسار. يلعب اليمين المتطرّف في أوروبا دوراً في تأليب الرأي العام وتعميم خطاب الكراهية ضد المهاجرين، ولا سيما مع وصول دفعات كبيرة من اللاجئين السوريين إلى دول المداخل الأوروبية. تحوّلتْ مسألة اللجوء السوري إلى تركيا اليوم إلى ورقة من الأوراق المؤثرة التي تستخدمها المعارضة التركية في الانتخابات الرئاسية والبرلمانية المرتقبة في الرابع عشر من هذا الشهر، حيث يرتفع منسوب خطاب العداء للسوريين في توظيف سياسي من دون النظر إلى التداعيات التي يمكن أن تنتج عن الافتعال، والتضخيم، والتعمية، خدمة لأهداف معيّنة لا تمت للقضية الأساس بأي صلة.

في لبنان، يتحكّم راهناً خطاب الكراهية والعنصرية في بيئات سياسية وحزبية واجتماعية ضد اللاجئين السوريين الذين تُطلق عليهم تسمية «نازحين» منذ بداية الأحداث في سوريا، فيما تعريف النزوح هو الذي يحصل داخل البلد وليس منه إلى الخارج والذي يتحوّل إلى هجرة ولجوء قسريَّين. يطفو هذا الخطاب ويخبو وفقاً للأهداف الكامنة وراءه. ليس ثمّة عاقل في لبنان، بمعزل عن خلفيته السياسية أو وضعيته الاجتماعية أو اعتباراته الخاصة، يمكنه أن يجادل في أن أزمة اللجوء السوري ليست عبئاً أو غير مُكلفة على البنى التحتية للبلد من مياه، وصرف صحيّ، وشبكة طرقات، وكهرباء، وخدمات، وحتى مزاحمة على بعض المهن والوظائف، ولا سيما في المناطق التي تركزت فيها مخيمات النزوح سواء أكانت في البقاع أم في الشمال، وفي مناطق الانتشار في جبل لبنان. ولكن هذا الواقع لا يعني مطلقاً أن أزمة اللجوء هي سبب كل الأزمات التي تعصف بلبنان وتضيّق الخناق على اللبنانيين.

الأرقام في خدمة الأجندات

في بلاد الأرز، دائماً ما تكون الأرقام وجهة نظر، فكيف إذا كان يتم استخدامها في المناكفات السياسية الداخلية أو على طاولة المقايضات الإقليمية أو لابتزاز المجتمع الدولي؟ أرقام الحكومة تتحدث عن وجود مليون ونصف مليون نازح سوري، بما يوازي ثلث سكان لبنان، وأرقام مفوضية اللاجئين قيّدت رسمياً في سجلاتها 805 آلاف لاجئ حتى 2015، وتوقفت عن التسجيل بناء على طلب الحكومة آنذاك لكنها لا تنكر تعاملها مع الرقم الذي تُصرّح عنه الحكومة، فيما أرقام الأمن العام اللبناني تُشير إلى وجود مليوني لاجئ سوري معظمهم غير مسجّل لدى المفوضية. ويذهب بعض غلاة السياسة إلى بناء خطابه على أضاليل بأن عدد السوريين في لبنان يوازي عدد اللبنانيين البالغ أربعة ملايين، ويتعامل معها بوصفها حقائق تحمل في طياتها مخاطر التغيير الديموغرافي. وهو الخطاب نفسه الذي كان يُعتمد في مقاربة اللجوء الفلسطيني والقائم على نظرية «مؤامرة التوطين» الذي سيُفضي إلى خلل عددي لصالح السُّنة على حساب المسيحيين.

وصلت حملات التضليل في وسائل الإعلام، وفي تحقيقات صحفية، إلى حدّ الترويج بأن عدد الولادات السورية في لبنان يبلغ 200 ألف ولادة سنوياً، بينما هذا هو العدد الإجمالي للولادات السورية على مدى 11 عاماً. أرقام الحكومة اللبنانية تتحدث عن 200 ألف مولود سوري منذ بداية الأزمة في 2011 وحتى 2022، وتتداول المفوضية رقم 196 ألفاً حتى 2021، فيما سجلت وزارة الصحة بين 2012 و2021 مئة ألف ولادة بينها 40 في المئة لسوريين. على الأرجح أن رقم وزارة الصحة يعود إلى الولادات الحاصلة في المستشفيات، في حين أن الولادات السورية تجري في معظمها ضمن مستوصفات تابعة للمنظمات غير الحكومية أو على يد قابلات.

«الفريش دولار» والحقيقة المتخلّية

والسردية التي يتم اعتمادها في خطاب التأجيج تقوم على أن المساعدات المالية التي تقدمها المفوضية للعائلات السورية هي بالعملة الصعبة، أي بـ«الفريش دولار» فيما اللبنانيون الذين انهارت عملتهم يقبضون بالليرة اللبنانية ما خلق خللاً كبيراً في القدرات الشرائية بين السوريين والمجتمعات المضيفة. وهو الأمر الذي نفته المفوضية معلنة على لسان بعض مسؤوليها في لبنان أن اللاجئين يتقاضون مساعداتهم المالية عبر البنوك اللبنانية بالعملة اللبنانية، وأن السقف الذي تتقاضاه العائلة المكوّنة من خمسة أفراد – بين مساعدات مالية للأمور الغذائية وغير الغذائية – هي 8 ملايين ليرة لبنانية أي ما يوازي 80 دولاراً على سعر الصرف في السوق السوداء، وأن 9 من أصل 10 أشخاص يعيشون تحت خط الفقر، أي أن 10 في المئة يعيشون ضمن إطار الأمن الغذائي ويحصلون على أدنى حد من الغذاء، ما يدحض نظرية أن اللاجئين السوريين هم في وضع جيد مقارنة مع المواطن اللبناني. في واقع الأمر، الفقراء هم سوريون ولبنانيون، على الرغم من حاجة المسؤولين اللبنانيين، وهم يحرّضون على اللاجئين، لأن يشيروا إلى وجود مساعدات دولية تُقدَّم للأسر اللبنانية الأشد فقراً شهرياً تصل إلى حدود 200 دولار شهرياً.

يقول مثل شعبي أن «القلة تُولّد النقار» (الخلاف). هذا ما ينطبق على حالة لبنان، حيث ترتفع نسبة البطالة وتقل المداخيل وتنهار المعاشات، وحتى بعد أن رفعت الحكومة الحد الأدنى للأجور هذا الشهر إلى 9 ملايين ليرة، فهو عملياً لا يصل إلى مئة دولار أمريكي وفق سعر صرف السوق السوداء، فيما كان قبل تشرين الأول/أكتوبر 2019 – تاريخ بدء الأزمة – 450 دولاراً على سعر الصرف الرسمي. ولم يكن حينها النازح السوري يتقاضى هذا المبلغ، لكن كانت المجتمعات المضيفة تستفيد من وجود النازحين في مشاريع تنموية وخدمات جرى تقديمها. ولا يزال كثير من اللبنانيين يستفيد من إيجار الشقق والمحال التجارية التي كانت حينها تُقيَّم بالدولار.

تصعيد غب الطلب

يُحرّك ملف النزوح السوري تارة لشد العصب الطائفي غب الطلب، وتارة أخرى لتعويم برنامج وأهداف قصيرة وطويلة الأمد على المستويين الحكومي والأهلي».

هو خطاب يدقّ ناقوس الخطر بشأن وضع اللاجئين السوريين الذين تحوّلوا إلى ضحايا لنظام بشار الأسد وبعض الميليشيات اللبنانية التي قتلتهم وهجّرتهم من بيوتهم وأرضهم في وجه المجتمعات المضيفة وأبنائها، والذين هم بدورهم ضحايا سلطة مارقة ومنظومة سياسية أفقرتهم واستخدمتهم وقوداً، ولا تزال، في مشاريع ما فوق لبنانية حوّلت معها لبنان إلى ساحة مواجهة مع العرب والغرب وأغرقته في الفساد مع إصرارها على مقاومة كل العملية الإصلاحية على مختلف المستويات الإدارية والمالية والقضائية والعودة إلى الالتزام بالدستور وتصحيح الخلل السياسي الحاصل حيث من شأن تلك العملية أن تُشكّل خارطة طريق للخروج من الأزمة.

والخلط المتعمّد القائم هو في عدم التفريق بين اللاجئين الذين لا يمكنهم العودة إلى قراهم – إما لأنها مدمرة أو لأنها تفتقد إلى البنى التحتية والخدمات كونها محتلة من قبل «حزب الله» أو لأسباب تتعلق بغياب الضمانات الأمنية – وبين العمالة السورية الموجودة منذ ما قبل الأزمة والتي امتهنت العمل في مجال البناء أو في مجالات الكنس ورفع النفايات أو العمل في مجال الزراعة الموسمية. يقدر هؤلاء ما بين 300 و500 ألف على الأقل، ولا ارتباط حتمياً بينهم وبين كونهم لاجئين. فقد يكونون من مناطق النظام أو من مختلف المحافظات السورية، وقد يكونون موالين للنظام وربما دخلوا البلاد بشكل نظامي أو عن طريق التهريب.

حسابات الربح والموارية

عملياً، لا عوائق أمام ذهاب العمال السوريين النظاميين الى سوريا وعودتهم إلى لبنان بشكل دائم. والعمالة السورية التي لطالما اشتكى اللبنانيون من منافستها للعمالة اللبنانية لا علاقة لها بملف النزوح السوري. والتعامل وبالتالي، فإن التعامل المجتمعي اللبناني في رمي المسؤوليات على السوري، لاجئاً أو عاملاً، ليس سوى فعل موارية وهروب من حقائق الأمور، تماماً كما تحاول السلطة السياسية الحاكمة أن تفعل حين ترمي إخفاقاتها على أكتاف الغير.

والأهم، أن المعايير الشرعية بين البلدين هي بيد الأجهزة اللبنانية النظامية، والتي يُفترض أن يقع التقصير في مكافحة الدخول غير الشرعي على عاتقها، ولا سيما أننا لا نتحدث هنا عن نزوح أو لجوء بفعل الأعمال الحربية كي تكون المسائل خاضعة لجدلية المعايير الدولية. في الواقع، تقوم شبكات منظمة بعمليات التهريب، وتتقاضى تسعيرة محددة (على الراس) ممن تهرّبه. وهي شبكات مغطاة على ضفتَي الحدود سواء أكان في مناطق البقاع أم في الشمال ولا بدَّ من مكافحتها، إنما المطلوب عدم تحويلها إلى استعراضات إعلامية أو سياسية على خلفية الإثارة والتضخيم والمبالغة، بل وضعها في إطارها الطبيعي.

على أن المعالجة الحكيمة تتطلب أن يكون لبنان مشمولاً بأي محادثات عربية مع النظام السوري تتعلق بملف العودة الطوعية لا أن يُغيّب نفسه، أو يعتبر أنه قادر على معالجة هكذا أزمة من خلال محادثات ثنائية بينه وبين النظام. فالنظام السوري لن يُعيد اللاجئين كرمى لعيون اللبنانيين، سواء أكانوا حلفاء أم خصوم من دون أن يقبض ثمن تلك العودة من اللاعبين الكبار على أرضه. وحتى يحين ذلك الموعد، فإن المضي في سياسة «شيطنة» اللاجئين السوريين سيفتح شهية اللعب على الساحة اللبنانية من تلك النافذة، وحينها لن تنفع معها المزايدات أو استخدام هذه الورقة في زواريب السياسة الضيّقة أو في حسابات تتخطى المصلحة اللبنانية الخالصة. المطلوب هو الإقلاع عن سياسة جرّ عموم الشعب اللبناني إلى امتحان فحص في الوطنية واتهامه بالخيانة لوطنه إذا اعترض بعضهم على عمليات التحريض والعنصرية والخطاب الموتور المتّبع من بعض اللبنانيين سواء أكانوا يَعُون ما يفعلون أم يجهلونه.

تأليب الرأي العام اللبناني في سردية عن الاحتلال الديموغرافي السوري

كتب

الفرنسية آني كوهن-سولال في «أجنبي يُدعى بيكاسو»: الفنان الكبير بين صالات المعارض وتقارير الشرطة السرية

نزار صالح

لعلّ فئة قليلة فقط من المعجبين بأعمال الفنان الإسباني والعالمي الكبير بابلو بيكاسو (1881–1973) تعرف أنه قضى في فرنسا نحو 70 سنة، وتوفي فيها أيضاً، ولكن دون أن يحصل على الجنسية الفرنسية. فالسلطات لم ترفض طلبه لحيازة الجنسية في سنة 1940 فقط، بل ظلّ منذ وصوله إلى باريس في 25 تشرين الأول (أكتوبر) 1901 وحتى سنوات عديدة بعد الحرب العالمية الثانية خاضعاً للمراقبة الدقيقة من المخبرين التابعين لشرطة محافظة باريس. وكان مصدر الشبهة الأولى أنه وفد إلى فرنسا تحت رعاية ابن بلده وتاجر اللوحات الكاتالوني بيير ماناش الذي كان معروفاً بميوله السياسية الفوضوية، مما استدعى من مفوض الشرطة آنذاك، أندريه روكييه، أن يستخلص التالي في تقريره عن الأجنبي الإسباني الشاب بابلو رويز بيكاسو: «يمكن الاستنتاج بأنه يشاطر أفكار مواطنه ماناش الذي الجأه، وبالتالي من المحتم اعتباره فوضوياً».

هذه واحدة من المعلومات المثيرة التي توصلت إليها الكاتبة الفرنسية آني كوهن – سولال في كتابها الهامّ والمثير «أجنبي يُدعى بيكاسو»، الذي صدر بالفرنسية واعتُبر سبّاقاً تماماً إلى إماطة اللثام عن هذا الجانب «المجهول، القاتم والمحبط والعجيب، من حياة واحد من أشهر الفنانين التشكيليين الإسبان والعالميين. وبأناة المؤرّخ وعين الناقد التشكيلي والباحث الرصين (وهي التي تحظى بمكانة مرموقة بين كبار الاختصاصيين في فلسفة وأعمال وحياة الفيلسوف الفرنسي الوجودي جان – بول سارتر)، نقّبت كوهن – سولال في مئات المحفوظات المتراكمة في أرشيف شرطة باريس، إلى جانب ما يتوفر من وثائق عن بيكاسو في متحف أورساي الباريسي ومتحف بيكاسو نفسه، وخرجت بحصيلة ثمينة بقدر ما هي مدهشة أو حتى صادمة في تفاصيل كثيرة.

يتألف الكتاب من 59 فصلاً تتوزع على خمسة أجزاء، بحيث يغطي كلّ جزء فترة محددة من حياة بيكاسو ذات طابع زمني يشمل أيضاً تطورات أسلوب الفنان وولادة عدد من أبرز أعماله: 1900–1906، مثاهة باريس؛ 1906–1923، ريادة الاتجاه الطليعي؛ 1919–1939، ذروة تسلط الشرطة والفنان المضطرب؛ 1939–1944، خمس سنوات على حافة الهاوية؛ و1944–1973، الفنان بطلاً. وبذلك فإنّ صفة التحقيق، التاريخي والبوليسي على نحو ما، تتخذ على مدار الفصول منحى تحليلياً يمزج بين المحطات الفاصلة في حياة بيكاسو، وبين المنعطفات الكبرى في مساره الفنّي، وبالتالي يجوز اعتبار كتاب كوهن – سولال سيرة حياتية ونقدية في آن معاً، ينهض امتيازها على ما يتفاعل من علاقات بين العناصر السردية والمعلوماتية الفنّية، متواشجة تماماً مع مسارات الإثارة في الخطّ البوليسي.

ومنذ السطور الأولى في مقدمة كتابها تشير كوهن – سولال إلى أنّ ساعات قليلة انقضت على وصول بيكاسو إلى باريس، خريف 1900، حتى جندت الشرطة 4 مخبرين كُلّفوا بمتابعة الفتى الإسباني على نحو لصيق، وكتابة تقارير عاجلة ومكثفة حول تحركاته في المدينة عموماً، وفي حي مونمارتر وضمن أوساط الجالية الكاتالونية هناك خصوصاً. تكدست التقارير، ومحاضر التحقيق، ورُخَص السكن، والصور الفوتوغرافية، والبصمات، وإيصالات آجارات البيوت، وطلبات الإقامة، ونسخ الرسائل الواردة، والمعلومات حول أقاربه وأصدقائه ومعارفه، والشهادات/ الإفادات حول آرائه السياسية... وإذْ تعدّد كوهن – سولال هذه، وسواها كثير مذهل، فلكي تشدد من جانب آخر على أنها لم تعثر في كلّ تلك الأكداس على إشارة واحدة إلى مخالفة قانونية أو جنائية، «ما خلا أنّ الرجل «لم يكن فرنسيّ الجنسية» كما تكتب.

في مغزى آخر لسيرورات الرصد هذه، تتوصل كوهن – سولال إلى طبيعة النظام القائم في فرنسا خلال تلك الحقبة، غير القصيرة في الواقع، وعلى أصعدة سياسية وأمنية وبوليسية لا تغيب عنها ملامح الرهاب من الأجنبي والنزوع العنصري إلى تصنيف الآخر أو فرض الرقابة عليه لاعتبارات لا صلة تجمعها مع أية مخالفة للقوانين المرعية. وتسوق المؤلفة عبارات تضمنتها بعض التقارير لا تترك مجالاً للشكّ في نزوعات تأثيم الأجانب لاعتبارات سياسية ومالية بعضها يمكن أن تبدو شوفينياً، مثل القول بأنّ بيكاسو «لم يقدّم خدمة للبلد خلال الحرب رغم تمتّعه بصحة ما يُسمى بالفنان الحديث»؛ أو «كسب ملايين الفرنكات واحتفظ بها في الخارج»، أو أنه اشترى فيلا في الجنوب «مدعياً التمسك بأفكار تميل إلى الشيوعية». وكذلك يذكر أحد التقارير أنّ بوّابة البناية التي يقيم فيها أفادت بأنه «يتحدث لغة فرنسية سيئة للغاية حتى أنه من الصعب فهم ما يقول»؛ وبالتالي: «هذا الأجنبي غير مؤهل لحيازة الجنسية، وفوق هذا يتوجب النظر إليه كشخص مشبوه للغاية من وجهة النظر الوطنية».

وفي ميدان آخر تشير المؤلفة إلى أنّ الأعمال الـ64 التي أنجزها بيكاسو في ربيع 1901، والتي تُعتبر نفائس نادرة وثمينة، وبيعت أو تُباع اليوم بعشرات أو مئات الملايين من الدولارات ويتباهى باقتنائها أثرياء العالم، كانت في حينه بمثابة وثائق إدانة سياسية لفنان شاب لم يكن قد ارتكب من ذنب سوى أنه لم يكن يقيم في فرنسا كمواطن فرنسي الجنسية. ذنب آخر هو أنّ موهبته كانت عالية وجلية بحيث سرعان ما انتبه إليها كبار رجال الآداب والفنون في فرنسا، أمثال غيوم أبولينير وماكس جاكوب وجان كوكتو وجورج براك، وذلك قبل أن يحظى باهتمام بالغ من الشاعرين لوي أراغون وبول إيلوار اللذين أقنعاه بالانتساب إلى الحزب الشيوعي الفرنسي. وقد يكون هنالك ذنب ثالث تمثّل في تلهف الفنان الشاب على المجيء إلى باريس تحديداً، بالنظر إلى أنها كانت عاصمة الأنوار والفنون والحركات الطليعية والحداثية.

ومن فصول الكتاب الأكثر إضاءة لشخصية بيكاسو النضالية، ثمّ السياسية والاجتماعية بالتالي، هنالك الفصل 45 الذي يرصد النظرة الشعبية إلى بيكاسو من نيويورك، بوصفه الدّاعداء هتلر والاحتلال النازي لفرنسا. الفصل 56 يسجّل الآراء من موسكو، حيث استقرّ بيكاسو كرمز للنضال ضدّ الجنرال فرانكو ودكتاتورية اليمين في إسبانيا. وأما الفصل 47 فتخصصه كوهن – سولال لموقع الفنان الكبير في الوجدان الفرنسي عموماً، وفي مناطق محددة مثل غرونوبل وليون والأنتيب حيث كان متبرعاً سخياً وناشطاً على مستوى

المعارض وتدريس الفنون. ومع ذلك فإن سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية، خلال 1947 وحتى 1955، قد شهدت استمرار الكثير من ممارسات التضييق التي رسختها الشرطة عند مطالع القرن.

وفي الفصل الذي تخصصه كخاتمة للكتاب، تتوقف كوهن – سولال عند تفصيل ذي مغزى سياسي وإيديولوجي ورقابي بالغ الأهمية، وهو أنّ وجود زعيم الحزب الشيوعي الفرنسي موريس توريز وسواه من الشيوعيين كوزراء في حكومة شارل دوغول أتاح بعض التخفيف من رقابة الشرطة على بيكاسو. لكنّ الهراوة انتقلت من فرنسا إلى الولايات المتحدة متمثلة في شخص إدغار هوفر رئيس مكتب التحقيقات الفدرالي، الذي حرّم الانتماء إلى الأفكار الشيوعية واعتبر الشيوعيين أعداء أمريكا والعالم الحر إجمالاً. وكان بيكاسو قد نشر مقالة بعنوان «لماذا أصبحت شيوعياً»، في المجلة الماركسية الأمريكية «نيو ماسز» (الجماهير الجديدة)، فقرر هوفر وضعه تحت الرقابة أسوة بعشرات الكتّاب والفنانين في الولايات المتحدة ذاتها.

من جانبها كانت المخابرات المركزية الأمريكية أكثر مهارة من رجال هوفر، فعمدت إلى تأسيس منظمة خاصة باسم «السلام والحرية» تتولى في فرنسا مهام التشويش على أنشطة الشيوعيين الفرنسيين في الميادين الثقافية تحديداً، وإنتاج حملات دعائية مناهضة كان أحد ملصقاتها الشهيرة قد حمل نسخة مشوهة من حمامة بيكاسو الشهيرة التي رسمها خصيصاً لمؤتمر مجلس السلام العالمي المنعقد سنة 1940. وبالطبع فإن مناخات التضييق التي خلقها السناتور الأمريكي جوزيف مكارثي وعُرفت تاريخياً باسم المكارثية، لم تكن بعيدة عن هذه الجهود الرقابية المنظمة.

ولا تغلق كوهن – سولال صفحات كتابها المثير إلا بعد إضافة عدد من الملاحق المهمة، بينها لائحة 27 جهة أرشيفية مختلفة عامة أو شخصية رجعت إليها في أبحاثها، إضافة إلى عدد من السجلات والمقتنيات الأرشيفية الشخصية. ملحق آخر هو 13 صورة فوتوغرافية أو تمثّل لوحات بيكاسو ذات الصلة بما تسرده فصول الكتاب. وأما الهوامش فإنها غزيرة وغنية وعريضة النطاق، بل هي بمثابة «كشكول» نقدي وتعريفي بالمراحل التي شهدها فنّ بيكاسو.

وتبقى إشارة أخيرة إلى أن التاريخ لم ينصف الفنان الكبير لجهة ما تبوأ من مكانة رفيعة كواحد من أهمّ وأعظم الفنانين التشكيليين والرسامين في القرن العشرين، بل على صعيد الحكاية التي تخص حرمانه من الجنسية الفرنسية تحديداً. ففي سنة 1958 كان جورج بوميدو، مدير مكتب الرئيس الفرنسي الجنرال دوغول والذي سيصبح رئيساً لفرنسا هو نفسه سنة 1969، قد كتب إلى بيكاسو مقترحاً عليه حيازة الجنسية الفرنسية. غير أنّ بيكاسو لم يكترث حتى بالردّ على البريد، مفضلاً ملازمة صفته الأولى العريقة: أجنبي يُدعى بيكاسو!

Annie Cohen-Solal: «Un étranger nommé Picasso»
Folio, Paris 2023
790 page.

أحلام مستغانمي في «أصبحتُ أنت»: سيرة روائية تقع باكراً في إرث الذاكرة

سارة سليم

يقال إن الكتاب الناجح يبدأ حين تنتهي من قراءته، ففي الدقيقة الذي تغلقه فيها لن تعاود النظر إلى كل ما تعودت النظر إليه بالطريقة ذاتها، إذ يتسع أفق تقييمك للأمور، وفي تلك اللحظة بالذات تبدأ في طرح التساؤلات عن كل الأشياء التي صادفتها من قبل ولم تلق لها بالاً، خاصة إذا جمع الكتاب ما بين السيرة الذاتية الشخصية، والتوثيق لمرحلة مهمة من التاريخ، أي أنك تقرأ العام والخاص بالتوازي تماماً، وفي نفس الخط السردي الممتع.

وهذا ما سيكتشفه القارئ للسيرة الروائية «أصبحتُ أنت»، أحدث إصدارات الأديبة الجزائرية أحلام مستغانمي، التي تنطلق فيها من الخاص لتنتقل إلى العام بمتعة أدبية تبقيك على فضول، فلا أنت أمام سيرة أدبية خالصة، ولا أنت أمام نص أدبي يروي التاريخ من وجهة نظر الأدب.

وثقت أحلام مستغانمي الخاص من زاوية التاريخ، وجعلت القارئ يرافقها إلى تلك الفترة، ويعيش بعض التفاصيل التي ذكرتها، خاصة فيما يتعلق بأحداث مضت من تاريخ الجزائر، لربما نتعرف ونحن نقرأ على بعض الأحداث. لكن هذا العمل يجعلك لا تتوقف عند هذا الحد، بل تبحث في كل ما قرأته سابقا، قد نعرف الكثير من الشخصيات التي ذكرتها مستغانمي، ولا شك قرأنا عن كل واحدة منها ما قرأنا، لكن الكاتبة استحضرت تلك الشخصيات التاريخية وأخرى انطلاقا من البعد الشخصي، للحديث عن أبعاد وطنية شكلت تداخلاً بين سيرة أحلام وسيرة الجزائر.

نقرأ الكتاب على أنه سيرة روائية لكاتبة تعيد استحضار سيرة والدها، لكن النص لم يتوقف عند كونه سيرة روائية يتداخل فيها الواقع والخيال لدرجة يصبح الواقع هو ما يحكم الخيال بنسبة كبيرة، بل تتجاوزه إلى التوثيق لمرحلة مهمة من تاريخ الجزائر بعد الاستقلال.

وفي الواقع لا تأتي مستغانمي على ذكر الأشياء كنوع من التوثيق البحت، تلك حيلتها في تمرير التاريخ، إنها لا تسرد ماذا حدث ذلك الوقت، بل كيف حدث بتعبير أورهان باموك الذي يقول: «لا تُقرأ الرواية لمعرفة ماذا سيحدث، بل كيف سيحدث». لذا يلحظ القارئ أن النص مليء بالرمزيات التي عرفت مستغانمي كيف توظفها روائياً.

ومن المهم أيضاً الإشارة إلى نقطة ملفتة تحدثت عنها الكاتبة في سيرتها هذه، وهي كيف حوربت كشابة عندما كانت تقدم برنامجاً إذاعياً شهيراً ذلك الوقت، يبث ليلا، يحمل عنوان «همسات»، وكل ما صادفته من عراقيل في بداية طريقها كطالبة متفوقة منعت من إتمام دراستها العليا، رغم أنها كانت ضمن أول دفعة معربة في الجزائر المستقلة.

هل حوربت لأنها أول فتاة تكتب باللغة العربية؟ أم أنها حوربت لأسباب أخرى تتعلق بأسرتها ووالدها؟

حين ينهي القارئ هذه السيرة الروائية سيكتشف كل هذا وأسبابا أخرى شكلت شخصية أحلام مستغانمي الأديبة التي حازت على الدكتوراه من جامعة السوربون تحت إشراف شيخ المستشرقين جاك بيرك، نالت الدكتوراه لكنها لم توقع يوماً بذلك اللقب الأكاديمي لأنها أرادته هدية لأبيها وحده.

والدها الذي تخاطبه في سيرتها هذه قائلة: «كلُّ كتاباتي كانت تنقصها دهشتك. كلّ نجاحاتي كان ينقصها زهوك. أيُّ شقاءٍ أن تكتب للقارئ الوحيد الذي لن يقرأك».

وعودة إلى رمزيات النص، إن للحمام على سبيل المثال في هذه السيرة وظيفة الشخصية الروائية التي عليها أن تقول شيئا في الأخير.

فحين عادت بالذاكرة إلى لحظات الاستقلال، ما بين دخول الثوار إلى العاصمة أو ما أسمته بفيلم مثير تحت عنوان «الاجتياح الكبير» وعودة الفرنسيين إلى فرنسا، أو ما عبرت عنه على أنه مسلسل كبير بعنوان «الهجرة الكبرى»، ذكرت الحمام الذي كان شاهدا من وجهة نظرها على التاريخ تقول: «تأملاتي الأولى حول الحرية، تشكلت وأنا أتأمل الحمام».

كما ذكرت رمزية المصعد الذي يلتقي فيه الفرنسي بالجزائري أثناء فترة الاستقلال، إذ لم تتقبل جارتهم الفرنسية مدام كوزيت مقاسمة المصعد مع عرب حتى أنها لم تكن ترد التحية على والدها كما يتوجب، لذا لم ينس والدها إهاناتها له، فبرغم أنهما افترقا، إلاّ أن كل واحد منهما ما زال يريد أن يقول شيئا للثاني. تقول: «تعلمت من الأدب الفرنسي الكياسة، ومن جرائم الاستعمار الشراسة، فقررت أن تكظم غضبك، وتعدّ لها ردًّا أكثر أذى من الكلمات. لن تسمع منك كلمة بعد الآن، في الصمت إهانة تفوق كل ما يمكن أن يُقال، فالصمت أعلى درجات الاحتقار. ألم يقل ديغول: وحده الصمت كبير؟».

تعود مجددا للمصعد الذي توقف عن العمل لتقول: «ثم... سنة بعد أخرى، وأنا أكبر، غدا المصعد المرصد لوطن كثيراً ما توقف به التاريخ بين طابقين».

في الحديث عن توقف المصعد وساعة الأزهار التي نشفت من الماء وتوظيف الحمام الكثير من الرسائل التي عرفت مستغانمي كيف تنثرها في سيرتها هذه على نحو سردي ممتع.

تحدثت عن حلوى «الميل فاي «Mille feuilles أو «ذاكرة الزمن الصعب» بتعبيرها، التي كانت تأخذها لوالدها في المصحة. وعن طعم «الميل فاي» يقول والدها: «تدرين.. الإشكالية في كل ما هو حلو، هي أننا حال الانتهاء منه نحتاج إلى الماء، وعندها يذهب المذاق، فنريد المزيد منه».

سيتوقف القارئ عند تحايل والدها على الطبيب الفرنسي بذكاء وكبرياء، حتى لا يعرف ذلك الطبيب أن ما أوصله إلى المصحة هو الجزائر أي أنه مرض بسببها. هنا تبين كيف يخفي الرجل الحر مأساته الحقيقية عن الآخرين، حتى أنها أعادت روائيا كتابة رسائله، واستحضرت حتى حماس تلك الليالي التي كان يقضيها ساهرا لأجل بلاده، وكيف كان يدرس كل عاملة تأتي إلى البيت لإيمانه بقدرة التعليم على إحداث الفارق الحقيقي في حياة البشر، إذ تروي في سيرتها هذه ما كانت تعنيه المكتبة لوالدها، المكتبة التي خسر بسببها كل مدخراتهم.

تقول: «كنت تحب الكتب كما رجال زمنك، وكانت أمي تحب المظاهر كما هو المجتمع اليوم، أما أنا فكنت أحبك، كما كل البنات المفتونات بآبائهن».

وعن المكتبة تقول: «تلك المكتبة تختصر شخصيَّة عائلتنا فرداً فرداً، كما تختصر ما آلت إليه الجزائر جيلا بعد جيل».

وعن رجال ذلك الزمن، نقرأ عن عبد الحميد مهري السبب الرئيسي الذي دعاها لكتابة ذاكرة الجسد، نقرأ عن محمد إسياخم، أحمد بن بلة. نقرأ أيضا عن خالها الضابط المتقاعد سي عز الدين، وخالتها بديعة، ووالدتها التي نزعت الحايك مع الاستقلال، ثم بعد ذلك ارتدت الحجاب، ولهذا كله رمزياته، لكنها تتحدث عن والدتها الإنسانة بكل صدق، الصدق الذي تقتضيه السيرة الأدبية.

في هذه السيرة الروائية نقرأ عن مصر والمرحلة الناصرية، وعن عبد الحليم حافظ، وتمازج الحياة العاطفية لشابة والأحداث السياسية في تلك الفترة، إذ يكتشف القارئ أنها توثق بذكاء لتاريخ الجزائر انطلاقا من عدة تواريخ وأحداث متداخلة وصمت تلك الفترة.

في السيرة الكثير من الإشارات لجرائم فرنسا ضد الجزائريين أقلها ضررا الألقاب السيئة التي منحتها فرنسا للجزائريين، وتلك الألقاب كان فيها بتعبير مستغانمي «اغتيال معنوي للإنسان الجزائري.»

وذكرت في السيرة ثلاث فرنسيات، كل واحدة منهن تمثل نوعاً معيناً من الفرنسيين.

هناك الفرنسية التي لم تغفر للجزائريين استقلالهم، والفرنسية التي حاولت أن تعيش مع الجزائريين، لكنها لم تستطع. والفرنسية التي خافت وغادرت.

تستحضر مستغانمي أيضا الفرنسيين الذين كانوا مع الجزائر حتى أنهم عُذّبوا وماتوا لأجلها، وهؤلاء لا يجب أن يسقطوا من الذاكرة أبدا، وقد ذكرت أمثلة عن هؤلاء كالمناضل اليهودي إيميل شقرون، وفرانز فانون، والصحافي هنري علاق، وفيرناند إيفتون الذي أعدم لأجل الجزائر.

حين تنهي الكتاب تتساءل عندما تصادف فرنسيا هل هو مثل الطبيب الفرنسي الذي كان يعالج مجانين فرنسا والجزائر معاً؟ أم أنه مثل الفرنسي الذي قتل الجزائريين كزوج مدام كوزيت، أم تراه مثل الفرنسي الذي ضحى بحياته من أجل القضايا الإنسانية العادلة أمثال إيفتون؟ أم هو مثل مدام سيمون أو لربما مثل مدام تكسيه التي تمنت لو «تأخذ معها الأحياء»، أم أنهم مثل مدام كوزيت التي ودت «لو أخذت معها أمواتها»، حسب وصف الكاتبة.

شكلت هذه التساؤلات وأخرى كتاب «أصبحتُ أنت»، لكنك حين تقرأه لن تصبح كما كنت، وهنا تكمن المتعة السردية في هذه السيرة الروائية التي جمعت بين الشخصي والأدبي، بين السياسي والعاطفي، بين الواقعي والاجتماعي، وهي التي تقول: «صغيرة وقعت في قبضة التاريخ. أصعب من الوقوع في الحب، الوقوع باكرا في إرث الذاكرة.»

لتجيب أحلام مستغانمي عن السؤال الأهم كيف أصبحتُ أنت؟

أحلام مستغانمي: «أصبحتُ أنت»
نوفل، بيروت 2023
302 صفحة.

المقال

زياد ماجد

مدينة نابولي إذ تحتفل بالانتصار على شمال إيطاليا

انتصار فريق نابولي مناسبة لإثارة قضايا الجنوب والشمال

عاد نادي نابولي إلى عرش كرة القدم الإيطالية بعد ثلاثة وثلاثين عاماً من الانتظار. تُوِّج فريق الجنوب بطلاً للمرّة الثالثة في تاريخه، وهو الذي قاده الأرجنتيني دييغو مارادونا إلى لقبيه الوحيدين السابقين في العامين 1987 و1990، وقاده أيضاً برفقة البرازيلي كاريكا إلى الفوز بكأس الاتحاد الأوروبي العام 1989، وكأس الكؤوس الإيطالية العام 1990 على حساب خصمه الشمالي اللدود جوفنتوس في مباراة ما زالت إلى الآن مصدر الاعتزاز الأكبر لمشجّعيه (إذ انتهت بخمسة أهداف لهدف).

وإحراز نابولي رسمياً للّقب بعد مباراته ضد أودينيزي حوّل المدينة الجنوبية إلى ساحة احتفالات وفرح كرنفالي ندر أن شهدت مثله. ذلك أن انتصارها ليس رياضياً فحسب، بل هو أيضاً هويّاتي وجهويّ يلامس السياسة ويردّ الاعتبار لمدينة (ومنطقة) تعصف فيها الأزمات، ويتعرّض أهلها، ومن بينهم جمهور ناديها الأوسع شعبية، لتنميطات وهتافات تحقيرية من قبل بعض جماهير الأندية المنافسة، تذكّر على الدوام بعمق الانقسامات المناطقية في إيطاليا وبالهوّة الفاصلة بين الجنوب والشمال وما فيها من اختلافات اقتصادية و«عنصرية» اجتماعية داخلية.

بطالة واسعة وتردّي خدمات وتحالف النجوم الخمسة

فعلى سبيل المثال، تُظهر المؤشرات الاقتصادية والديموغرافية بوناً شاسعاً بين أحوال منطقة كامباني، حيث نابولي، وأحوال الشمال الإيطالي، حيث المدن الصناعية والتجارية الكبرى، وحيث تركّز الثروات. فمعدّلات البطالة تراوح بين 12 و14 في المئة في المنطقة الجنوبية الساحلية، وتصل إلى حدود الـ40 في المئة في حالة الأحياء الفقيرة في نابولي، في حين أنها تراوح بين 7 و8 في المئة كمعدّل وطني عام (وتقارب الـ23 في المئة في حالة من هم دون الـ25 عاماً)، وتتراجع إلى نسبة 4 في المئة كمعدّل وسطي في الشمال، ولو أنها تبقى مرتفعة في أوساط الشباب (حوالي 20 في المئة).

وعلى صعيد الناتج القومي الإيطالي، تبلغ حصّة سكّان كامباني 6 في المئة منه فقط، رغم أنهم يشكّلون 10 في المئة من مجمل السكّان الإيطاليين. وتقلّ مداخيل العائلات الكامبانية بنسبة الـ41 في المئة في حالة نابولي) رغم التراجع الكبير لهذه الحركة الشعبوية المناهضة للأحزاب السياسية التقليدية على الصعيد الوطني (حصلت على 15 في المئة من الأصوات بعد أن حقّقت 32 في المئة العام 2018). وجاء هذا التصويت مناقضاً للميل العام في الوسط والشمال الإيطاليّين حيث حلّ تحالف اليمين بقيادة «أخوّة إيطاليا» (الذي ترأسه جيورجيا ميلوني) أوّلاً بفارق كبير عن منافسيه.

كرة القدم كمنفذٍ نحو فرح عارم

بالعودة إلى انتصار نابولي والاحتفالات به، استعاد جمهور الفريق بهجةً لم يسبق أن سادت صفوفه وأفرحت المدينة بأسرها إلا أواخر تسعينات القرن الماضي، حين هزم نجمه يومها مارادونا أندية الشمال، ومثّل مع كاريكا وثناشيأ مرعباً لخطوط الدفاع الإيطالية والأوروبية بأسرها. على أن صفحة البهجة والفرح تلك طُويت صيف العام 1990 حين نظّمت إيطاليا كأس العالم لكرة القدم، وشاءت الأقدار أن يواجه الإيطاليون في المباراة النصف نهائية الأرجنتينيين على ملعب مدينة نابولي إياها! والأرجح أن قائد المنتخب الأرجنتيني، مارادونا، لم يخطئ حين قال بعد المباراة التي أنهت الحلم الإيطالي بالفوز بالكأس إنه لعب على أرضه وبين جمهوره. ذلك أن ارتباكاً واضحاً أصاب المشجّعين الإيطاليّين الميّالين عاطفياً إليه، والرافعين في الوقت نفسه أعلام «بلدهم». وذهب بعضهم لاحقاً إلى حدّ الشماتة بالمنتخب الإيطالي الخاسر، خاصة بعد تصريحات قائده (الميلاني) فرانكو باريزي الذي هاجم جمهور نابولي معلناً أن اللعب في تلك المدينة كان خطأً شنيعاً...

المهمّ أن نابولي عاد هذا العام، بعد أكثر من ثلاثة عقود، ليتسيّد الكرة الإيطالية، محتفياً هذه المرّة بثنائي كروي رهيب قوامه الهدّاف النيجيري الاستثنائي فيكتور أوسيمين ومن خلفه لاعب الوسط الجورجي كفارتسخيليا. ثنائي ذكّر بفاعلية مارادونا وكاريكا، ولو أن لا مقارنة لأحد بمارادونا لا في نابولي ولا في أي مكان في العالم.

والحق أن بطل إيطاليا الجديد قدّم كرة قدم هجومية ممتعة وفعّالة، وأظهر انضباطاً تكتيكياً وسيطرة على مساحات الملعب خلال معظم أوقات المباريات التي خاضها. ولعب مدرّبه لوسيانو سباليتي دوراً كبيراً في قيادة الفريق إلى اللقب، وهو الخبير بالكرة الإيطالية الذي قاد أميولي ثم روما والإنتر لسنوات. كما أن إدارة رئيسه دو لورانتيس وإنفاقها على اللاعبين وتجهيزات الملعب وعلى الجهاز الفني ساهما في إعادة نابولي إلى قمة الكرة الإيطالية، ولو أن الأمر لا يُعجب روابط الألتراس (وأبرزها رابطة «الفدائيين» التي تأسست العام 1979 واتّخذت اسمها تيمّناً بمقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية التي كانت ترفع أعلامهم، وهو أمر مشترك بينها وبين رابطة «فدائيي» نادي روما المتأسسة قبلها العام 1972، رغم العداوة الكبيرة بين الناديين).

فروابط المشجّعين الأكثر تعصّباً لناديهم كانت تتغنّى بقدرته على مقارعة أندية ميلانو وتورينو الشمالية الثرّية ونادَيّي العاصمة روما ولازيو من دون التضحية بطابعه الشعبي، وباستثمارات وموازنات أقلّ بكثير من تلك الموضوعة في تصرّف أندية الشمال والوسط. وهي في أي حال لا تُكنّ الكثير من المودّة لرئيس النادي، رجل الأعمال والمنتج السينمائي والمالك نادياً رياضياً آخر (باري) ووريث عائلة عاشت معظم سنواتها في العاصمة وليس في مسقط رأسها نابولي... لكنّ الروابط، مع ذلك، تقود الآن الاحتفالات، وتكرّم اللاعبين الحاليّين ومدرّبهم، وتستدعي إلى احتفالاتها قدّيسها الأول والأوحد، الذي اتّخذ ملعب النادي المتجدّد اسمه: دييغو مارادونا.

هكذا، تحوّل انتصار نابولي في كرة القدم في إيطاليا إلى مناسبة لإثارة قضايا الجنوب والشمال، ومسائل ملكية الأندية وروؤس مالها، واستذكار حقبات ذهبية وأسماء لاعبين صارت مرادفة لأسماء مدنٍ وأحياء ومناسبات. وهكذا أيضاً أنهى هذا الانتصار 33 عاماً من احتكار ثلاثة أندية للّقب هي جوفنتوس وميلانو وإنتر ميلانو (مع اختراقَين يتيمَين لاحتكارها ما قبل روما ولازيو). وربّما يفتح هذا الحدث الرياضي الباب لأحداث أُخرى، تعدّل من مراكز الثقل في الخريطة الكروية في بلدٍ لا تقلّ فيه مكانة «الكالشيو» عن مكانة الكتلكة أو السياسة أو الاقتصاد في الحياة اليومية لشرائح كبيرة من السكّان...

كاتب وأكاديمي لبناني

رأي

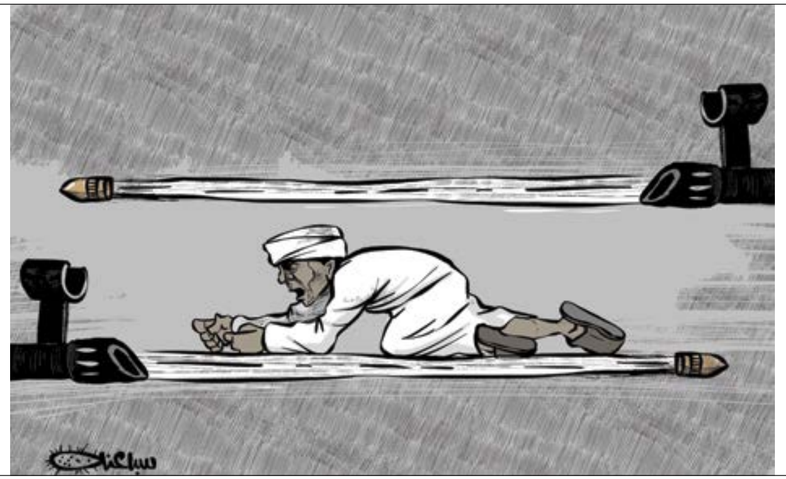

كاريكاتير: محمد سباعنة

عالمية نازك الملائكة

نادية هناوي

نتساءل أحيانا عن العالمية في المجال الأدبي وما الذي يجعل الأديب عالمياً؛ أهي اشتراطات نابعة من الأدب نفسه من ناحية بنائه وتكوينه ومواصفات ما ينبغي أن يكون عليه أم هي مقاييس متواضع عليها في الأدب الموصوف بأنه عالمي، مثل مقياس انتشار الأديب في أصقاع كثيرة من العالم ومقياس الحصول على الجوائز العالمية؟

قد يصح واحد من هذين الافتراضين، وقد يكون الاثنان صائبين، وقد لا يصح أي منهما لأن الأدب غير ثابت المقاييس، وليست له موازين محددة الصياغة؛ بل هو موار لا يستقر على حال كما أن الأديب قد ينتشر اسمه إعلاميا ودعائيا ولغايات منها سياسية ومنها غير أدبية حسب أجندات ودوائر مشبوهة أو غير مشبوهة تقف وراء شهرته. ولا يمكن أيضا أن نركن إلى الجوائز باستثناء جائزة نوبل لأنها لا تقصر نفسها على لغة أو جغرافية أو حقول معرفية بعينها بل تشمل العلمية والإنسانية معا، وهي تمنح تقييماتها بحسب وزن الاسم ومنجزه ومكانته ومن ثم هي ليست كالجوائز الأخرى عبارة عن مسابقات تقدم لها أعمال منجزة في عام يتم ترشيحها من قبل دور نشر أو أشخاص. وعلى الرغم من كل ما في جائزة نوبل من صرامة في المقاييس، فإن عوامل خارجية لا علاقة لها بالإبداع الأدبي يمكن أن تتدخل فتؤثر في منح الجائزة لأديب لا عالمية لأدبه أو تحجب نفسها عن أدباء عالميين حقيقيين بعطائهم المتفرد حتى لا يمكن لأحد أن ينكر تأثيرهم في الأدب العالمي كتولستوي وبريخت وجويس وغوركي، وكل واحد من هؤلاء اجترح في الأدب منجزا جديدا.

وإذا كان الأمر كذلك، فإننا سنعود نتساءل مجددا: ما العالمية؟ وسنتطيع القول إن العالمية منحة تأتي طائعة من تلقاء نفسها إلى أديب أنجز ما أنجز وقدم ما قدم فكان متفرد العطاء مستحقا للعالمية وأهلا لها. والعالمية أيضا تعني الإضافة الجديدة إلى عالم الأدب وبها يفرض المبدع نفسه فينتشر اسمه من دون افتعال أو ترشيح. فالعالمية تعرف الطريق إلى أصحابها ولا تحتاج وسائط توصلها بهم أو دلائل تهديها إليهم. فهم يدلون على أنفسهم بأدبهم، وأدبهم يشير إليهم. وما كان نجيب محفوظ عالميا بجائزة نوبل، بل هو قبلها كان عالميا، بما حمله أدبه من قيمة فنية قدمت للإنسانية جمالا لم تقف بوجه انتشاره أية حواجز أو قيود لغوية أو مادية.

وليست العالمية حكرا على أدباء أمة بعينها كما أنها لا تنحصر في جغرافية غربية أو شرقية، ولا تعترف بتقدم صناعي أو تأخر اجتماعي، ولقد نال كثير من أدباء أمريكا اللاتينية لقب العالمية بما قدموه للأدب من إضافات أصيلة جعلتهم يحرزون العالمية وهم داخل بلدانهم.

وبهذا المعنى تكون نازك الملائكة شاعرة عالمية بما اجترحته وابتدعته في شعرها ونقدها داخل مجتمع أقل ما يقال فيه أنه محافظ ومتطامن مع القديم المتجذر والمترسخ في النفوس والعقول.

وحسنا فعلت منظمة «الألكسو» للتربية والثقافة والعلوم العربية بإعلانها اسم نازك الملائكة رمزا للثقافة العربية لعام 2023 وكان حريا بالمنظمة أن تصفها بالعالمية. فالرمزية التي تركتها نازك في الأجيال الشعرية اتما هي توكيد لعالميتها كشاعرة مجددة وناقدة مبدعة خرقت عمود الشعر وشقّت فيه هي وصحبها الثائرون طريقا جديدا ضد التقاليد الجائمة على الشعر العربي قرونا وقرونا. هذا الطريق الذي ما كان يسيرا الاستمرار فيه من دون تضحيات، فصمدت وكتبت ودافعت وردت وناظرت وعارضت إلى أن تأكد نجاحها الذي حاول كثيرون تجريدها منه والالتفاف عليه. وعي نازك الشعري لم يكن اعتباديا، فلقد جمعت المعاصرة بالتراث وانفتحت بعقلها على شتى الثقافات واستلهمت منها ما يطور تراث الشعر العربي ويقوي دعائم لغته.

وقد يكون في تزامن إعلان الألكسو هذا مع عيدِ المرأة ما يشي بأنه كان من باب دعم المرأة العربية ذراً للرماد في عيون من يقول إن المنظمات الثقافية ذكورية السلطة. هذا إن لم تكن هذه المنظمة قد أرادت بإعلانها تأكيد فاعليتها لمن يقولِ إن منظمات الجامعة العربية جامدة لا تحرك ساكنا إزاء ما يجري من تراجع في مستويات التربية وتدن في أساسات التعليم العام والعالي.

عموما نقول إن نازك الملائكة نارٍ على علم ولن تضيف تسمية هذا العام باسمها شيئا إليها، فشهرتها طبقت الآفاق، وقيمة منجزاتها لا تنسى. وعلى الرغم من أنه قد مر عليها ثلاثة أرباع القرن، فإنها حاضرة في كل أوان.

وإذا كان لنا أن نحتفي بنازك فجدير أن يكون عيانياً كإنشاء مكتبة باسم نازك الملائكة في كل عاصمة من العواصم العربية أو إقامة نصب تذكاري يشمخ في بوابات المطارات العربية أو أن تطلق باسمها جائزة عربية على غرار جوائز البوكر وغونكور إلى غير ذلك من المشاريع التي بها تُعرف صورة نازك الملائكة كرمز مادي ومعنوي لا ينقضي بانقضاء العام، والأهم من هذا وذاك نقل إبداعها إلى اللغات الأخرى.

للأسف مثل هذه المشاريع تظل تطلعات وأماني عذابا، لاحتياجها إلى ما لا يسعى إلى تحمله الواقع الحالي. ومن ثم يكون أضعف الإيمان كما ارتأت المنظمة هو تسمية العام باسم نازك الملائكة.

وإذ نشكر المنظمة على التفاتتها؛ فضعف الإيمان خير من انعدامه لكن المأمول أكثر. ومن ذلك أن تعمل على تأكيد عالمية أدبائنا المبدعين وأن تكونِ مسألة العالمية على جدول لوائح عملها مستقبلاً. فلعلنا نتخلص من الشعور بالخضوع والتبعية ونكون على قدر المسؤولية في التأشير على إبداع أهلنا. فأمتنا لم تعدم مبدعين عالمين في أي مرحلة من مراحل تاريخها الطويل والعصيب.

ومثل نازك الملائكة في العالمية عشرات الأدباء العرب ممن كان التجريب والتطوير والتغيير شغلهم الشاغل ومبدِد راحتهم ومالئ حياتهم حتى بلغوا بالأدب جديداً. ومن الجدير بنا أن نكون شجعاناً ونقر بالعالمية لشعرائنا وقصاصينا وروائيينا أصحاب الإضافات الأصيلة. بيد أن الإشكال هو كيف نعترف بهذه العالمية ونحن نفسياً غير مهيئين ولا قادرين على التخلص من عقدة الدونية، بعكس بلدان أمريكا اللاتينية التي تخلصت من هذه العقدة فكان نقادها ومفكروها يتحدثون عن أدبائهم بوصفهم عالمين مع أن بعضاً منهم لم تطأ قدمه أوروبا ولا عرف اللغة الإنكليزية ولا نال جائزة غربية أو خرج بأدبه عن المحلية. والمحلية لا تتعارض مع العالمية، بل المحلية هي التي تفرض عالميتها، وأدب محفوظ صار عالمياً بأجوائه الشعبية القاهرية الخالصة.

والمفروض أن الأمر نفسه يطبق على الأدباء العرب غير أن واقع الحال ليس كذلك، فالتبعية مقيتة ومستحكمة جداً ومن ثم لا نعبِّد إلا ما يمجِّده الغرب. وإذا كنا نحن لا نقر لأنفسنا بما هو فينا فكيف ننتظر من الغربي أن يبادر إلى الاقرار، كي نردده من بعده منتشين؟

واعتقد أن الأوان لم يفت كي نستدرك ما فات، ولعل مبادرة منظمة الألكسو إزاء الشاعرة الكبيرة نازك الملائكة إشارة تبشر بخير على طريق نرجو ألا يكون طويلاً، فنشهد مؤسساتنا وهي تقر بالفضل لمن هم أهلٌ للعالمية دونما انتظار قرارات جائزة أو مرسوم مؤسسة. وكيف يشرعن الغربي العالمية لغيره وهو يحصرها في بني جلدته أو جلدة من له مصالح معه، بل هو إلى اليوم ما اعترف لأسلافنا الذين كان في عالمية عطاءاتهم الأدبية والفكرية والعلمية أثر مهم في نهضة ما نسميه اليوم «العالم الغربي»!

إن العالمية سمة إنسانية ليست مخصوصة بأمة، بل هي لكل الأمم وبحسب ما عندها من طاقات وعطاءات إبداعية. فهل نظل نذكر نجيب محفوظ كمثال على العالمية كونه الوحيد الذي نالها بمرسوم غربي؟ سؤال نطرحه وتظل الإجابة مرجأة مع أسئلة أخرى قد يطول المقام بنا ونحن نعرضها كلها.

كاتبة من العراق

تتويج الملك تشارلز الثالث

بدأت مراسم التتويج الديني للملك تشارلز الثالث والملكة كاميلا السبت في كنيسة ويستمنستر في لندن بحضور حوالي 2300 مدعو.
وبعد موكب رافق العربة التي أقلتهما تحت المطر من قصر باكنغهام، عبر الملك وزوجته بلباسهما الملكي، باب الكنيسة لتبدأ مراسم أنغليكانية لتتويجهما من قبل كبير أساقفة كانتربري.
وتجمع عشرات الآلاف من الشبان وكبار السن من بريطانيا وشتى أنحاء العالم في وسط لندن أمس لمتابعة مراسم تتويج تشارلز الثالث ملكا لبريطانيا قائلين إنها فرصة ليشهدوا لحظة فارقة في التاريخ ويستمتعوا بحفل فريد من نوعه.
ومنذ الساعات الأولى من الصباح، اصطفت حشود ارتدت ملابس بالألوان الأحمر والأبيض والأزرق ورفعت العلم البريطاني على جانبي الشوارع لمشاهدة مراسم التتويج، وهي الأولى في بريطانيا منذ 70 عاما وتتسم بالأبهة والفخامة.

تحقيقات

الملك تشارلز الثالث يرث عرش مملكة تخشى أن تصبح «غير متحدة»

لندن – «القدس العربي»:
محمد نون

ما بين تتويج الملك وليام الفاتح على عرش إنكلترا في يوم الميلاد عام 1066 وتتويج الملك تشارلز الثالث على عرش المملكة المتحدة في السادس من أيار/مايو 2023 تنقضي 957 سنة من حكم العائلة المالكة في بريطانيا.

استحضار هذا التاريخ الطويل كان جليا في حفل التتويج للبناء عليه في كيفية مقاربة الأحداث في المستقبل، والحفاظ على استمرارية الملكية في مقابل تنامي الدعوات والأفكار المطالبة بإلغاء النظام الملكي سلمياً لصالح إقامة نظام جمهوري، عبر استفتاء شعبي تطالب به مقاطعة اسكتلندا وتليها مقاطعة ويلز، بينما ليس الوضع أفضل حالا في مقاطعة إيرلندا الشمالية حيث يزداد نفوذ حزب الشين فين المطالب بالانفصال عن بريطانيا والاتحاد مع جمورية أيرلندا.

لذلك فإن الناظر إلى مشاهد حفل التتويج يشعر وكأنه ينظر إلى كرة بلورية تتزاحم فيها صور الأحداث والرموز ما بين الماضي والحاضر، فيحاول فهمها في سياقها الطبيعي ليخرج بخلاصة يريد منها الإجابة على سؤال مفاده: «إلى أين ستسير المملكة المتحدة في عهد الملك تشارلز الثالث؟».

إيقاع بين السرعة والانتظار

مسيرة حياة الملك الجديد في الأسرة المالكة كانت مزيجا بين السرعة المبكرة، والانتظار الطويل.

فتشارلز الثالث المولود في 14 تشرين الثاني/نوفمبر 1948 كان طفلا عندما أصبحت والدته ملكة بعد وفاة جده الملك جورج السادس. وبصفته الابن الأكبر، أصبح تشارلز ولياً للعهد، في سن مبكرة جدا، حيث كان عمره أربعة أعوام عندما أصبح الوريث المفترض للعرش، وحضر حينها حفل تتويج والدته الملكة إليزابيث الثانية على عرش المملكة عام 1952. كما عينته والدته أميرا لقاطعة ويلز عندما بلغ التاسعة من عمره، ثم جرى الاحتفال رسميا في مراسم فخمة ومتلفزة بتنصيبه وليا للعهد عندما بلغ سن العشرين. لكن، شاءت الأقدار له بطول الانتظار مدة سبعين عاما ليتولى مقاليد السلطة الملكية بعد والدته التي بقيت في سدة العرش طوال تلك المدة حتى وفاتها بتاريخ 8 ايلول/سبتمبر 2022 وبالتالي بلغ تشارلز الثالث سن الرابعة والسبعين ليغدو أكبر ملوك بريطانيا سناً حين تسلمه الحكم.

وفي الحياة الشخصية يمكن رصد تجربة مشابهة في بعض جوانبها بين السرعة والانتظار على مدى خمسة وثلاثين عاما ما بين الأعوام 1970 وحتى 2005. فعندما كان يُتابع دراسته الجامعية في كامبريدج، ويدرس الأنثروبولوجيا وعلم الآثار والتاريخ، التقى تشارلز بالشابة كاميلا شاند في مباراة بولو عام 1970. وكاميلا هي فتاة من الطبقة البرجوازية القريبة من الدوائر الملكية، وجمعهما حبّ قطعته لاحقا مشاركة الأمير في البحرية الملكية، ثم جاء العام 1973 فتزوّجت كاميلا من الضابط أندرو باركر بولز. ثم جاء العام 1981 فتزوّج تشارلز من الشابة ديانا سبنسر التي كانت في العشرين من عمرها بينما كان هو في عمر الثانية والثلاثين، وكانت ثمرة ذلك الزواج بين تشارلز وديانا، ولادة الأمير وليم عام 1982وهو ولي العهد الحالي، ثم ولادة أخيه الأمير هاري عام 1984 وهو الناقم حاليا على العائلة الملكية. وأظهرت الحقائق لاحقا أن علاقة تشارلز بكاميلا تم تجديدها عام 1986 وهي انفصلت عن زوجها في العام 1995.

وبعد عام حصل الطلاق بين تشارلز وديانا. وتلاه عام 1997 الذي شهد موت ديانا في حادث سيارة في باريس.

ومضت السنون حتى حصل الزواج بين تشارلز وكاميلا عام 2005 في حفل زفاف مدني في بلدية ويندسور، لم تحضره الملكة إليزابيث، لكنّها نظّمت حفل استقبال للزوجين.

وتنقسم الآراء بشأن ما تم ذكره، فالبعض يرى في السرعة والانتظار عوامل لم تكن في صالح تشارلز الثالث، والبعض الآخر يعتبر أنه لم يجنح عن تحقيق أهدافه وما كان يصبو إليه رغم طول الزمن، فها هو اليوم ملك متوج بعد إليزابيث الثانية، وإلى جانبه زوجته كاميلا التي أصبحت «الملكة القرينة وعمرها 75 عاما» رغم أن أحد استطلاعات الرأي الذي أجرته صحيفة «ديلي ميل» مؤخرا يفيد أنه وفي أفضل الأحوال، يوافق 36 في المئة من البريطانيين على منحها لقب «الملكة القرينة» كما رغبت الملكة إليزابيث الثانية، مقابل 23 في المئة يعتقدون أنه لا ينبغي أن تمنح أي لقب على الإطلاق. كذلك لم تتجاوز شعبيتها 46 في المئة، ولا يرغب أكثر من 14 في المئة من البريطانيين أن تُعرَف باسم «الملكة كاميلا».

الصراع بين الرعية في الملكية والمواطنين في الجمهورية

يسعى الملك تشارلز الثالث إلى الحفاظ على التاج الملكي الذي يظلل المملكة المتحدة و14 دولة أخرى هي دول الكومنولث، ويدرك أن جيل الشباب يتطلع إلى التغيير، وكمثال على ذلك فإن رئيس وزراء مقاطعة اسكتلندا حمزة يوسف كان واضحا في موقفه الانتخابي أمام جمهوره حين قال في آذار/مارس خلال حملته لتولي رئاسة وزراء تلك المقاطعة البريطانية إنه «يعتبر نفسه أولاً وقبل كل شيء مواطناً وليس أحد الرعية». كما وعد برئيس منتخب في السنوات الخمس التي تلي استقلال اسكتلندا عن المملكة المتحدة. ويشاركه في قناعاته بشأن النظام الجمهوري أيضا رئيس حكومة مقاطعة ويلز مارك دراكفورد. وليس بعيدا عن تلك القناعة موقف زعيمة حزب الشين فين الأيرلندي الشمالي ميشيل أونيل حيث يتطلع حزبها إلى الانفصال عن المملكة المتحدة والاتحاد مع جمهورية إيرلندا العضو في الاتحاد الأوروبي.

أما دول الكومنولث فتزداد فيها الدعوات المطالبة بفك الارتباط مع المملكة المتحدة، وعلى رأس القائمة تقف الحكومة الاسترالية التي تسرع الخطى نحو التخلي عن الملكية.

كل هذه الحقائق لا تغيب عن بال الملك تشارلز الثالث، وهو الذي سمع مرارا متظاهرين من دعاة الجمهورية يهتفون برفضهم له عبر ترديدهم شعار: «ليس مَلِكي».

كما أن الهالة التي كانت تتمتع بها الملكة إليزابيت الثانية على مدى حكمها لسبعين عاما، كانت إحدى ضمانات استقرار الملكية. وعنها يقول الجمهوريون بأنها كانت «نجمة» النظام الملكي خلال فترة حكمها وأن الظروف الآن تغيرت إذ أن الأرض باتت أكثر خصوبة والناس ما عادوا يرغبون في الاستماع والمشاركة.

ولا شك أن الملك تشارلز يعرف بما جاء في دراسة للمركز الوطني للبحوث الاجتماعية الذي قال في إحدى دراساته: «إن نسبة البريطانيين الذين يعتبرون الملكية مهمة جدا لا تتجاوز 29 في المئة».

من هنا يعتبر غاي غودوين الرئيس التنفيذي للمركز إن التحدي الذي يواجه النظام الملكي سيكون إثبات أهميته وجذب الشباب للاحتفاظ بهذا الدعم.

ومن بين مشاكل وتطلعات الشباب تبرز قضية تطال العائلة المالكة من الداخل وتتمثل في خلاف الملك تشارلز الثالث مع ابنه الأصغر الأمير هاري الذي نشر مذكراته، بعنوان «سبير» أو «البديل» إضافة إلى مسلسل وثائقي على نتفليكس ومقابلات تلفزيونية، انتقد هاري قصر بكنغهام وعائلته في قضايا عدة، بينها «فشلها» في حمايته هو وزوجته الأمريكية ميغان من تدخل الصحافة في شؤونهما.

ومع ذلك، يعتقد البعض أن الضجة المثارة حول هاري ستصبح في طي النسيان مع استمرار أفراد العائلة المالكة في القيام بمهامهم وحضور المناسبات الرسمية ودعم المؤسسات الخيرية.

ويدرك الملك الجديد أيضا أن الصراع بين الملكيين والجمهوريين هو صراع قديم، حيث يذكر التاريخ أن الجد الأكبر له وهو الملك تشارلز الأول دخل في صراع مرير معهم تحول إلى حرب أهلية، أدت إلى إعدامه عام 1649 في لندن وعلى مقربة من كنيسة وستمنستر. كما بقي تشارلز الثاني ملكا فقط على اسكتلندا بعد إعدام والده قبل أن يستعيد عرش إنكلترا وأيرلندا بعد حكم دعاة الجمهورية في الفترة الفاصلة. ورغم ذلك ترى آنا وايتلوك وهي أستاذة تاريخ الملكية في جامعة سيتي لندن أن النظام الملكي يبدو أكثر استقرارا اليوم، لكنها توضح أيضا بالقول: نعم انها مملكة مفككة في نواح كثيرة ومن الواضح ان هناك امكانية لبدء نقاش لم يكن يدور طوال عهد الملكة الطويل، وأن الشباب خصوصا بدأوا بالتساؤل عما يفعله النظام الملكي وما يستحقه وما إذا كان خاضعا للمساءلة».

وتخلص في تصريحها لوكالة «فرانس برس» إلى الاعتقاد بأن يستغرق الجدل حول الجمهورية وقتا طويلا وأنه «من غير الوارد إطلاقا أن يتبع تشارلز الخطى المروعة لتشارلز الأول».

أما الكاتبة المتخصصة في الشؤون الملكية تينا براون فتقول لرويترز: أعتقد أننا جميعا فوجئنا بالطريقة الجيدة التي بدأ بها الملك تشارلز.

لكن هناك معطيات تقول بأن الملك أقلّ شعبية من والدته أو ابنه وليام، كما أنّه لا يثير حماساً كبيراً لدى الشباب، وفقاً لاستطلاعات الرأي.

ويقول المعلّق الملكي ريتشارد فيتزوليامز، «من الصعب أن تكون ملهماً عندما تكون في السبعين من عمرك، وبعدما كنت موجوداً منذ فترة طويلة وسط الكثير من التقلبات».

وأثارت صحيفة «الغارديان» تساؤلات كثيرة في جملة مقالات حول الطبيعة الغامضة للثروة والشؤون المالية للمؤسسة والعائلة المالكة، في وقت يواجه فيه البريطانيون أزمة كبيرة في تكاليف المعيشة.

وسجل البعض لقصر بكنغهام تأييده تحقيقا في صلة النظام الملكي بالعبودية وسط دعوات متزايدة للاعتذار والتعويضات.

ثلاثة أيام من الاحتفالات

وفي الوقت الذي يريد دعاة الجمهورية ايصال رسائلهم الاعتراضية، فإن أنصار الملكية يغتنمون الفرصة الاحتفالية بالتتويج بعد المراسم الدينية التي جرت أمس في السادس من أيار/مايو، وتستمر لثلاثة أيام يراد منها أن تعكس دور الملك في التطلّع إلى المستقبل، مع التجذّر في التقاليد والعظمة التاريخية كما يراها قصر باكنغهام. وتمت دعوة الناس للمشاركة في الاحتفالات التي تشهدها الأحياء، بما فيها حفلة موسيقية في قلعة وندسور في غرب لندن، بحضور 10 آلاف بريطاني تمّ اختيارهم عشوائياً. وهناك دعوة من العائلة المالكة إلى البريطانيين للقيام بأعمال تطوعية غدا الاثنين في الثامن من أيار/مايو، وهو يوم عطلة.

وشهد قسم التتويج، المكتوب منذ العام 1688 تغييرات على مرّ القرون. ومنها مثلا أن الملكة الراحلة إليزابيث الثانية أقسمت على أن تحكم «وفقاً لقوانينها» شعب المملكة المتحدة والدول الـ14 الأخرى التابعة للتاج، والدفاع عن الديانة الأنغليكانية التي يرأسها الملك. بينما يتميّز الملك تشارلز بخطاب يؤكد على التواصل تجاه كلّ الأديان. لقد طلب تشارلز الثالث أثناء اعتلاء العرش من الله أن يساعده ويكون في عونه، بعدما أقسم على الحكم بالعدل.

وأخيراً سيكون الاختبار الأكبر لتشارلز الثالث هو الحفاظ على الوحدة الترابية والسيادية للمملكة، التي بات كثيرون يخشون أن لا تبقى مملكة متحدة.

تنامي الدعوات والأفكار المطالبة بإلغاء النظام الملكي سلمياً

أداب وفنون

المتتالية القصصية: حدود النوع وإيقاع التكرار والتأويل

عادل ضرغام

هناك دائما شيء في القصة القصيرة يجعلها بالتأكيد مختلفة عن الرواية، يتأسس ذلك الشيء في بدايتها الأولى، وفي اقترانها بالشعائري والعقائدي، وارتباطها بالتجريدي، وهذا يجعلها أقرب إلى الشعر في عنايتها بالحدث اللاافت المضيء بعيدا عن النمو المطرد. والقصة القصيرة في ظل ذلك بنية ساكنة ترتبط بالثبات أكثر من ارتباطها بالحركة والنمو، لأن حركتها ذهنية داخلية مشدودة للحدث في تجليات سابقة وآنية، مما يجعلها في معانقتها للمعرفي تحدث زحزحة وانفتاحا لحدودها الزمنية، فيصبح الزمن دائريا ذا خصوصية.

وفي العقود الأخيرة – بعيدا عن التجليات التراثية – تأصلت أشكال سردية في مساحات التداخل بين الأنواع الأدبية، وذلك من خلال الجمع بين آليات أكثر من فن، ليكون لدينا شكل له خصوصية. من بين هذه الأشكال السردية المتتالية القصصية التي يعتبرها البعض نوعا فرعيا قائما بذاته، لأن دارسي الفن الروائي لا يعتبرونها رواية بالمعنى المتداول والمستقر لديهم، ولا يعتبرها كذلك دارسو القصة القصيرة داخل حدود القصة القصيرة، وذلك لكونها تجمع بين جزئيتي الانفتاح والانغلاق، وبين النمط الكلي وما يوجبه من تداخل، والجزئي وما يسدله من حدة فارقة وصلبة بين الجزئيات. وهذه الأشكال البينية وثيقة الصلة بالسيولة النوعية في محاولة البحث عن أشكال جديدة تتعاظم على الحدود الجاهزة، لتأسيس بنية خاصة فيها من التماوج والمطاوعة مما يجعلها نوعا خاصا، يتطلب بالضرورة آليات مقاربة جديدة.

والكتّاب – في بعض الأحيان – انطلاقا من سياقات حضارية يتولّد لديهم رغبة ملحة في إنجاز شيء كلي موحد في المجموعة القصصية، حيث يظهر فيه الاتساق أكثر من التنوّع، ولكنهم حذرون في الوقت ذاته من كتابة الرواية بآلياتها المعروفة والمحددة، ومن ثم يجدون بغيتهم في شكل المتتالية التي تسمح بآليات فنية لتنضيد الوحدة والتنوّع في آن. وقد أشار جيرار لينش إلى أن شعبية المتتالية القصصية تزامنت مع صعود الحداثة في الأدب، أي في الفترة التي كان تأثير داروين وماركس وفرويد وأينشتاين محسوسا بشكل تراكمي، وكانت جميع الأنظمة التقليدية في الأدب – ومنها الرواية الواقعية – داخل مراجعة مزعزعة، وفي ظل هذا السياق ينظر إلى المتتالية على أنها نوع من المقاومة للرواية الواقعية، وتفتيت للسلسلة السردية الطويلة من المكان والزمن والشخصية والحبكة.

تتشكل قيمة المتتالية بوصفها شكلا أدبيا خاصا فيما تنتجه من مقاربة فنية تتمرد على البنية الرأسية الواقعية في تقصيها وتمددها واكتمالها، فتتحوّل إلى مقاربة أفقية تتوسّل بالتكرار لتنضيد الإيقاع الخاص، وللوصول إلى معنى أو دلالة لا يمكن الوصول إليها من التعامل مع القصص بشكل منفرد بوصفها بنيات مغلقة. فمن الجزئيات الجيدة التي يتيحها شكل المتتالية كونها تتيح للكاتب بناء قائما على التكرار والتوازي، يمكنه من المقاربة وإعادة المقاربة في صور عديدة للإمساك بإيقاع حركة لشخصية أو مجموعة شخصيات، أو نمطية خاصة بمكان أو مجتمع.

حدود النوع

ثمة فروق أو اختلافات بين المتتالية القصصية والرواية، يتمثل أهمها في غياب المركزية السردية في المتتالية وحضورها في النص الروائي، والمقصود بالمركزية هنا تراكم الحدث وتتابعه، سواء أكان خطيا أو غير خطي في أفق وتوجه محددين من خلال الشخصيات أو الحبكات أو التيمات. فالفارق بينهما لا يرتبط بالخطية، وإنما في وجود بنية محددة الأطر والتوجهات يتراكم حولها السرد، وهذه البنية متحققة بصورة مباشرة في النصوص الروائية، ولكنها في المتتالية تتطلب فعلا من أفعال التأويل، للوصول إلى الوعي وتشكيل ملامحه وحدوده، وإذا كانت هذه الكتلة المركزية تتحقق في الرواية بالنمو السردي، فإنها في المتتالية تتحقق بفعل التكرار لإحداث إضافة داخل بنيات سردية تلحّ على جمعها واستحضارها وسبكها داخل نسق تأويلي موحّد، وأحيانا يكون التكرار ماثلا في شخصية أو في خطاب أو في مكان أو في استعارة لها تكرار لافت.

المتتالية القصصية هي مجموعة من القصص المترابطة التي تحتل موقعا في المنتصف بين المجموعة القصصية والشكل الروائي المستقر، فهي تتكون من قصص مفردة، لكنها مرتبطة ببعضها البعض، وتتحقق في مساحة الربح بين الوحدة الكلية والتفتت، ويمكن جمع شتات هذا التفتت من خلال معاينة البنيات التكرارية مثل المكان أو الشخصيات أو الموضوع.

وفي تحديد النوع الأدبي وتشكيل خصوصيته يقابلنا أول تحديد للمتتالية من خلال الجهود الرائدة لفورست إنجرام عام 1971، حيث يعرّف المتتالية (بأنها مجموعة من القصص القصيرة ترتبط ببعضها البعض من خلال مؤلفها لدرجة أن تجربة القارئ على مستويات مختلفة يعدّل فيها بشكل كبير). فالمؤلف حين يتوجه إلى هذا الشكل الكتابي الموزّع بين الانفتاح والإغلاق لا يخلو توجهه من قصدية في مقاربة السياقات الفردية والجماعية، في إطار بنية حافلة بالانقطاعات الدالة على معنى عام أو إيقاع، لا يتمّ التوجه إليه في إطار بنية واقعية نمطية، ولكن من خلال بنية خاصة تولد تشابهات وتوازيات داخل هذه الانقطاعات تشعرك بالتجاوب والتكامل والانفتاح.

أما الجزئية الأهم في تحديد إنجرام فترتبط بدور القارئ في معاينة الاكتفاء والفرادة والتداخل في الآن ذاته، لأن تحديد النوع أو الشكل الأدبي يرتبط أساسا الآليات التي تتطلبها عملية القراءة والتأويل، فاختيار التعامل مع الوحدة أو الكلية أو الجزئية أو الفرادة في امتلاك مركز داخل كل قصة من قصص المجموعة هي آلية قراءة في الأساس. وإذا كان هناك اتفاق بين معظم النقاد على أن المتتالية القصصية تتشكل في حدود هذا التوتر، فإن المقاربات النقدية التي تناولت الأعمال المهمة لذلك الشكل الفني مثل «أهل دبلن» لجيمس جويس، و«حياة البنات والنساء» لأليس مونرو، و«نادي البهجة والحظ» لآمي تان قد كشفت عن أن هناك خلافات جوهرية تتصل بالأسس البنائية أو التيمات الدلالية التي تصلح لزحزحة الفرادة الجزئية لكل قصص المتتالية.

جيمس جويس

وقد أشار إنجرام في كتابه التأسيسي إلى وحدة المكان أو الفضاء أو الشخصيات داخل القصص التي تشكل متتالية قصصية، وقد تابعته سوزان جارلاند مان في التأسيس لثلاث جزئيات فاعلة في الإحساس بالمتتالية وتشكيل عوالمها، تتمثل في المكان والشخصية والموضوع، وتصل إلى إشارات تجنيسية عامة يمكن أن تكون أداة لوضع أو لضم مجموعة قصصية داخل حدود المتتالية القصصية، بما تمنحه من تماسك وترابط وتسلسل يضمن تطورا داخل القصص مما يسهم في تذويب الجزئية والبؤرة المركزية لكل قصة.

إيقاع التكرار والتأويل

إن الشكل الأدبي حين يتأسس في سياق ما يتأسس لأنه يؤدي إلى مقاربة من نوع خاص، في محاولته الإمساك بدلالة من نوع خاص وفي إطار محدد لا يتم الوقوف عندها في نمط السرد الواقعي المعهود. فهناك منحى دلالي يولده هذا البناء القائم على التكرار والتتالي، وكأنه إيقاعات موسيقية متداخلة ومتعانقة، ولكنها في تداخلها وتعانقها تأخذ أشكالا بها مساحات من الاختلاف ومساحات من التطابق، فيظل مشيرا إلى تشكلات سابقة، من خلال جذع مغذ لحركة المعنى.

والإضافة التي يولدها البناء– بعيدا عن زحزحة الواقعي وتراتبه في عدم عنايته بالتمدد الرأسي والاكتمال – تتمثل في كونه يعنى بالآني في تشكله اللحظي وتداعياته وترابطاته، بما يقدمه من بناءات متوازية أفقيا على اختلاف مظاهرها. والحكم على قيمة المتتالية القصصية فنيا يجب أن يتشكل في حدود الكشف عن دلالة لا يمكن أن يؤديها السرد الروائي الواقعي الممتد، ولا يمكن للقصص داخل المجموعات القصصية التي تشمل بناء مغلقا على مركزية دلالية أو نواة خاصة بها، فهناك وظيفة تكاملية يجب أن يتمّ استيلادها من الشكل البنائي الخاص بالمتتالية.

وإذا كانت المتتالية القصصية تقوم بنائيا على الجزئيات التي تعطيها التماسك والترابط، فإن قيمتها الفنية المضافة أو المولدة من هذا الشكل القائم على التفتيت المتوازي. وهذا الشكل يتحقق في أعمال عالمية كثيرة، وفي أعمال عربية مثل «في مستوى النظر» لمنتصر القفّاش، وفي «غرفتان وصالة» لإبراهيم أصلان، وفي «أخبار الرازي» للتونسي أيمن الدبوسي. وكل هذه المجموعات تستند إلى المكان بوصفه المرتكز الأساس لهذا الشكل المفتت والجزأ، فالمكان – والشخصيات الثابتة التي تتحرك في إطاره – في المجموعات الثلاث وسيلة الترابط والخروج من الأفق المغلق إلى الأفق المفتوح، فهو مؤطر مساحات الترابط والتداخل بين القصص، ويشدها إلى دلالة أكثر عمقا، قد لا تقدمها القصص في حالات الوحدة المغلقة والإفراد.

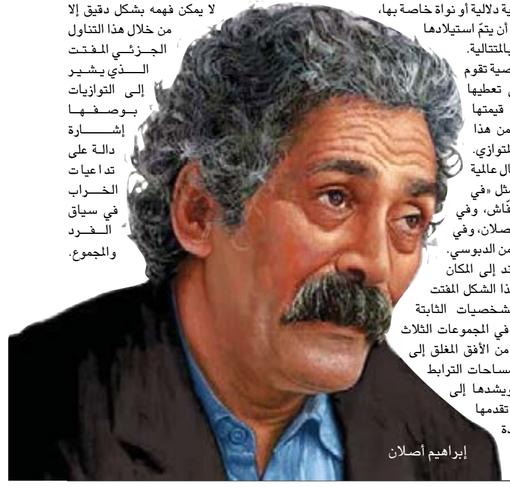
إبراهيم أصلان

فالمكان في مجموعة إبراهيم أصلان (حجرتان وصالة) يشكل الأفق المحدد للحركة، فكل قصص المجموعة رصد للحركة داخل هذا الإطار الضيق المحدد، وإذا خرج السارد الثابت في كل قصص المجموعة يكون في حيز قريب من هذا الإطار الذي يعنى نتيجة للأفق وضيقه بإعادة رصد وإقامة مساحة اتصال مع الأشياء اليومية البسيط التي لم يكن السارد ينتبه إليها سابقا، وذلك لانفتاح الفضاء وتعدده، فالسارد في قصص المجموعة يؤسس اتصاله بالعالم وبالأبناء وبالحاجّة (زوجته) في إطار لحظة زمنية ذات خصوصية.

فما تقدمه المتتالية لا يرتبط بتقديم حكاية أو حكايات مكتملة، لكنها لقطات جزئية خاصة بمراقب مشارك، فنراها جزئيات سابحة داخل عالم تكشف عنه بمنطقها الخاص من خلال آلية التكرار العادي للحركة والسلوك، ولكنها بالرغم من جزئيتها تلحّ على صناعة أفق بشكل مجزأ تنبع قيمته من رصده الملحوظ بالنقصان وعدم الاكتمال.

فالبناء هنا لا يقوم على الاختيار وتتبع شخصيات منتقاة ومحددة، ولكنه يقوم على المسح الأفقي الشامل للداخل بظواهره المتوازية الكاشفة عن الخارج بأنماطه الضاغطة، ويترك شخصيات هذا المسح على حالها في تأملها اللحظي دون عناية كبيرة بالنتيجة المنتظرة. وفي ظل ذلك تحدث الزحزحة من الداخل للخارج، فيعاين من خلال هذه المساحة الزلقة من التداخل أشياء عديدة، وثيقة الصلة باللحظة الحضارية، فالمكان هنا مكان مجرد نافذة للتأمل لكي يطل على سياقه العام، وعلى الحياة بتنويعاتها المختلفة.

إن المتتاليات القصصية في (أخبار الرازي) لا تكفّ عن الإشارة إلى الخارج من خلال التماهي والزحزحة بين الداخل والخارج، ولكنها في الآن ذاته لا تنتجلى بعيدة عن حدود الوجود الذاتي الفردي في مجابهة العالم الذي لا يستطيع السارد الوصول إلى فهم دقيق له، أو إلى استيعاب منطلقاته التي تندّ عن الفهم المنطقي في ظل أنساقه القائمة على الجور.

هذه الدلالات المضافة وثيقة الصلة بنوعية الرصد والمقاربة الفنية، وطبيعة النوع، وتشكلات المكان الذي لا يمكن فهمه بشكل دقيق إلا من خلال هذا التناول الجزئي المفتت الذي يشير إلى التوازيات بوصفها إشارة دالة على تداعيات الخراب في سياق الفرد والمجموع.

الكاف العالية قلعة الفن الرابع في تونس تتنفس مسرحا بدون انقطاع

تونس ـ «القدس العربي»: روعة قاسم

تعتبر مدينة الكاف التي تنعت بـ«العالية» واحدة من أهم المدن التونسية بمنطقة الشمال الغربي بالنظر إلى تاريخها الضارب في القدم باعتبارها إحدى عواصم مملكة نوميديا التي نشأت وترعرعت في كنف جمهورية قرطاج أواخر عهدها. ونهلت نوميديا من معين حضارة قرطاج قبل أن تتمرد عليها وتتوسع على حسابها بدعم من روما وتساهم في القضاء عليها وتتقاسم لاحقا إرثها مع الغزاة الرومان. كما أن الكاف هي مدينة التراث الفني والغنائي باعتبارها أنجبت عددا من كبار الفنانين التونسيين، ويتم استغلال تراثها الغنائي الذي يقطر إبداعا إلى يومنا هذا. وفيها نشأت واحدة من أعرق الفرق المسرحية في تونس والتي عرفت بأعمالها الخالدة وتحولت لاحقا إلى مركز للفنون الركحية والدرامية أشع على المدينة وكامل ربوع ولايتها وجهة الشمال الغربي عموما.

وتتميز مدينة الكاف بطبيعة خلابة بالنظر إلى وجودها على جبل مرتفع، ولذلك سميت «العالية» واشتهرت أيضا بالنسيم العليل حتى باتت «النسمة الكافية» تجلب الزوار من كل مكان. وتشهر الكاف بعمالها الأثرية التي تعود إلى حقب متنوعة، القرطاجية والنوميدية والرومانية والبيزنطية والإسلامية والعثمانية والمرادية والحسينية وغيرها.

كل هذا التراث الذي يعبق أصالة وحضارة جعل الكاف قبلة المثقفين والفنانين وملهمتهم على الدوام لإقامة المهرجانات والعروض في شتى أصناف الفنون من موسيقى وسينما وأدب وشعر ورسم ومسرح وغيرها. ومن بين المهرجانات التي تعيش على وقعها الكاف سنويا مهرجان «24 ساعة من المسرح دون انقطاع» والذي اختتمت دورته الحادية والعشرين منذ أيام وتحديدا في يوم الاحتفال بعيد العمال العالمي.

وقد حضر اختتام المهرجان بمركز الفنون الدرامية والركحية أكثر من 250 طالبا وطالبة في اختصاص المسرح وما يقارب السبعين مشاركا من 12 دولة أجنبية إضافة إلى أجانب آخرين. وتم خلال المهرجان تقديم 33 عرضا مسرحيا بالإضافة إلى تسعة عروض كوريغرافية وموسيقية.

أقيمت العروض بقاعات فضاء مركز الفنون الدرامية والركحية وبقاعات دور الثقافة بمدن ولاية الكاف وهي السرس والدهماني وقلعة سنان وتاجروين ونبّر والقصور وساقية سيدي يوسف. كما أقيمت العروض بالمدارس ودار المسنين والمركز المندمج للأطفال والسجن المدني بالكاف وذلك أسوة بمهرجاني أيام قرطاج للمسرحية والسينمائية.

وتضمن حفل الافتتاح تكريما لأسماء رحلت وافتقدها المسرح التونسي منهم هشام رستم وتوفيق البحري وعبد الغني بن طارة والصادق الماجري وعبد الستار الشارني ومنذر الجبابلي وابو بكر خلوج وغيرهم. كما تم تكريم مسرحيين أحياء على ما قدموه للفن الرابع طيلة السنوات الماضية منهم لسعد بن عبد الله وزهيرة بن عمار ورؤوف بن عمر وفتحي الهداوي وغيرهم.

كما شهد المهرجان إقامة ورش تدريبية تتعلق بالفنون الدرامية أشرف عليها أكاديميون من تونس والبرازيل وإسبانيا والسعودية، ومائدة مستديرة تحت عنوان «المسرح خارج الركح للممثل وغير الممثل: تجارب متجددة». وعهدت للمسرحي التونسي معز حمزة أولى الورش التي حملت عنوان «من الجسد إلى الكتابة» وأشرف الفنان الإسباني لويس خومينيث على ورشة وكذلك المسرحي البرازيلي آموروي إيرناني والمسرحي السعودي فهد ردة الحارثي ومعهم التونسي رياض حمدي.

مسرحية تائهون

من بين العروض التي قدمت في المهرجان مسرحية «تائهون» من نص الكاتب التونسي عبد الحليم المسعودي، وإخراج نزار السعيدي. ويحكي العمل قصة قناة مراهقة ارتكبت انقطاع والذي اختتمت دورته الحادية والعشرين منذ أيام وتحديدا في يوم الاحتفال بعيد العمال العالمي.

وقد حضر اختتام المهرجان بمركز الفنون الدرامية والركحية أكثر من 250 طالبا وطالبة في اختصاص المسرح وما يقارب السبعين مشاركا من 12 دولة أجنبية إضافة إلى أجانب آخرين. وتم خلال المهرجان تقديم 33 عرضا مسرحيا بالإضافة إلى تسعة عروض كوريغرافية وموسيقية.

أقيمت العروض بقاعات فضاء مركز الفنون الدرامية والركحية وبقاعات دور الثقافة بمدن ولاية الكاف وهي السرس والدهماني وقلعة سنان وتاجروين ونبّر والقصور وساقية سيدي يوسف. كما أقيمت العروض بالمدارس ودار المسنين والمركز المندمج للأطفال والسجن المدني بالكاف وذلك أسوة بمهرجاني أيام قرطاج للمسرحية والسينمائية.

وتضمن حفل الافتتاح تكريما لأسماء رحلت وافتقدها المسرح التونسي منهم هشام رستم وتوفيق البحري وعبد الغني بن طارة والصادق الماجري وعبد الستار الشارني ومنذر الجبابلي وابو بكر خلوج وغيرهم. كما تم تكريم مسرحيين أحياء على ما قدموه للفن الرابع طيلة السنوات الماضية منهم لسعد بن عبد الله وزهيرة بن عمار ورؤوف بن عمر وفتحي الهداوي وغيرهم.

كما شهد المهرجان إقامة ورش تدريبية تتعلق بالفنون الدرامية أشرف عليها أكاديميون من تونس والبرازيل وإسبانيا والسعودية، ومائدة مستديرة تحت عنوان «المسرح خارج الركح للممثل وغير الممثل: تجارب متجددة». وعهدت للمسرحي التونسي معز حمزة أولى الورش التي حملت عنوان «من الجسد إلى الكتابة» وأشرف الفنان الإسباني لويس خومينيث على ورشة وكذلك المسرحي البرازيلي آموروي إيرناني والمسرحي السعودي فهد ردة الحارثي ومعهم التونسي رياض حمدي.

مسرحية تائهون

من بين العروض التي قدمت في المهرجان مسرحية «تائهون» من نص الكاتب التونسي عبد الحليم المسعودي، وإخراج نزار السعيدي. ويحكي العمل قصة قناة مراهقة ارتكبت

والأدب والصحافة والسينما. فقد كان ركح فرقة الكاف، حسب محدثتنا، علامة فارقة في اكتشاف أعلام المسرح التونسي على غرار الأمين النهدي، وعيسى حراث، وخديجة السويسي، وسعاد محاسن، وناجية الورغي، وكمال التواتي، والقائمة تطول.

وتضيف ليلى بورقعة مؤكدة على أن مركز الفنون الدرامية والركحية بالكاف هو الوريث الشرعي لفرقة الكاف المسرحية وذلك منذ سنة 1993 ليتواصل مشوار الإبداع ومسار الإصرار على إنتاج المسرح الهادف والعميق واقتراح جماليات مبتكرة. ولئن تتعدد التظاهرات، وتتنوع المحطات، وتختلف المهرجانات في تونس، فإنّ المهرجان الدولي «24 ساعة مسرح دون انقطاع» بالكاف يبقى، حسب محدثتنا، التظاهرة الأبرز التي لها رونقا خاصا وفريدا من نوعه.

وتضيف الإعلامية التونسية قائلة: «في سنة 2023 كان الموعد استثنائيا للمهرجان الدّولي (24 ساعة من المسرح دون انقطاع) بالكاف. فقد احتفى بدورته 21 في نيسان/أبريل المنقضي بدلا عن موعده المعتاد في اذار/مارس وذلك بسبب تزامن الموعد الأصلي مع شهر رمضان. ومن ميزات هذا المهرجان العريق هو خروجه عن الأركاح التقليدية وفضاءات العرض الكلاسيكية تكريسا لمبدأ ثقافة القرب وحق الثقافة للجميع. وقد تم ذلك من خلال توزيع فقرات التّظاهرة على فضاءات مُتعدّدة تكريسا لمبدأ الحق في الثّقافة».

ويضيف قائلا: «لقد تمكنت هذه الدورة من تشبيك العلاقات الثّقافية والمسرحيّة مع المؤسّسات الثّقافيّة والمسرحيّة العموميّة والخاصّة. وذلك بهدف ابتكار ظواهر ثقافيّة مساهمة ومساعدة للتعريف بأكثر ما يمكن من التجارب المسرحيّة وإتاحة الفرصة سواء للجمهور لمواكبة عروض مختلفة أو للمختصين لاستكشاف آخر التقنيّات والمهارات الفنيّة المعتمدة في هذا المجال.

ويتوسّط المهرجان يوم خاص للإحتفاء بالتّراث المادّي واللاّمادي لجهة الكاف الزّاخرة بالموروث الثّقافي المتنوّع. وقد سعينا لتمكين ضيوف المهرجان الكرام من الإطّلاع على هذا الموروث الثقافي والحضاري الذي تزخر به ولاية الكاف.

ونظرا لأهميّة الندوات الفكريّة ذات الصّلة والمختصّة في اثراء ونقد الفعل المسرحي وتنشيطه وزيادة تأثيره، فإننا أولينا الجانب النّظري الحظوة التي يستحقّها لما يطرحه من تجادل للأفكار عبر النّقاش والتحليل والنقد المفضي إلى استشراف آفق مغاير للإضافة والتطوير، وفي هذا الإطار يأتي تنظيمنا ندوة علميّة أثثها ثلة من الباحثين والمختصّين دار موضوعها حول المسرح والعتمة. وفي نفس السياق انتظمت مائدة مستديرة حول المسرح خارج الركح للممثل وغير الممثل».

ويؤكد المديوني وفي إطار مواصلة النهج التكويني الذي دأب عليه مركز الفنون الدرامية والركحيّة بالكاف من خلال مختبراته التي تستقطب شباب الجهة، هوّاة كانوا أو طلبة ومحترفين، كان للجانب التطبيقي حضورا نوعيّا من خلال تنظيم خمس ورش تكوينيّة أمّنها مسرحيّون من تونس ومن خارجها. معتبرا أنه تماشيا مع خيار المهرجان الهادف إلى تكريم فنّانين كلّ في دوره اعترافا بالمنجز المسرحي والثّقافي الذي قدّموه في سبيل إعلاء مكانة المسرح وتأكيد حضوره، واعترافا لهم بالجميل، يأتي تكريم المهرجان لهذه السّنة لبعض المسرحيّين.

وتـرى محدثتنا أنـه لطالما اقـتـرن اسم الكاف العالية بالفن والإبـداع وهي الأرض التي أنجبت من رحمها مشاهير في المسرح العمومية والفضاءات الثقافية الخاصة، مع محاولة التوجّه إلى فئات محرومة من النشاط الثقافي كفاقدي السند والسجناء والمسنّين وتلاميذ المدارس الحدوديّة وذوي الاحتياجات الخصوصيّة.

ولأن آثار الكاف العالية شاهدة على موروث ثقافي ضارب بجذوره في الحضارات البعيدة، فقد تضمنت برمجة مهرجان (24 ساعة من المسرح دون انقطاع) يوما خاصا للاحتفاء بالتّراث المادّي واللاّمادي لجهة الكاف. وتم ذلك في إطار تثمين الموروث الثّقافي وتسويق السياحة الثقافية في ربوع الشمال الغربي».

تاريخ من الإبداع

ويرى عماد المديوني مدير مركز الفنون الدرامية والركحية بالكاف أن فعالية «24 ساعة مسرحا دون إنقطاع» لها تاريخ حافل بالإبداع والفن الراقي والهادف وتمكن من فرض نفسه كأحد أهمّ المناسبات الوطنيّة التي تحتفي بالمسرح باعتباره أداة للتعبير وفضاء للإمتاع والإبداع. ويؤكد على أن المهرجان كان هذا العام متفرّدا في الشّكل وثريّا ومتنوّعا في المضمون من خلال برمجة عروض فنّية متنوّعة ومن خلال الحضور اللافت للعروض الدوليّة التي تراوحت بين المسرح والموسيقى والرقص والمعارض والنّدوات والورشات والتجلّيات والفنون التشكيليّة. وقال ان المهرجان حاول هذا العام الانفتاح على فئات اجتماعيّة مختلفة عبر توزيع فقرات التّظاهرة على فضاءات متعدّدة تكريسا لمبدأ الحق في الثّقافة».

ميديا

موجة غضب جديدة ضد الاحتلال الإسرائيلي بعد استشهاد الأسير خضر عدنان

لندن – «القدس العربي»:

تسبب استشهاد الأسير خضر عدنان داخل سجون الاحتلال الإسرائيلي بموجة جديدة من الغضب ضد الاحتلال على شبكات التواصل الاجتماعي في العالم العربي، وسرعان ما تحول هذا الغضب إلى موجة تطالب بمناصرة الأسرى في سجون الاحتلال ووقف الانتهاكات الإسرائيلية بحقهم.

وسرعان ما تحول اسم الشهيد خضر عدنان إلى هاشتاغ من بين الوسوم الأكثر تداولاً والأوسع انتشاراً على شبكات التواصل في العالم العربي، فيما تداول الكثير من النشطاء مقاطع فيديو سابقة يظهر فيها الشهيد وهو يخطب في الناس ويدعو للانتصار للكرامة بمواجهة الاحتلال، كما انتشرت مقاطع فيديو لزوجته رندة موسى التي تتحدث فيها عن اعتقال زوجها في السجون الإسرائيلية، وتتوعد بأن يكون كافة أبنائه خلفاً له في مسيرة النضال والمقاومة.

وشارك الكثير من الصحافيين والكتاب والنجوم المؤثرين على شبكات التواصل الاجتماعي في نعي الشهيد خضر عدنان، وسارعوا إلى إدانة الاحتلال الإسرائيلي بسبب استشهاده داخل السجن.

ونشر الكاتب والصحافي الفلسطيني ياسر الزعاترة صورة للشهيد خضر عدنان، وكتب معلقاً: «الشيخ خضر عدنان يرتقي شهيدا ويعيش شاهداً.. في سادس إضراب عن الطعام (87 يوما هذه المرّة)؛ مضى إلى رحمة ربه. سلام الله عليه وعلى من يوجعون الغزاة، ولو بأمعاء خاوية، فضلا عن أن يوجعوهم بغير ذلك. هي معركة شاملة مع غزاة من نوع فريد؛ يزرعون الموت ويبيعون أكاذيب التحضّر في آن. الله أكبر».

أما المدير العام السابق لقناة «الجزيرة» والصحافي الأردني ياسر أبوهلالة فغرد على «تويتر» يقول: «استشهاد الأسير الشيخ خضر عدنان يؤكد المؤكد بأن الصهيونية لا تعتبر الفلسطينيين بشراً لحياتهم قيمة، المصادفة المؤلمة اليوم كشف الصحافي بارك رافيد عن آخر تحقيق أمريكي قدمه للكونغرس المنسق الأمريكي فان هولين عن استشهاد شيرين أبو عاقلة وهي أمريكية فلسطينية وخلص إنه (لم تتم محاسبة أي شخص ولم يتم الانتهاء من تحقيق رسمي مستقل) بعد قرابة عام من قتلها».

وكتب الصحافي خير الدين الجابري: «صاحب أطول سجل من الاضرابات عن الطعام، الشيخ الذي أحبه الجميع ولم يتأخر يوما عن أحد، الأسير خضر عدنان شهيداً داخل سجون الاحتلال بعد 86 يوماً من الاضراب عن الطعام: 2012: اضراب لـ66 يوما وانتزع حريته، 2015: اضراب لـ 52 يوماً وانتزع حريته، 2018: اضراب لـ59 يوماً وانتزع حريته».

وغرد الأسير المحرر ماهر الأخرس قائلاً: «وفي النوازل والملمات نسأل الله الثبات. وباستشهادك أخينا وصديقنا وشيخنا الأسير المضرب خضر عدنان «أبا عبد الرحمن» نسأل الله الثبات والمسير على درب الشقاقي ودرب الشهداء دربك القويم. بلغتَ الأمانة، وأوصلت الرسالة، وتركت بصمتك في كل الحنايا.. خسرناكَ وفزت بجنانٍ لا تغيب».

وكتب الناشط الفلسطيني عماد العُطل، وهو ابن الشهيد محمد العُطل، قائلاً: «كالعادة، تركنا جريمة الاحتلال في اغتيال الشهيد خضر عدنان، وشغلنا أنفسنا بخلافات داخلية وإعادة نشر فيديوهات قديمة لخلافاته مع السلطة وما شابه! هذا ليس وقت الخلافات وفضح من هم مفضوحون أساساً، هذا وقت الانتقام وفضح جرائم الاحتلال، وهناك وقت كثير لفضح من اعتدى على الشهيد سابقاً».

أما عبد الله العقاد فكتب يقول: «اغتيال الشيخ خضر عدنان يستلزم رداً يوازيه من كل جبهات المقاومة، واتخاذ المقاومة قرار الرد والإعلان عنه باسم غرفة العمليات، يعني أنها جاهزة لما بعد ذلك».

ونشر عبد الله شتات فيديو يظهر فيه الأسير المحرر وهو يعزي باستشهاد خضر عدنان، وكتب معلقاً: «يا لفجيعتنا بك يا أبا عبد الرحمن، بكاء وحزن الأسير المحرر علاء الأعرج واحتضانه لأطفال الشيخ خضر عدنان. يُذكر أن علاء كان قد خاض إضراباً عن الطعام استمر لمدة 103 أيام خلال العام الماضي».

وغرد عبد الرحمن موكا: «مات شخص كان من أهم المحفزين لي أثناء إضرابي عن الطعام، يقضي المقهورون في شتى أنحاء العالم أيامهم خلف أسوار سجون الطغاة. مات الأسير الفلسطيني المضرب عن الطعام خضر عدنان بعد 87 يوماً من بدء إضرابه عن الطعام. وكان هذا سادس إضراب عن الطعام يخوضه خضر للمطالبة بالإفراج عنه».

وكتب هيثم أبوهيفا: «بعد ستة وثمانين يوماً من الإضراب عن الطعام في سجون الاحتلال، شيخ المقاومة وصانع الخبز والحرية الشيخ خضر عدنان يربح البيع ويستشهد وحيداً في زنزانته كأنه كيف يموت الفلسطيني وهو يشبع كرامة.. خضر عدنان سامحنا يا شيخ».

وكتب أحد النشطاء معلقاً: «الأسير الشهيد خضر عدنان ما كان مسؤولية الشعب الفلسطيني وحده، بل مسؤولية أمة بأكملها، لأنو المقاوم الفلسطيني الإسلامي بدافع عن شرف وعرض الامة كلها. بس شاطرين في حملات التشويه ومهاجمة الفصائل عكل كبيرة وصغيرة. ودمكم مش أغلى من دمنا».

وقال آخر في تغريدة على «تويتر»: « الأسير خضر عدنان هو الذي أشعل نهج الاضراب عن الطعام حتى ينال الأسير حريته. وهو من سيشعل الوعي نحو الأسرى المضربين مع سياسة الاحتلال الجديدة ضد الأسرى والتي أصبحت تتعنت الافراج عنهم رغم وضعهم الصحي الصعب».

يشار إلى أنّ نادي الأسير الفلسطيني أعلن صباح الثلاثاء الماضي أنّ إدارة سجون الاحتلال اغتالت القيادي في حركة الجهاد الإسلامي الشيخ خضر عدنان (44 عاماً) بعد 86 يوماً على إضرابه عن الطعام عن سبق الإصرار، وذلك برفضها نقله إلى مستشفى مدني حيث استشهد في زنزانته.

وقال نادي الأسير إن «هناك احتمالاً بأن سلطات الاحتلال أخضعت الأسير خضر عدنان لتغذية قسرية أدت لاستشهاده».

وكان الأسير خضر عدنان قد اعتُقل في الخامس من شباط/فبراير الماضي، وتعرض لعملية اغتيال ممنهجة من قبل سلطات الاحتلال.

ودعت وزارة الأسرى والمحررين في بيان مقتضب إلى «تشكيل لجنة تحقيق دولية للوقوف على ظروف استشهاد الأسير خضر عدنان» مضيفةً أنّ «منع الاحتلال لزيارته من قبل محاميه وأهله منذ عدة أيام كان مقدمة لقتله».

وتابعت الوزارة: «لا نستبعد أنّ يكون الأسير الشهيد خضر عدنان تعرض لعملية تغذية قسرية، خاصة أنّ النيابة العسكرية الصهيونية هدّدت بذلك أكثر من مرة أمام المحكمة».

والشهيد الشيخ عدنان خضر من بلدة عرّابة قرب جنين، وكان يعمل خبّازًا في مخبزه الخاص ببلدته، وهو متزوج وأب لتسعة من الأبناء، أصغرهم يبلغ من العمر سنة ونصفاً وأكبرهم 14 عاماً.

موجة تحريض ضد المسلمين في الهند تغزو شبكات التواصل الاجتماعي

لندن – «القدس العربي»:

تتزايد موجة التحريض ضد المسلمين في الهند وذلك عبر نشر الكثير من المعلومات المضللة على وسائل الإعلام، لا سيما في شبكات التواصل الاجتماعي التي باتت تعج بالمعلومات التي تنطوي على التحريض ضد المسلمين.

وقال تقرير نشرته وكالة الصحافة الفرنسية «فرانس برس» إن الصيدلي والناشط المؤثر على شبكات التواصل أميت أبادهياي هو أحد الأمثلة على نشر المعلومات المضللة التي تستهدف المسلمين في الهند، حيث زعم في ادعاءات نشرها على الإنترنت أن «جيرانه المسلمين ينجبون الكثير من الأطفال ولذلك يتعيّن على الهندوسيات أن ينجبن أكثر».

ويقول التقرير إن هذا الصيدلي واحد من مؤثّرين هندوس عدة على وسائل التواصل الاجتماعي نجحوا في جذب جمهور عريض عبر نشر بيانات ديموغرافية خاطئة للادّعاء بأنّ الهند تخضع لإعادة تشكيل لتصبح دولة مسلمة. وبالنسبة لهؤلاء، فإنّ إعلان بلادهم الأكثر تعداداً للسكان في العالم، الشهر الماضي، لم يكن مدعاة للاحتفال، بل دعوة من أجل العمل.

ويقول أبادهياي الذي يدير من بيته في ولاية أوتار براديش صفحة على «فيسبوك» تتمتع بشعبية واسعة: «أقول لكل زبائني الهندوس عليهم إنجاب المزيد من الأطفال لمواجهة المسلمين». ويضيف لوكالة فرانس برس «وإلا سيصبحون تهديداً وسيمحون الديانة الهندوسية من الهند». ويشارك أبادهياي بشكل متكرّر منشورات معادية للإسلام على صفحته التي يتابعها نحو 40 ألف حساب.

وحذّر منشور في نيسان/إبريل الماضي من مؤامرة مزعومة للمسلمين لـ«مضاعفة عدد سكانهم من أجل السيطرة على الهند».

ويبلغ عدد سكان الهند 1.4 مليار شخص، بينهم 210 ملايين مسلم، لكنّ معدّل الولادات انخفض لدى الجميع في العقود الأخيرة وبالتزامن مع الاتجاهات العالمية.

ووفقاً لأحدث مسح وطني لصحة الأسرة في البلاد، بلغ معدل الخصوبة الكلي 2 طفل لكل امرأة، ويرتفع بشكل هامشي لدى المسلمات ليصبح 2.3 حسب ما تقول «فرانس برس».

وقالت توقعات صادرة في ذات العام عن مركز بيو للأبحاث، إنّ عدد المسلمين في الهند، سيصبح 311 مليوناً بحلول عام 2050.

وعلى الرغم من أعدادهم المتزايدة، سيبقى المسلمون أقلية في البلاد التي سيصبح عدد سكانها 1.7 مليار نسمة في منتصف القرن، حسب توقعات المركز الأمريكي.

لكن هذا لا يمنع انتشار معلومات مضلّلة بشكل كبير في البلاد عبر «فيسبوك» و«واتساب» وغيرها من منصّات التواصل الاجتماعي التي تدّعي بأنّ الهند في طريقها لتصبح دولة ذات غالبية مسلمة.

وفي تعليق ساخر مرحّب بتجاوز الهند للصين من ناحية عدد السكان، شكر المنشور السكان المسلمين «لإنجابهم من خمسة إلى عشرة أطفال» لكل شخص.

وحذّر منشور آخر عبر «تويتر» من أنّ الديانة الهندوسية قد تختفي قريباً، وستقوم الغالبية المسلمة المفترضة باستبدال دستور البلاد بـ«الشريعة الإسلامية».

وكانت نظريات مؤامرة تدّعي وجود مخطط إسلامي لضمان التفوق العددي للمسلمين في الهند جزءاً من الدعاية القومية الهندوسية لسنوات.

ويتبنى اليمين المتطرف في دول أخرى نظريات مشابهة تقول إنّ الأقليات والمهاجرين «يحلّون محلّ» غالبية السكان. وهذه النظريات لاقت في بعض الأحيان دعماً من حزب بهاراتيا جاناتا الهندوسي القومي الذي يتزعّمه رئيس الوزراء ناريندرا مودي.

وكان النائب من الحزب القومي الهندوسي، راكيش سينها، قد قدّم في 2019 مشروع قانون يقترح تحديد عدد الأطفال في الهند بطفلين لكل منزل، وقد حصل مشروعه على دعم 125 من النواب الآخرين.

وسُحب هذا المشروع بعد اتهامات من منتقدي النائب باستهداف المسلمين بعد أن ألقى خطاباً ركز فيه على نسب الولادة المتفاوتة بين الهندوس والمسلمين.

وعادت هذه الادعاءات إلى الواجهة بعيد إعلان الأمم المتحدة في نيسان/أبريل الماضي تفوّق الهند على الصين لجهة عدد السكّان.

وقال إشوار لال، وهو عضو في جماعة قومية هندوسية مرتبطة بالحزب الحاكم، في خطاب عام إنّ «الهندوس يتزوجون مرة واحدة وينجبون طفلين بينما يتزوج المسلمون أربع مرات وينجبون الكثير من الأطفال حيث بإمكانهم تشكيل فرق كريكيت خاصة بهم».

وفي ذات الشهر، حضّت خطبة دينية في موقع حجّ شهير عند سفوح الهيمالايا الهندوس على شنّ هجوم ديموغرافي مضادّ.

وقال الكاهن رافيندرا بوري، لحشد من المئات في الموقع، إنّ «الهندوس تراجعوا من إنجاب طفلين إلى إنجاب طفل واحد» مؤكّداً أنّ «هذا يسبب خللاً في التوازن السكاني».

واعتبر الكاهن أنّ الحل يتمثل في أن ينجب المؤمنون ثلاثة أطفال «واحد لخدمة الوطن والآخر للاعتناء بالمنزل وواحد لخدمة الدين ليصبح كاهنا».

وكان الرئيس السابق لمفوضية الانتخابات الهندية ش.ي قريشي، قد كتب على نطاق واسع عن انتشار المعلومات المضلّلة حول نسب الولادة لدى المسلمين في الهند.

وقال إنّ الادعاءات بأنّ المسلمين سيصبحون قريباً الديانة ذات الأغلبية في الهند، أصبحت أداة «دعائية» بارزة للقوميين الهندوس. وأكّد: «يواصلون استفزاز الهندوس لإنجاب المزيد من الأطفال عبر إثارة الخوف من أنّ المسلمين سيفوقونهم عدداً» ولكنّه أشار «هذا لن يحدث أبداً» حسب ما نقلت «فرانس برس».

257 اعتداء استهدفت الصحافيين في تونس خلال عام واحد

لندن – «القدس العربي»:

قالت نقابة الصحافيين في تونس إن اليوم العالمي لحرية الصحافة يحل هذا العام في ظل ارتفاع غير مسبوق في عدد الاعتداءات على الصحافيين التونسيين وجرهم إلى مراكز التحقيق والمحاكم بتتبعات قضائية «لم تحترم الحد الأدنى من الإجراءات القانونية».

وأظهر التقرير السنوي لحرية الصحافة لمنظمة "مراسلون بلا حدود" أنّ تونس كانت من بين الدول التي تراجعت في الترتيب، إذ حلّت في المرتبة 121 بتراجع 27 مركزاً. واعتبرت المنظمة أن تراجع حرية الصحافة في تونس التي يرأسها قيس سعيّد يعود إلى «ازدياد السلطوية في البلاد وعدم التسامح مع انتقادات الصحافة».

وعقدت نقابة الصحافيين التونسيين ندوة صحافية في مقرها يوم الأربعاء الماضي قدمت خلالها تقريرها السنوي حول حالة حرية الصحافة في تونس، وأفادت بأن الصحافيين التونسيين تعرضوا، بين الأول من أيار/مايو 2022 و30 نيسان/أبريل 2023 لـ257 اعتداء، بينما في العام 2018 أي قبل تولي سعيد إدارة البلاد، لم يتعد عدد الاعتداءات الـ162 فقط.

وتصدر المشرفون على مكاتب الاقتراع في المواعيد الانتخابية التي شهدتها تونس سنة 2023 المرتبة الأولى في قائمة المعتدين على الصحافيين 61 اعتداء، يليهم الأمنيون 25 اعتداء. وتركزت الاعتداءات في تونس العاصمة، باعتبارها مركز الثقل الاقتصادي والسياسي، حيث شهدت 48 اعتداء.

ويعاني الصحافيون التونسيون أيضا من أوضاع اجتماعية صعبة، بينها تأخر صرف المستحقات المالية وعمليات الطرد التعسفي في عدد من المؤسسات الإعلامية، فقد سجلت 42 حالة طرد تعسفي السنة الماضية، شملت صحافيين يعملون في قنوات تلفزيونية مثل «تونسنا» وإذاعات خاصة مثل «كاب أف أم» و«إي أف أم».

كما يعانون من تأخر الحصول على امتيازاتهم العينية والنقدية، بسبب الأزمة المالية التي تعيشها جلّ المؤسسات الإعلامية التونسية. موظفو قناة التاسعة مثلاً، وهي مملوكة لعدد من رجال الأعمال التونسيين، يفكرون جدياً في الإضراب العام.

وتقول نقابة الصحافيين إن الأخطر الذي تعيشه الصحافة التونسية اليوم هو حالات الإيداع في السجن التي تعرض لها بعض الوجوه الإعلامية، ومن أشهرهم الصحافي ومدير عام إذاعة موزاييك أف أم الخاصة نور الدين بوطار. حيث يقبع هذا الصحافي في السجن منذ 13 شباط/فبراير 2023 وهو ملاحق بموجب قانون الإرهاب ومكافحة غسل الأموال، في حين أكد محاموه أن التهم تتعلق بخط تحرير المحطة الإذاعية التي يمتلك الجزء الأكبر منها والتي تعتبر الأكثر استماعاً في تونس.

وتم الإعلان في تونس الأسبوع الماضي عن تشكيل لجنة مدنية تضم منظمات وشخصيات اعتبارية تونسية لمساندة الصحافي المعروف نور الدين بوطار.

ويقبع في السجن التونسية أيضاً عدد من المدونين، منهم سليم الجبالي وأشرف بربوش والصحافي لطفي الحيدوري في ما يعرف في البلاد بقضية «إنستالايغو» وهي شركة مختصة في صناعة المحتوى والاتصال الرقمي. كما أدين صحافيون آخرون، وحكم عليهم بعقوبات سالبة للحرية، ومنهم المقدم التلفزيوني في قناة الزيتونة المغلقة عامر عياد، ومراسل إذاعة موزاييك أف أم خليفة القاسمي.

أما عمليات التحقيق مع الصحافيين التونسيين فقد أصبحت متواترة بشكل كبير، وآخرها التحقيق مع الصحافية منية العرفاوي والصحافي محمد بوغلاب، كما سبق التحقيق مع عدد آخر من الصحافيين، منهم الصحافي نزار بهلول الذي يدير موقع بزنس نيوز. واضطر آخرون إلى مغادرة البلاد تجنباً للملاحقة الأمنية، مثل الصحافية شهرزاد عكاشة.

علوم وتكنولوجيا

علماء ينجحون مجدداً في تفكيك لغز «الموت» وهذا ما يحدث للدماغ

لندن – «القدس العربي»:

تمكن علماء أمريكيون من تفكيك لغز «الموت» جزئياً، حيث نجحوا في قراءة الدماغ وما يحدث له خلال اللحظات الأخيرة لحياة الإنسان في محاولة لفهم ما يجري للإنسان عندما يموت، وكيف يغادر الحياة إلى غير رجعة.

وحسب تقرير نشرته جريدة «الغارديان» البريطانية، واطلعت عليه «القدس العربي» فقد توصل العلماء إلى وجود نشاط دماغي «شبيه بالوعي» لدى المرضى الذين يحتضرون.

وفي الدراسة التي تهدف إلى تحليل معنى الموت وما يحدث للإنسان عندما يموت، لجأ الباحثون لدراسة حالة أربعة مرضى ماتوا في المستشفى.

وفي تفاصيل الدراسة التي نشرها العلماء في مجلة وقائع الأكاديمية الوطنية للعلوم بالولايات المتحدة فقد قاموا بمراقبة أدمغة المرضى الأربعة الذين ماتوا في المستشفى مستخدمين في ذلك تسجيل بيانات تخطيط كهربية الدماغ «EEG».

وكان جميع المرضى الأربعة في غيبوبة تامة وغير مستجيبين لأي علاج واعتُبروا خارج المساعدة الطبية. وبعد إذن من عائلاتهم، تم فصل أجهزة دعم الحياة عنهم وتعرضوا لاحقا لسكتة قلبية وماتوا.

وحلل العلماء لاحقا بيانات نشاط الدماغ في اللحظات التي أعقبت فصل أجهزة دعم الحياة حتى وفاة المرضى بعد تخطيط كهربية الدماغ.

وعند إزالة جهاز التنفس الصناعي، أظهر اثنان من المرضى زيادة في معدل ضربات القلب إلى جانب زيادة نشاط موجة جاما، والتي تعتبر أسرع نشاطا للدماغ وهو مرتبط بالوعي.

وقال جيمو بورجيغين من جامعة ميتشيغان الأمريكية، الذي قاد الدراسة، «رأينا إشارات عصبية محتملة للوعي». وأضاف: «بروز تجربة حية من دماغ مختل أثناء عملية الموت هو تناقض علمي عصبي».

وتم اكتشاف النشاط فيما يسمى بالمنطقة الساخنة، وهي منطقة في الجزء الخلفي من الدماغ مرتبطة بنشاط الدماغ الواعي. وارتبطت هذه المنطقة بالحلم والهلوسة البصرية في الصرع وتغير حالات الوعي في دراسات الدماغ الأخرى.

وقال بورجيغين: «ربما يكون ذلك بمثابة تنشيط للوعي الداخلي السري وإخراج ذكريات الماضي، ويمكن أن يكون آلية للبقاء على قيد الحياة في الدماغ. لا نعرف ذلك».

ويبذل العلماء جهوداً مضنية من أجل الكشف عن حقيقة الموت، وما يحدث للإنسان عندما يُفارق الحياة، حيث كان مجموعة من علماء الكيمياء قد كشفوا قبل سنوات عن المشاعر التي تصيب الإنسان وهو في سكرات الموت، كما تمكنوا من تحديد التحولات التي تطرأ على الدماغ قبيل الموت، وقاموا بتحليل مضمونها وقراءتها.

وأظهر فيديو جديد تداولت مضمونه صحف غربية متعددة، ويظهر فيه علماء كيمياء يشرحون بالضبط التغيرات الكيميائية التي تطرأ على دماغ الإنسان في اللحظات التي تسبق الموت بقليل، وبموجبها قاموا بتحديد المشاعر التي تصيب الإنسان وهو يموت.

ويشير الفيديو الصادر عن جمعية الكيميائيين الأمريكيين إلى أن أول شعور يصيب الإنسان وهو مقبل على الموت هو الشعور بالخوف، ومن ثم يتعاظم هذا الشعور ويشتد، وينشأ رد فعل يتطور ويجعل الإنسان على استعداد تام للهروب والركض بعيداً عن المكان الذي هو فيه.

وحسب الباحثين الكيميائيين فإن نتائج الخوف الذي يسيطر على الإنسان قد تكون تحت السيطرة من قبل مجموعة من الخلايا العصبية، أو خلايا أخرى في الدماغ تكون متواجدة في منطقة بالغة الحساسية إزاء التوتر والاجهاد، وهي منطقة تعمل كجهاز استشعار للتوتر والاجهاد النفسي الذي يمر به الإنسان.

ويقول الكيميائيون إن حالة الخوف التي تسبق الموت تدفع جسم الإنسان إلى إفراز كميات كبيرة من «الأدرينالين» تمنحه قدرة عالية على رد الفعل ونشاط عالي المستوى، يجعل لديه القدرة على القتال والرد العنيف من أجل البقاء على قيد الحياة.

وفي وقت سابق، تمكن علماء بريطانيون من تحديد رائحة جسم الإنسان بعد وفاته مباشرة، حيث قالوا إنها تشبه تماماً رائحة العشب المقصوص توّاً، ورائحة السمك الطازج.

إلى ذلك، يواصل العلماء والأطباء البحث عن علاج للموت من أجل مكافحته ولو بشكل جزئي، حيث يعملون على مدار الساعة من أجل دراسة الخلايا البشرية ومحاولة التوصل إلى علاج للموت، وهو الحلم الذي يبدو أنه سيقودهم إلى الكثير من الحقائق المهمة.

وتمكن علماء مؤخراً من اكتشاف السر وراء الشيخوخة، وهو ما يمهد الطريق للتوصل إلى علاج للشيخوخة على الأقل إن لم يكن علاجاً للموت في حد ذاته.

وحسب تقرير نشره موقع «ميديكال إكسبرس» المتخصص في الأخبار والعلوم الطبية فإن علماء من كلية أينشتاين الطبية في الولايات المتحدة اكتشفوا أن عدد التحولات في الخلايا الجسدية يزداد مع التقدم في العمر ما يشكل أساس الشيخوخة وتطور مرض السرطان.

ويفيد الموقع أن علماء الأحياء حددوا تسلسل النوكليوتيدات في جينوم الخلايا اللمفاوية B لدى أشخاص تقل أعمارهم عن 100 عام.

ويشكل هذا الاكتشاف مقدمة مهمة في طريق التوصل إلى علاج للشيخوخة والقضاء عليها، وفي طريق التوصل إلى علاج نهائي لمرض السرطان أيضا، وذلك في حال نجح العلماء في التحكم في التحولات التي تمكنوا من رصدها وملاحظتها في الخلايا البشرية.

وكانت جريدة «دايلي ميرور» البريطانية نشرت قبل سنوات نتيجة دراسة أجريت لمعرفة أسرار «الموت» وما إذا كان من الممكن التحكم فيه أو العثور على علاج له أو حتى إعادة الموتى إلى الحياة من جديد.

وجاءت المفاجأة في تلك الدراسة أن العلماء اكتشفوا أن الدماغ البشري يستمر في العمل لمدة 5 دقائق بعد الموت وهذا يعني أن هناك احتمالا بإمكانية عودة الميت إلى الحياة.

كما وجدوا أنه بعد انقضاء هذا الوقت يسود نشاط كهربائي في الدماغ يسمى «انتشار الاكتئاب» ما يؤدي إلى إيقافه عن العمل ويجعل عملية الإنعاش مستحيلة.

اكتشاف قد يؤدي إلى إطالة عُمر الإنسان والقضاء على الشيخوخة

لندن – «القدس العربي»:

تمكن فريق بحثي في الولايات المتحدة من التوصل إلى اكتشاف من شأنه أن يُمكن العلم قريباً من القضاء على مظاهر الشيخوخة وإطالة عمر الإنسان، وهو ما يُشكل اختراقاً علمياً كبيراً لطالما انتظره العلماء والبشر جميعاً. وأظهر فريق من جامعة كاليفورنيا سان دييغو، لأول مرة، أن من الممكن اختطاف مسار وراثي متورط في شيخوخة الخلايا، حسب تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية.

وتمكّن الباحثون من زيادة عمر خلايا الخميرة بأكثر من 80 في المئة ولا يرون أي سبب لعدم إمكانية فعل الشيء نفسه على الخلايا البشرية الأكثر تعقيداً.

ويأتي ذلك وسط اعتقاد متزايد بين بعض العلماء أن الشيخوخة مرض يمكن علاجه.

وكتب الباحثون في الورقة البحثية: «يمثل عملنا إثباتا للمفهوم، ما يدل على التطبيق الناجح للبيولوجيا التركيبية لإعادة برمجة عملية الشيخوخة الخلوية وقد يضع الأساس لتصميم دوائر الجينات الاصطناعية لتعزيز طول العمر بشكل فعال في الكائنات الحية الأكثر تعقيداً».

وتعمل الخلايا البشرية كمصانع صغيرة تنفذ جميع العمليات المهمة التي تحتاجها أجسامنا للعيش.

وتكمن المشكلة في أن هذه التفاعلات الكيميائية يمكن أن تولد نفايات سامة تتراكم تدريجيا وتضر حمضنا النووي والمكونات الخلوية الأخرى مع تقدمنا في العمر.

ولهذا السبب، ابتكرت أجسامنا طرقا لإغلاق هذه الخلايا قبل أن تحدث أي فوضى.

وفي دراسة جامعة كاليفورنيا في سان دييغو، التي نُشرت في مجلة «ساينس» استخدم الفريق خلايا الخميرة كنموذج لعملية الشيخوخة. وذلك لأن الدوائر الوراثية الطبيعية في خلايا الخميرة تجعلها تلتزم بحالة مرتبطة بالعمر بطريقة تشبه الخلايا البشرية.

وتُلاحظ شيخوخة الخلايا في الخميرة من خلال التحول الجيني الذي يتسبب إما في تشقق خصائص صنع البروتين في الخلية أو من ضعف إنتاج الطاقة في الخلية – الميتوكوندريا.

وسيؤدي أحد هذه المسارات إلى موت الخلية ويكون عشوائيا في ما يتعلق بأي منها سيحدث.

وفي الخلية الطبيعية، تتوقف هذه المسارات عن بعضها البعض لأن وجود أحدهما يلغي وجود الآخر.

ومع ذلك، أنشأ باحثو جامعة كاليفورنيا في سان دييغو دائرة وراثية جديدة سمحت لهذه الخلايا بالتبديل بانتظام بين آليتين للشيخوخة، ما يمنعها من الشيخوخة بالوتيرة الطبيعية. وعاشت هذه الخلايا 82 في المئة أطول من تلك التي لم يتم العبث بها.

وبينما تم إجراء الدراسة باستخدام فطر صغير وحيد الخلية يستخدم في صنع الخبز، يتطلع الفريق إلى تكرار أبحاثهم على أنواع مختلفة من الخلايا البشرية مثل الخلايا الجذعية والخلايا العصبية.

وفي حين أنه لن يكون من الممكن العيش إلى الأبد، فقد يكون العلماء قادرين على إطالة حياة البشر.

تحذير خطير: الكائنات الفضائية ستصل الأرض قريباً

لندن – «القدس العربي»:

أطلق علماء متخصصون في الفضاء والفلك تحذيراً خطيراً يتنبأ باقتراب التواصل بين الكائنات الفضائية وكوكب الأرض حيث يعيش البشر، وهو ما يُمكن أن يشكل خطراً جديداً على البشرية.

ويعتقد فريق من العلماء من جامعة كاليفورنيا أن الكائنات الفضائية المفترضة يمكن أن تتصل بالأرض بحلول عام 2029 حسب ما أورد تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية.

وفي التفاصيل، يقول العلماء إنه في عام 2002 أرسلت وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» موجات لاسلكية إلى مسبار «Pioneer 12» في بروتوكول روتيني لإرسال البيانات والتأكد من إنشاء الاتصال.

ووصلت هذه الإشارة أيضا إلى نجم على بعد حوالي 27 سنة ضوئية من كوكبنا حيث ينتشر الإرسال عند اتصالها بجسم ما.

ويأمل باحثو جامعة كاليفورنيا في أن يتم اعتراض هذه الإشارة من قبل كائنات فضائية أعادت النداء إلى الأرض.

وقال هوارد إيزاكسون، عالم الفلك بجامعة كاليفورنيا، بيركلي، والمعد المشارك: «هذه فكرة مشهورة من كارل ساجان، الذي استخدمها كموضوع مؤامرة في فيلم Contact».

ويروي فيلم «Contact» الذي تم إنتاجه في العام 1997 استنادا إلى قصة كارل ساجان، قصة العالم «SETI» الذي وجد دليلا على وجود كائنات فضائية على كوكب بعيد 26 سنة ضوئية من الأرض ويختار إجراء أول اتصال عن طريق إرسال إشارات في شكل موجات راديو. واستخدمت الدراسة الإشارات المرسلة من الأرض إلى عدة مسبارات لتحديد الأماكن التي ربما انتشرت فيها الإشارات عند إرسالها إلى الكون.

وتواصلت هذه المركبات الفضائية مع الهوائيات اللاسلكية لشبكة المحطة العميقة «DSN» من أجل تنزيل البيانات العلمية وبيانات القياس عن بُعد، كما جاء في الدراسة المنشورة في مجلة منشورات الجمعية الفلكية.

وتعرف شبكة المحطة العميقة بأنها مجموعة الهوائيات الراديوية العملاقة التابعة لوكالة ناسا والتي تدعم مهام المركبات الفضائية بين الكواكب، بالإضافة إلى عدد قليل منها يدور حول الأرض.

وقرر الفريق أن عمليات الإرسال التي تمت إلى «Voyager 2» و«Pioneer 10» و«Pioneer 11» قد صادفت بالفعل نجمة واحدة على الأقل.

وواجهت عمليات إرسال «Pioneer 10» نجما قزما أبيض واحدا في عام 2002. وستواجه عمليات إرسال «بيونير 10» نحو 222 نجمة بحلول عام 2313. وأقرب وقت يمكن أن نتوقعه لعودة الإرسال هو 2029 حسب الفريق البحثي.

وحسب الفريق فإن البيانات القريبة من النجوم ستتأثر بالإرسال من خلال النظر في السرعة التي تغطيها سرعة الضوء فرسخ فلكي واحد كل 3.26 سنة. وسمح لهم ذلك بتحديد الوقت بالسنوات للوصول إلى كل نجم.

ومن المتوقع أن تصل الإشارات إلى جميع إرسالاتها في 277 نجمة بحلول عام 2341.

وتقول الدراسة: «أقرب وقت يمكن أن نتوقعه لاستقبال إرسال مرتجع من حياة ذكية محتملة خارج كوكب الأرض واجهتها إرسالات (Voyager 1) هي 2109. وبحلول عام 2336 سيتم الوصول إلى جميع النجوم القريبة البالغ عددها 272 نجما.

ووصلت الإشارات التي تم ضبطها على «بيونير» إلى نجم قزم في عام 2018 لكن العلماء قالوا إن جميع النجوم البالغ عددها 386 ستتلقى إشارة بحلول عام 2317.

ويبحثون عن إرسال معاد في عام 2058. وقال المعد الرئيسي للدراسة رايلي ديريك، وهو طالب هندسة بجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس إن هذا العمل «يمنح القائمين بالبحث عن ذكاء خارج الأرض مجموعة أضيق من النجوم للتركيز عليها».

وقالت كايتلين راسموسن، عالمة الأحياء الفلكية في جامعة واشنطن غير المنتسبة إلى الورقة البحثية، إن هذه الدراسة «تمرين مثير للاهتمام، ولكن من غير المرجح أن يسفر عن نتائج».

شركة «سامسونغ» تحظر على موظفيها برامج الذكاء الاصطناعي

لندن – «القدس العربي»:

حظرت شركة «سامسونغ» استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي من قبل موظفيها، كما منعت استخدام برنامج المحادثة الشهير «تشات جي بي تي» الذي يثير جدلاً واسعاً على مستوى العالم، وذلك بعد أن اكتشفت بأن موظفين لديها قاموا بتحميل كود حساس على النظام الأساسي.

وأخطرت شركة «Suwon» ومقرها كوريا الجنوبية الموظفين في أحد أكبر أقسامها بشأن السياسة الجديدة، حسب ما نقلت جريدة «جابان تايمز» اليابانية الناطقة بالانكليزية.

ووفقا للوثيقة، تشعر الشركة بالقلق من أن البيانات التي يتم إرسالها إلى منصات الذكاء الاصطناعي يتم تخزينها على خوادم خارجية، مما يجعل من الصعب استردادها وحذفها، وقد ينتهي الأمر بالكشف عنها لمستخدمين آخرين.

وأجرت الشركة استبيانا الشهر الماضي حول استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي داخليا، وقالت إن 65 في المئة من المشاركين يعتقدون أن مثل هذه الخدمات تشكل خطرا أمنيا. وفي وقت سابق من نيسان/أبريل الماضي سرب مهندسو «سامسونغ» عن طريق الخطأ كود المصدر الداخلي عن طريق تحميله الى برنامج «تشات جي بي تي».

وقالت «سامسونغ» للموظفين: «الاهتمام بمنصات الذكاء الاصطناعي التوليدية مثل (ChatGPT) ينمو داخليا وخارجيا. وبينما يركز هذا الاهتمام على فائدة وكفاءة هذه المنصات، هناك أيضا مخاوف متزايدة بشأن المخاطر الأمنية التي يقدمها الذكاء الاصطناعي التوليدي».

وتحظر قواعد «سامسونغ» الجديدة استخدام أنظمة الذكاء الاصطناعي التوليدية على أجهزة الكمبيوتر والأجهزة اللوحية والهواتف المملوكة للشركة، وكذلك على شبكاتها الداخلية.

ولا تؤثر هذه القرارات على أجهزة الشركة المباعة للمستهلكين، مثل الهواتف الذكية التي تعمل بنظام «أندرويد» وأجهزة الكمبيوتر المحمولة التي تعمل بنظام «ويندوز».

وطلبت «سامسونغ» من الموظفين الذين يستخدمون «ChatGPT» والأدوات الأخرى على الأجهزة الشخصية، عدم إرسال أي معلومات متعلقة بالشركة أو بيانات شخصية يمكن أن تكشف عن ملكيتها الفكرية. وحذرت من أن انتهاك السياسات الجديدة قد يؤدي إلى الطرد.

اقتصاد

سباق دولي للاستحواذ على مشاريع كهرباء العراق

بغداد–«القدس العربي»:
مصطفى العبيدي

في الوقت الذي تسعى فيه الحكومة العراقية للاستعانة بالشركات العالمية المصنعة للطاقة لسد النقص الحاصل في توليد الكهرباء، تشهد الساحة العراقية سباقا محموما لشركات الطاقة العربية والغربية من جهة والإيرانية من جهة أخرى، للاستحواذ على مشاريع توليد الطاقة في العراق.

وبسبب النقص الكبير في توليد الطاقة الكهربائية اللازمة للعراق، تعمل حكومة بغداد منذ نحو عقدين، على استيراد كميات كبيرة من الكهرباء من إيران لتغطية العجز في توليد الطاقة المحلية، إلا ان توسيع بغداد تحركها مؤخرا نحو الشركات العالمية الأخرى أشعل صراعا إقليميا ودوليا شرسا لنيل عقود تجهيز البلاد بالطاقة الكهربائية التي تصل تكاليفها إلى مليارات الدولارات سنويا إضافة إلى كونها إحدى وسائل ممارسة النفوذ الأجنبي على العراق.

وينتج العراق حاليا نحو 16 ألف ميغاواط من الكهرباء، فيما تقدر حاجته بـ24 ألف ميغاواط، وتصل إلى 30 ألفا مع حرارة الصيف اللاهب، بالتزامن مع زيادة نسبة السكان بما يزيد عن المليون نسمة سنويا، وسط توقعات للأمم المتحدة بتضاعف عدد سكانه بحلول عام 2050 وبالتالي ازدياد استهلاكه للطاقة.

ولعله تناقض غريب أن يكون العراق أحد كبار منتجي النفط في العالم، ومع ذلك فهو يعاني نقصا مستمرا في توليد الطاقة الكهربائية، والذي يعود إلى تهالك البنية التحتية القديمة لمحطات توليد الكهرباء وعجز إنتاجها عن سد الحاجة الفعلية، وإهدار الغاز المصاحب لاستخراج النفط، إضافة إلى تفشي الفساد والإدارة الفاشلة لملف الطاقة، باعتراف القوى السياسية جميعها. ولذا تعمل الحكومة العراقية وفق عدة اتجاهات لسد النقص في توليد الطاقة، أبرزها محاولة زيادة إنتاج الغاز المصاحب لاستخراج النفط، والاستعانة بالشركات العالمية لتطوير البنية التحتية، إضافة إلى استيراد الطاقة الكهربائية والغاز من الخارج وخاصة من إيران.

الغاز العراقي

وقبل أيام أكد رئيس الوزراء العراقي محمد السوداني أن «توجه الحكومة الحالي لاستثمار الغاز، يصب في صالح منظومة إنتاج الكهرباء، وأن مذكرات التفاهم وعقود الصيانة التي أبرمتها الحكومة مؤخرا مع شركتي جنرال إلكتريك وسيمنز تستهدف معالجة المشكلات التي رافقت الإنتاج والتوزيع لسنوات».

وقدر مستشار رئيس الوزراء العراقي، مظهر محمد صالح، خسائر حرق الغاز واستيراده في العراق بـ12 مليار دولار سنويا، مؤكدا أنها تكلفة باهظة على الموارد النفطية وعلى موارد البلاد المالية. وأشار في تصريحات عديدة إلى «أن تطوير قطاع الطاقة يحتاج لاستثمار هذا الغاز المصاحب لاستخراج النفط خاصة لأغراض استخدامات محطات الكهرباء».

وفي إطار تعهد حكومة السوداني باستثمار الغاز العراقي وإيقاف إهداره واستخدامه لتشغيل محطات توليد الكهرباء، أعلن وزير النفط العراقي حيان عبد الغني، قبل أيام، بدء إنتاج الغاز من حقل عكاز في محافظة الأنبار غربي البلاد بمعدل 60 مليون قدم مكعب يوميا، فيما أفادت شركة غاز البصرة، جنوبي العراق، بأن خطتها تتضمن إيقاف الغاز المحترق بنسبة 91 في المئة أي نحو 1490 مليون قدم مكعب قياسي بنهاية عام 2027.

عقود الكهرباء الدولية مع العراق

ورغم كون معظم استيراد العراق للكهرباء بعد 2003 من إيران، إلا ان هذا التحول واجه عدة مشاكل، حيث كانت طهران تعمد إلى قطع إمدادات الغاز عن محطات العراق بين آونة وأخرى وخاصة في فصل الصيف بمختلف المبررات أبرزها تراكم ديون الغاز الإيراني، وذلك بسبب العقوبات الغربية عليها التي تمنع العراق من تسديد قيمة الطاقة الكهربائية إلا بموافقات محدودة من الولايات المتحدة التي تسعى لاضعاف النفوذ الإيراني في العراق.

وخلال السنوات الأخيرة، ولمواجهة النقص المستمر في الطاقة، وبتشجيع من الولايات المتحدة عمد العراق إلى الانفتاح على المحيط العربي لاستيراد الكهرباء عبر إبرام اتفاقيات متعددة مع دول الخليج العربي والأردن ومصر إضافة إلى تركيا، كما عقد اتفاقيات متعددة مع شركات عالمية غربية لتحديث محطات الكهرباء واستثمار الغاز المصاحب لاستخراج النفط، لتقليل الاعتماد على الغاز الإيراني.

وفي هذا السياق أعلنت وزارة الكهرباء العراقية، في بداية 2023 أنها وقعت، مذكرة تفاهم مشتركة مع شركة سيمنز الألمانية، خلال زيارة السوداني إلى العاصمة الألمانية برلين مؤخرا. وتضمنت مذكرة التفاهم تقديم شركة سيمنز دراسة متكاملة للعراق، تتضمن الكيفية التي يتم فيها الاستفادة من الغاز المصاحب، في دعم وزيادة إنتاج الطاقة الكهربائية. كما تضمنت توقيع اتفاقية طويلة الأمد، لصيانة وتأهيل الوحدات العاملة في العراق التي أنشأتها شركة سيمنز، كما تقوم الشركة بإنشاء محطات توليد جديدة، فضلاً عن تنفيذ مشاريع الطاقة المتجددة.

أما شركة جنرال إلكتريك الأمريكية، فإنها قدمت خريطة طريق متكاملة لدعم التحول بقطاع الطاقة في العراق، من خلال استفادة العراق من الغاز المصاحب لتوليد أكثر من 13 غيغاواط من الطاقة الكهربائية، الأمر الذي يلبي احتياجات ما يصل إلى 15 مليون منزل في البلاد. وتحويل عمل محطات توليد الطاقة الكهربائية من الدورة البسيطة إلى الدورة المركبة لتحسين كفاءة توليد الكهرباء بنسبة تصل إلى 50 في المئة، إضافة إلى استخدام الهيدروجين لتوليد الكهرباء.

ولم يكن بعيدا عن هذا التوجه توقيع «هيئة الربط الكهربائي الخليجي» 5 عقود مع الشركات المنفذة لمشروع الربط الكهربائي بين دول الخليج والعراق بتكلفة إجمالية تتجاوز 220 مليون دولار. وستقوم الهيئة بإنشاء خطوط بطول 295 كيلومترا من محطة الوفرة في الكويت إلى محطة الفاو جنوب العراق لنقل 500 ميغاواط في مرحلة أولى وبإجمالي 1800 ميغاواط، عبر إنشاء خط بواقع نحو 220 كم داخل الأراضي الكويتية و80 كم داخل الأراضي العراقية.

فيما أوضح المتحدث باسم وزارة الكهرباء أحمد موسى في أيلول/سبتمبر الماضي أن الربط مع الأردن تم من خلال خطوط ريشة–القائم، ومحطة القائم التحويلية، في حين أُحيل العمل إلى شركة جنرال إلكتريك لإتمام الخط، بعد إنجاز العراق دراسة نقاط الرباط وتحديد مسارات الخطوط. وقال موسى «إن بلاده اتفقت مع الجانب الأردني على إنجاز العمل بصفة سريعة لإنجاز الربط الكهربائي وتحقيقه بين البلدين، بحلول صيف 2023».

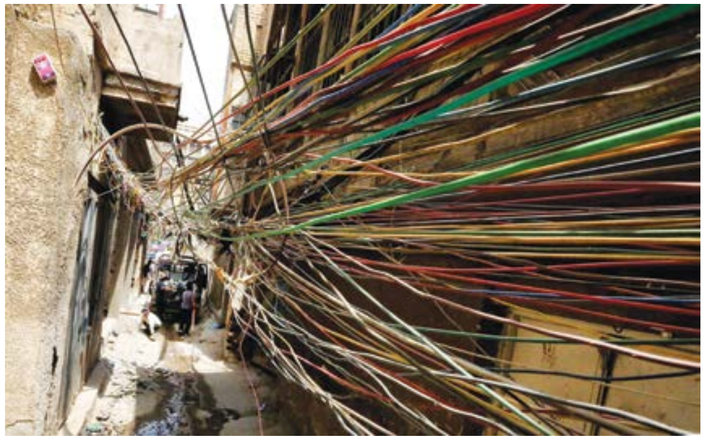

أما الربط الكهربائي مع تركيا، فإن موسى ذكر أن خطوط «سلوبي– فايدة» و«جـزرة– موصل» ومحطة الكسك، تفرعاتها، مشيرا إلى توقيع اتفاقية التشغيل النهائية مع الجانب التركي، التي نصّت على توفير 300 ميغاواط كمرحلة أولى للمحافظات الشمالية.

الربط الكهربائي الإيراني

وأزاء تزايد توجه بغداد نحو الشركات العربية والغربية، تقوم طهران حاليا بتحركات محمومة عبر أصدقائها وحلفائها في بغداد، لاستمرار وجودها في ملف الكهرباء في العراق، وذلك عبر اتجاهين، الأول زيادة الوفود المتبادلة بين مسؤولي حكومتي بغداد وطهران، وتوقيع المزيد من الاتفاقيات لضمان استمرار منح الشركات الإيرانية حصة في مشاريع الكـهـربـاء، والـثـانـي ممـارسـة ضغوط خفية، لعرقلة وتأخير تنفيذ الاتفاقيات التي عقدتها بغداد مع الشركات العربية والغربية، وفق المراقبين.

ومؤخرا، صرح سفير إيران لدى بغداد محمد كاظم صادقيان، أن شركات إيرانية تنافس شركة جنرال الأمريكية للحصول على مشاريع الطاقة في جنوب العراق. فيما التقى السفير، بوزير الكهرباء العراقي زياد علي فاضل، لفسح المجال أمام الشركات الإيرانية في مشاريع الطاقة في العـراق، مشيرا إلى تجارب الشركات الإيرانية في محطتي غاز الصدر والحيدرية. وحول الاستحقاقات المالية من شـراء الكهرباء، أوضـح صادقيان، «لدينا استحقاقات على العراق بنحو 11 مليار دولار من مبيعات الغاز والكهرباء منذ سنوات».

وكان هناك اتفاق أن تقوم الشركات الإيـرانـيـة بـإنـشـاء محطات كهربائية لتوليد 3642 ميغاواط في العراق لتزويده بالكهرباء، فيما يستورد العراق يوميا في الوقت الحالي ما بين 30–40 مليون م3 من الغاز الإيراني لتشغيل محطات توليد الكهرباء الغازية في وسط وجنوب العراق.

ويـرى الـبـاحـث الـسـيـاسـي غـالـب الشابندر، أن حكومة السوداني ستقوم بخنق إيران عبر عقود جولات التراخيص الغازية مع الشركات العالمية، مؤكدا أن «سياسة إيران أثبتت فشلها بالكامل» في إشارة إلى عجز طهران عن إيقاف انفتاح العراق نحو المحيط العربي والدولي لسد النقص في الطاقة.

ويرى المراقبون أن أزمة النقص في توليد الطاقة الكهربائية في العراق تعود لأسباب متشعبة ومعقدة، تتداخل فيها الصراعات والدوافع السياسية والاقتصادية المحلية والإقليمية والدولية، مع دوافع الفساد والفشل الإداري، حيث أن استمرار الحاجة إلى الغاز الإيراني لتوليد الكهرباء ليس بسبب العجز التقني لاستثمار الغاز العراقي، بل هو قرار سياسي من بعض القوى السياسية يهدف إلى استمرار الاعتماد على الغاز الإيراني لدعم طهران في مواجهة العقوبات الغربية، ولادامة النفوذ الإيراني في الشؤون العراقية، ولهذا تعمدت الحكومات السابقة بعد 2003 التغاضي عن استثمار الغاز العراقي المصاحب لاستخراج النفط حيث رفضت عروضا دولية عديدة لاستثماره، رغم ما يسببه ذلك من إلحاق أضرار اقتصادية كبيرة للعراق، إلا ان الضغوط الأمريكية أجبرت في النهاية، حكومات بغداد على البدء في استثمار الغاز العراقي المهدور منذ سنوات.

الاقتصاد المصري مريض يستجيب للعلاج لكن حالته غير مستقرة

إبراهيم نوار

رغم الأمراض التي يعاني منها الاقتصاد المصري، فإن بيانات ميزان المدفوعات للنصف الأول من السنة المالية الحالية تكشف أن المريض يستجيب للعلاج، لكن حالته العامة ما تزال غير مستقرة. هذا يعني أن المريض يمكن أن يتعافى وينهض من كبوته، كما يمكن أيضا أن يصاب بنكسة شديدة، تزيد تعقيد حالته المرضية. ويعتبر تحسن عجز الحساب الجاري بنسبة 77.2 في المئة ليبلغ 1.8 مليار دولار، مقابل 7.8 مليار دولار في الفترة المناظرة من العام السابق إنجازا كبيرا على صعيد تحقيق التوازن في علاقات التبادل بين مصر والعالم الخارجي. وجاء هذا الإنجاز على الرغم من استمرار ظروف خارجية سلبية مثل الحرب في أوكرانيا، وسياسة الولايات المتحدة برفع سعر الفائدة على الدولار، والتضخم العالمي. وقد تحقق تخفيض عجز الحساب الجاري بفضل نجاح السياسة الاقتصادية في تخفيض عجز ميزان التجارة السلعية، وزيادة الفائض في ميزان تجارة الخدمات التي تشمل رسوم المرور في قناة السويس وإيرادات السياحة. وانخفض عجز الميزان التجاري بنسبة 28.4 في المئة، بما قيمته 6.2 مليار دولار، ليبلغ 15.5 مليار دولار مقابل 21.7 مليار، وارتفعت الصادرات بحوالي مليار دولار إلى 21.5 مليار دولار من 20.6 مليار. وكانت الصادرات البترولية هي المحرك الأول لهذا الارتفاع إذ أسهمت بحوالي 900 مليون دولار، بينما زادت الصادرات السلعية غير البترولية بحوالي 100 مليون دولار فقط. أما بالنسبة للواردات فقد أسفر تخفيض الواردات السلعية، خصوصا السلع الوسيطة والاستثمارية عن تراجع مدفوعات الواردات بنسبة 12 في المئة تقريبا، بحوالي 5 مليارات دولار، لتنخفض إلى 37 مليارا من 42 مليار دولار تقريبا.

وقد أدت إجراءات تخفيض الواردات إلى رفع نسبة تغطية الصادرات للواردات من 48.58 في المئة، إلى حوالي 58.0 في المئة خلال فترة المقارنة. وعلى الرغم من مزايا التحسن في ميزان الحساب الجاري، وأهمها تخفيف الضغط على احتياطي النقد الأجنبي، وعلى قيمة العملة المحلية، فإن تحقيقه بواسطة فرض إجراءات انكماشية على الواردات، يؤدي إلى نتائج سلبية في مناخ الاستثمار وجانب العرض بشكل عام، ويقوض خطط التوسع الاستثمار، ويقلل ثقة المستثمرين المحليين والأجانب في مستقبل الاستقرار الاقتصادي.

زيادة دخل السياحة وقناة السويس

لعب فائض الميزان الخدمي دورا قويا بجانب القيود على الواردات في تحسين عجز الحساب الجاري. وقد تضاعف فائض الميزان الخدمي تقريبا إلى 10.8 مليار دولار مقابل 5.6 مليار بنسبة زيادة بلغت 93 في المئة، نظرا لزيادة صافي الإيرادات السياحية، وحصيلة رسوم المرور في قناة السويس. وقد ارتفعت قيمة إيرادات القطاع الخدمي إلى 17.7 مليار دولار، مقابل 13.1 مليار، في حين انخفضت قيمة المصروفات من 7.4 مليار دولار إلى 6.9 مليار. وأسهمت الزيادة في إيرادات المرور من قناة السويس بحوالي 600 مليون دولار، حيث بلغت 3.9 مليار دولار مقابل 3.3 مليار. أما إيرادات السياحة والسفر فقد ارتفعت إلى 7.3 مليار دولار مقابل 5.8 مليار في الفترة المناظرة من العام الماضي. ونتوقع أن تسجل إيرادات السياحة والسفر زيادة كبيرة في النصف الثاني من السنة المالية، خصوصا بعد الإعلان عن كشوف أثرية مهمة، وافتتاح المتحف المصري الكبير في شهر تشرين الثاني/نوفمبر المقبل.

توازن على حساب التنمية؟

وعلى الرغم من أن بيانات ميزان المدفوعات للنصف الأول من السنة المالية تظهر تراجعا ضخما في عجز الحساب الجاري بنسبة 77 في المئة، إلا أن هذا التراجع جاء على حساب التنمية وتقليص الواردات إلى درجة الإضرار بالاستثمار وفرص التصدير. وهناك الكثير من المؤشرات الإيجابية الخارجية، مثل زيادة الإيرادات السياحية بنسبة 25.7 في المئة، وزيادة إيرادات النقل بنسبة 45 في المئة، وزيادة الاستثمارات غير النفطية، التي من المتوقع أن تستمر وتتزايد مع زيادة حاجة أوروبا إلى تنويع مصادر إمدادات الطاقة بعيدا عن روسيا، واستعداد شركات مثل إيني الإيطالية، وشيفرون الأمريكية، وتوتال الفرنسية، وبريتش بتروليوم البريطانية، لزيادة استثماراتها في تطوير حقول النفط والغاز البحرية والبرية في مصر ودول حوض شرق البحر المتوسط. ومع ذلك فإن بيانات ميزان المدفوعات المصري أظهرت مؤشرات مقلقة منها انكماش الفائض في ميزان التجارة البترولية إلى 1.8 مليار دولار، مقابل 2.1 مليار في الفترة المناظرة من العام الماضي. وذلك رغم ارتفاع قيمة صادرات الغاز الطبيعي بحوالي 2 مليار دولار.

تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر

على صعيد ميزان الاستثمار الكلي، أظهرت بيانات البنك المركزي زيادة صافي العجز بحوالي 2 مليار دولار، إذ بلغت قيمة مدفوعات دخل الاستثمار من الداخل إلى المستثمرين الأجانب في الخارج حوالي 9.6 مليار دولار، مقابل 7.6 مليار دولار في الفترة المناظرة من العام الماضي، منها مدفوعات فوائد عن الدين الخارجي، التي تضاعفت قيمتها خلال الفترة المذكورة، حيث بلغت 2.4 مليار دولار مقابل 1.2 مليار في الفترة المناظرة من العام السابق. وعلى صعيد حساب المعاملات الرأسمالية والمالية فقد تراجعت القيمة الكلية للتدفقات إلى 2.7 مليار دولار مقابل 11.4 مليار. وحقق حساب المعاملات الرأسمالية والمالية صافي تدفق للداخل بقيمة 2.7 مليار دولار، وذلك نتيجة ارتفاع صافي الاستثمار الأجنبي المباشر للداخل ليصل إلى 5.7 مليار دولار، بينما ارتفع صافي تدفق الاستثمارات المالية الأجنبية للخارج بقيمة 3 مليارات دولار. التطورات السابقة أسفرت عن فائض كلي في ميزان المدفوعات بقيمة 599 مليون دولار، كما جاء في بيان أخير أصدره البنك المركزي المصري.

وفي حال زيادة اعتماد مصر على تمويل تجارتها الخارجية بمعملات غير الدولار، فإن ذلك يمكن أن يساعد على تحسن ميزان الحساب الجاري وميزان المدفوعات، بشرط أن تتوفرلها مصادر تمويل بالعملات الأخرى، سواء من خلال اتفاقيات المبادلة بين العملات عن طريق البنوك المركزية، أو عن طريق زيادة الصادرات إلى الأسواق المستهدفة. إذا تمكنت مصر على سبيل المثال من زيادة صادراتها إلى الهند بالروبيه، فإنها تستطيع في هذه الحالة زيادة تسوية وارداتها من الهند بالعملة المحلية، أما إذا لم تتمكن فإنها ستحتاج إلى استخدام عملة وسيطة قابلة للتحويل، مثل الدولار أو اليورو.

هبوط حاد لتحويلات العاملين

تمثل تحويلات العاملين أهم مصادر العملات الأجنبية في مصر بدون مقابل أو تكلفة لاحقة، فهي في حقيقة الأمر أهم عائد استثماري، تحصل عليه مصر من استثماراتها في ثروتها البشرية. وقد سجلت بيانات ميزان المدفوعات هبوط تحويلات المصريين العاملين في الخارج خلال النصف الأول من السنة المالية الحالية بنسبة 23 في المئة. وجاء معظم هذا الهبوط في الربع الثاني من السنة المالية. وكانت تحويلات العاملين قد زادت في العام الماضي بحوالي 500 مليون دولار.

وبلغت قيمة التحويلات في النصف الأول من السنة المالية الحالية 12 مليار دولار فقط، مقارنة بحوالي 15.6 مليار دولار في الفترة المناظرة من السنة المالية السابقة. ومن المرجح أن هذا الهبوط يعكس التأثير السلبي للسياسة النقدية الجامدة إلى حد كبير، وليس الهبوط في دخل المصريين العاملين في الخارج. وربما يستوجب ذلك أن يقوم البنك المركزي بدراسة الأرقام تفصيليا، لبيان السبب الحقيقي الذي يفسر هذا الهبوط، والتصرف بتعديل السياسة النقدية، على ضوء استنتاجات الدراسة. ويتعلق تعديل السياسة النقدية هنا بتطبيق درجة عالية من المرونة في تحديد سعر الصرف، بما يستجيب لاحتياجات الإصلاح الداخلي، أكبر من أي اعتبارات أخرى متعلقة بضغوط الصندوق. ويجب أن تنطلق السياسة النقدية من حقيقة أن المستثمرين الأجانب، سواء أصحاب الاستثمارات المباشرة مثل صناديق الاستثمار العربية، أو أصحاب الاستثمارات والمساعدات المالية ومؤسسات التمويل الدولية المتعددة الأطراف ومنها صندوق النقد الدولي، هم «شركاء التنمية» الذين تعتمد عليهم مصر وليسوا خصوما لها. ويكفي أن مؤسسة التمويل الدولية التابعة للبنك الإسلامي هي التي تمول شراء واردات مصر من القمح، وأن إجراءات طرح المناقصة الأخيرة لاستيراد القمح قد تأخرت بسبب تأخير الإفراج عن قرض من المؤسسة بقيمة مليار دولار تقريبا.

مناخ استثمار سلبي

أدى التصنيف الائتماني السلبي للديون السيادية المصرية، إلى تدهور أسعار السندات الدولارية وغير الدولارية. ويتجلى ذلك في ارتفاع معدلات تكلفة التأمين ضد المخاطر من 542.7 نقطة أساس فوق العائد على سندات الخزانة الأمريكية في بداية العام الحالي إلى 1845.8 نقطة أساس في 27 من الشهر الماضي، بزيادة 1303.1 نقطة أساس، أي حوالي 13 في المئة، بنسبة زيادة تصل إلى 240 في المئة عما كانت عليه. وقد انعكس ذلك على تكلفة الاقتراض الحكومي من البنوك المحلية من 14 في المئة إلى 26 في المئة. ومع زيادة الإنفاق الحكومي وارتفاع أسعار الفائدة، يقف القطاع الخاص (المحلي والأجنبي) عاجزا عن الحصول عن التمويل الكافي من البنوك بتكلفة ملائمة نتيجة المزاحمة الحكومية.

مصلحة المستثمر الأجنبي

تتلخص فلسفة الاستثمار الأجنبي من وجهة نظر المستثمرين، في الحصول على عائد مرتفع على الاستثمار، من خلال فرص أفضل من تلك المتاحة في أسواقهم المحلية، سواء بسبب مزايا حجم السوق في الخـارج، أو بسبب ضيق الطاقة الاستيعاب في الداخل. وتتحقق المصلحة الرئيسية للمستثمر من ارتفاع الأرباح وكذلك استعادة رأس المال الأصلي. وهذا يتطلب سهولة التحويل النقدي من سوق الاستثمار الخارجي «البلد المضيف» إلى بلد العملة مصدر الاستثمار. وإذا عجز المستثمر الأجنبي عن تحقيق مصلحته تلك، فإن الاستثمار الأجنبي له يكون خسارة. الخسارة الأشد تأتي من صعوبة التشغيل، نتيجة ارتفاع تكلفة التمويل المحلي، وصعوبة تدبير النقد الأجنبي اللازم للتشغيل من السوق المحلية. وهذا ما يفسر قرار الشركة المتحدة للإلكترونيات «إكسترا» السعودية بتجميد توسعاتها الاستثمارية في مصر، الذي أعلنته في بداية الشهر الحالي. فهذه الشركة المتخصصة في تجارة الإلكترونيات والأجـهـزة الكهربائية تستورد النسبة الأعظم من مبيعاتها في السوق المصرية من الخـارج، لكنها تبيع لزبائنها المحليين بالجنيه المصري. ومن ثم فإنها تحتاج إلى سياسة نقدية شديدة المرونة لاستخدام إيرادات المبيعات في إعادة ملء مخازنها بسلع معظمها مستوردة، وإلا فإنها تتوقف عن العمل. وهـذا ما حدث فعلا، وهـو ما سيؤدي إلى فقدان حوالي 80 في المئة من العاملين فيها لوظائفهم.

الـقـرار يمثـل ضـربـة قـاسـية لجهود الحكومة المصرية في تسويق برنامج بيع أصول مملوكة للدولة يتضمن حصصا في شركات أو بيعا كاملا لأصول استثمارية، منها بنوك وشـركـات تجارية وصناعية وعقارية. الحكومة كانت قد أعلنت إنها تطمح إلى جميع حصيلة بقيمة 2 مليار دولار، من عروض الخصخصة قبل نهاية الشهر المقبل، حزيران/يونيو، الذي يوافق نهاية السنة المالية، وهو هدف مشكوك في تحقيقه. كما تبدو في الأفق أيضا غيوم داكنة بشأن خطط استثمار بعض الشركات الإماراتية المملوكة لشركة أبو ظبي القابضة في مصر. ومع ذلك فإن عمليات الاستثمار لم تتوقف، وهناك الكثير من الصفقات التي يتم التفاوض بشأنها، بينما تعرض الحكومة شروطا ميسرة من أجل إتمام تلك الصفقات، منها عدم اشتراط بيع الأصول بالدولار، كما حدث في صفقة استحواذ شركة إماراتية على شركة «باكين» المصرية للبويات، علما بأن البيع بالدولار هو الحافز الرئيسي لبرنامج الخصخصة.

مدن وآثار

مدينة زاخو العراقية عروس أعالي كردستان

صادق الطائي

تقع مدينة زاخو التي تمثل مركز قضاء تابع لمحافظة دهوك في كردستان العراق، وقد تم منحها مؤخرا حق الإدارة الذاتية من حكومة إقليم كردستان، لأن قضاء زاخو يعد أحد أكبر أقضية كردستان، وهو بذلك مهيئ لان يصبح محافظة مستقلة في المستقبل. تقع المدينة جنوب غرب سهل السندي الذي يشتهر بخصوبته ومنتوجاته الزراعية المختلفة طوال فصول السنة، على بعد 400 كيلومتر شمال العاصمة بغداد، وتبعد عن مركز محافظة دهوك مسافة 53 كيلومترا، وعن مدينة الموصل مسافة 114 كيلومترا. وتمثل مدينة زاخو آخر مدينة عراقية قبيل الوصول إلى الحدود العراقية التركية إذ لا تبعد عن مخفر ابراهيم الخليل الحدودي سوى 10 كلم، كما تبعد عن الحدود العراقية السورية مسافة 25 كلم.

ويتبع قضاء زاخو إداريا ثلاث نواحي هي: ناحية رزكاري، وناحية دركار، وناحية باتيفا. وتنقسم المدينة إلى واحد وسبعين حيًا بينها: بيمان، وزاكروس، وبيدار القديمة، وصلاح الدين، وآشتي، والنصارى. وتبلغ مساحتها حوالي 1.378 كم2 ويعيش فيها قرابة 250 ألف نسمة حسب إحصاء 2010 وهم خليط من المسلمين الأكراد، والمسيحيين من طوائف مختلفة كالأرثوذكس، والكاثوليك، والأرمن، والسريان، كما يوجد بعض القرى المحيطة بالمدينة التي يعيش فيها أبناء الطائفة الإيزيدية.

بالإضافة إلى الإنتاج الزراعي وتربية الثروة الحيوانية الذي يمثل النسق الاقتصادي الرئيسي للمدينة، نجد نسبة جيدة من أبنائها يعملون في قطاع السياحة في المصايف المحيطة، وكذلك تمثل زاخو بموقعها الاستراتيجي مدينة حدودية مهمة، لذا تم إنشاء مجمع حدودي ضخم في المدينة قرب نقطة إبراهيم الخليل الحدودية، وقد وفر هذا المجمع فرص عمل كثيرة لأبناء زاخو والوافدين المقيمين فيها، إذ يلتجئ لها العديد من الباحثين عن فرص العمل من مناطق متعددة من العراق وكذلك من الدول المجاورة كسوريا وتركيا، لكن تجدر الإشارة إلى أن القرى والمصايف المحيطة بمدينة زاخو تعاني من موجة رعب منذ سنوات نتيجة القصف المتكرر للجيش التركي الذي يدعي أنه يضرب مقرات ميليشيا حزب العمال الكردستاني الموجودة في تلك المنطقة.

الجسر العباسي

يمر في المدينة نهر الخابور الذي ينحدر من تركيا فيقسمها إلى نصفين تربط بينهما عدة جسور، وربما كان أهمها جسر دلال، وذلك لمكانته التاريخية، فهو جسر حجري تاريخي بني قبل مئات السنين، ولم تحدد فترة بنائه بدقة، ويطلق عليه البعض اسم الجسر العباسي، نسبة إلى الإمارة العباسية التي حكمت أجزاء من شمال العراق بعد الغزو المغولي للعراق، وليس نسبة إلى الخلافة العباسية. ويذكر خضر العباسي في كتابه «بلدة زاخو والجسر العباسي» تاريخ هذا الجسر بقوله في ص16؛ «باشر الأمير سلطان حسين العباسي في بناء الجسر سنة (935 هـ – 1529م) فجلب العمال والمعامير الحاذقين من الموصل وبغداد، وقد استغرق بناؤه قرابة سنة ونصف، ولما اكتمل افتتحه بنفسه باحتفال عظيم حضره أمراء البلاط العباسي، ورؤساء القبائل والعمال والأشراف، والقيت القصائد في مدح الأمير سلطان حسين العباسي بالمناسبة». كما تضم المدينة عدة جسور قديمة أخرى تم ترميمها برعاية حكومة إقليم كردستان منها جسر الفاروق الذي كان يسمى قديما جسر محمد آغا. وجسر الجودي وكان اسمه قديما جسر السعدون، وهناك جسران حديديان أحدهما جسر الكورنيش القريب من مقبرة زاخو، والجسر القريب من محكمة زاخو.

الاسم وتاريخ المدينة

يذكر خطاب إسماعيل أحمد الأستاذ في قسم التاريخ، في كلية العلوم الإنسانية في جامعة زاخو، في بحثه المعنون «مدينة زاخو)الحسنية) وأطرافها في المصادر الإسلامية العربية)»: «لا يُعلم التاريخ الذي ظهر فيه اسم زاخو وتسمية المدينة بها على وجه التحديد، وذلك لعدم وجود نصوص تاريخية يمكن أن يقطع بها الشك باليقين، لذا لا غرابة أن يلجأ الباحثون إلى التحليل لمعرفة معنى كلمة زاخو ومن أين جاءت، وهل هي كردية أم لا؟».

تمثل زاخو بموقعها الاستراتيجي مدينة حدودية مهمة

وقد اختلف المؤرخون حول أصل تسمية مدينة زاخو، فهناك روايات مختلفة حول أصل هذا الاسم، إذ يشير البعض إلى المراجع الآرامية التي جاء ذكر اسم البلدة فيها على أنه مشتق من كلمة زاخوتا الآرامية والتي تعني النصر نسبة إلى المعركة التي وقعت بين الروم والفرس بالقرب منها والتي انتهت بانتصار الروم. وفي رواية أخرى أن التسمية تطورت من الكلمة الكردية زي خوين، أي نهر الدم نسبة إلى حادث مهم جرى في هذا الموقع واريقت فيه الدماء، وهذه الرواية قريبة من الرأي الأول ولعلها تشير إلى المعركة بين الروم والفرس. وهناك رأي ثالث يقول بأن أصلها من زي النهر وخوه ك أي المكان الملتوي والذي ينحسر فيه المياه. أما في المصادر العربية القديمة فقد ورد فيها اسم آخر للمدينة هو «الحسنية» أو «الحسينية».

ويذكر سعيد رزفان زاخويي في كتابه «زاخو الماضي والحاضر» عددا من المؤرخين والبلدانيين والرحالة ممن ذكروا مدينة زاخو، مثال ذلك أنور المائي الذي ذكر في كتابه «الأكراد في باديتان» ص 14 مدينة زاخو بقوله: «إن الكاتب الآرامي مار يوحنا قد ذكرَها في موضعين من كتابه (داسنائي) أولهما عند ذكر قرية باكرمان. حيث يقول: «باكرمان كانت قرية قريبة من زاخو وهي بلدة آزياخو بن دریاخو أبن نوح، وكان آزياخو

ملكا في زاخو ثم خلفه ذريته في هذا المنصب إلى عهد نيسابور حوالي 800 ق.م حيث عصى ربه فأهلكه».

بينما يذكر جمال بابان في كتابه «أصـول أسماء المدن والمواقع العراقية» ص138: «أن كلمة زاخ تعني القوة والعزم في اللغة الكردية» ويضيف «أن هناك رأيا يفيد أن زاخاريوس القائد الأغريقي وأحد قادة حملة زينفون قد حط عصا الترحال أثناء التراجع في موقع بلدة زاخو، حيث وضع نواة المدينة التي سميت باسمه، ثم تطور الاسم بمرور الزمن إلى التسمية الحالية زاخو».

أما المؤرخ عبد الرزاق الحسني فيذكر في كتابه «العراق قديما وحديثا» أن «زاخو كانت من المدن العريقة في القدم، فقد دعيت بقعتها عند الكتبة الآراميين باسم بيت نوهدرا وسماها العرب بانهذرا» ويضيف الحسني «يمر منها الخابور فيتفرع منه في مدخلها فرع يقسمها إلى قسمين ثم يعود فيتصل به في نهايتها، يطل عليها جبل أجرد يسمونه بـB خ B ر، فيجعل لها منظرا خاصا، وتحيط بها بساتين عديدة ذات أثمار لذيذة وفواكه عديدة تجعل لها رونقاً زاهياً، هواؤها جيد جداً، وماؤها عذب نمير».

ومن المؤرخين العرب الذين ذكروا المدينة باسمها العربي الحسنية، محمد بن احمد المعروف بالمقدسي الذي انتهى من تأليف كتابه سنة (375– 985 م). ومن الجدير بالذكر أن المقدسي هو الوحيد من بين جغرافيي القرن العاشر الميلادي والذي كتب عن هذه المدينة وذكر جسرها التاريخي فقال: «الحسنية تقع على نهر يقبل من أرمي» وهو الذي عليه قنطرة سنجه، والجامع وسط البلدة والنهرعلى جانبه» وقال أيضا «وكان يقال عجائب الدنيا ثلاث: منارة الاسكندرية، وقنطرة سنجه، وكنيسة الرها. وهذه القنطرة على بعد خمسة فراسخ من جبل الجودي كبيرة شاهقة متصلة بالجبل ومركبة على حجر إذا زاد عليها الماء اهتزت».

ويصف د.كاميران عبد الصمد الدوسكي في كتابه «بهدينان في أواخر العهد العثماني 1876– 1914» ص 197 مدينة زاخو في نهايات العهد العثماني بقوله: «زاخو قضاء من الدرجة الثانية، ويحده من الشمال ولايتا وان وبدليس، ومن الغرب ولاية ديار بكر، ومن الجنوب قضاء دهوك، ويقع القضاء في أقصى الشمال الغربي لولاية الموصل ويبعد عن مدينة الموصل مسافة 100كم» ثم يضيف «كانت قصبة زاخو تضم حوالي 500 بيت، و80 دكانا، و3 خانات، وحماما، ومقهى، وجامعا، ومسجدا وكنيسة ومعبدا يهوديا. وفي عام 1907 ضمت المدينة 1900 دار، و150 دكانا، و16 جامعا ومسجدا، ومكتبتين، وأربع خانات، وكنيسة، وخمسة أديرة، وبنايتين حكوميتين، وتلغراف».

أما عالم الانثروبولوجيا هنري فيلد فيذكر زاخو التي زارها في رحلة المسح الانثروبولوجي التي قام بها لمدن وقرى العراق سنة 1926 فقال: «إن طريق الكلي كان معبدا، أما نهر الخابور فيزود المدينة بكميات غير محدودة من الماء، وإن تربة الوادي الذي تقع فيه هذه المدينة خصبة وتزرع فيها الحنطة والشعير والتبغ والفواكه، وإن زاخو مشيدة على جزيرة صخرية، أما نهر الخابور الذي يأتي من أعالي المدينة فهو نهر جبلي متدفق، والمدينة مبنية على مساحة تقدر بـ400 ياردة من أرض كثيرة الحصى. وكان عدد سكان زاخو في عام 1926 حوالي 4000 نسمة من المسلمين والكلدان واليهود، وان زاخو مركز إقامة قائممقام وقضاء زاخو والمدينة نفسها تدار من قبل رئيس البلدية».

جامعة زاخو

وتعد زاخو اليوم من المدن الحديثة، ومن ضمن مظاهر الحداثة في هذه المدينة وجود جامعة زاخو التي مر على إنشائها أكثر من 15 عاما، وأسهمت في رفد سوق العمل بالكفاءات والقدرات العلمية، فهي جامعة حكومية تديرها حكومة إقليم كردستان، وقد أعلن تأسيسها باعتبارها جامعة مستقلة في تموز/يوليو 2010 إلا أن نواة تكوينها تعود إلى عام 2005 حيث وضع مسعود بارزاني، رئيس إقليم كردستان حينذاك، الحجر الأساسي لكليتي التربية والتجارة التي كانت تتبع جامعة دهوك. ثم تم تأسيس جامعة زاخو بقرار من برلمان إقليم كردستان لمعالجة الطلب المتزايد على الدراسة الجامعية في المنطقة.

وتضم جامعة زاخو اليوم عدة كليات هي: كلية العلوم التي تحوي خمسة أقسام هي: البايولوجي، والكيمياء، والفيزياء، وعلوم الكمبيوتر، والرياضيات. وكلية الهندسة التي تضم قسمين هما: هندسة البترول، والهندسة الميكانيكية. وكلية العلوم الإنسانية التي تشتمل على ستة أقسام هي: اللغة الكردية، واللغة الإنكليزية، واللغة العربية، واللغة التركية، والتاريخ، والدراسات الإسلامية. أما الكلية الأخيرة فهي كلية التربية وتضم ثلاثة أقسام هي: التربية الرياضية، والتعليم الأساسي، وعلم النفس العام.

اسمها مشتق من كلمة زاخوتا الآرامية التي تعني النصر

رياضة

كيف يضمن ايرلنغ هالاند أصعب «بالون دور» في التاريخ؟

لندن – «القدس العربي»: عادل منصور

من مباراة الى أخرى يثبت العملاق النرويجي إيرلنغ براوت هالاند، صحة ما دونته الأساطير القديمة عن جبروت وعنف محاربي الفايكنغ القدماء، كلاعب كرة قدم بجينات أصيلة لأجداده المقاتلين الأوائل، وفي رواية أخرى وحش اسكندينافي جاء من العصور الوسطى، ليعبث بتاريخ وحاضر كرة القدم، آخرها ما فعله في منتصف الأسبوع الماضي، بفض الشراكة مع آلان شيرر وأندي كول، والانفراد بالرقم القياسي كأعظم هداف للدوري الإنكليزي الممتاز منذ تسعينات القرن الماضي بمسمى «البريميرليغ» في موسم واحد، بهز شباك الخصوم 35 مرة في 31 مباراة حتى وقت كتابة هذه الكلمات.

صانع السعادة

لطالما عانى المدرب الكتالوني بيب غواردیولا، على مدار سنوات من صداع نقص الجودة والحدة في مركز المهاجم رقم (9)، حتى في زمن الهداف التاريخي للنادي سيرخيو أغويرو وبديله السابق غابرييل جيزوس، كانت الإستراتيجية الهجومية ترتكز على لحظات كيفن دي بروين الإبداعية أو بلمسة ساحرة من رياض محرز، أو ومضة من بيرناردو سيلفا أو واحد من القادمين من الخلف، ولنا أن نتذكر المباريات الفارقة، التي تحسر بعدها بيب ومن خلفه الجمهور السماوي، لعدم تسلح المشروع برأس حربة من الطراز العالمي، منها على سبيل المثال لا الحصر المباراة النهائية لدوري أبطال أوروبا أمام تشلسي في العام 2021، ولعلنا نتذكر كم الفرص السهلة التي أهدرها الفريق أمام الحارس السنغالي إدوارد ميندي، ناهيك عن العرضيات والجمل التكتيكية التي افتقدت للقناص القادر على ترجمتها إلى أهداف، ونفس الأمر ينطبق على مباراة إياب نصف نهائي النسخة الأخيرة أمام ريال مدريد، وغيرها من الليالي التي جعلتنا نفهم أسباب محاولات غواردیولا السابقة للتوقيع مع أمير توتنهام هاري كاين وملك كرة القدم كريستيانو رونالدو، كأن الرجل كان يبحث عن آخر قطعة نادرة في مشروعه الطويل في عاصمة الشمال، ومن يحتفظ بنسخ «القدس العربي»، أو يبحث في الشبكة العنكبوتية بتاريخ 15 مايو / آيار 2022 عن مقالنا الأسبوعي بعنوان «لماذا تعاقد غواردیولا مع هالاند؟»، قد يشك لوهلة أنها قصة حديثة أو تم تعديلها مؤخرا بعد وصوله لذروة التوحش في الربع الأخير للموسم، وبالطبع بصوت عبقري السينما أحمد زكي في فيلمه الخالد «البيضة والحجر»، «لا هو سحر ولا شعوذة»، كل ما في الأمر، كنا محظوظين بالمشاركة في حملة ترويجية لتسليط الضوء على ألمع الجواهر الأوروبية المنتظر صعودها بسرعة الصاروخ في سماء الكرة العالمية في العام 2018، وقادتنا الصدفة لمعرفة قيمة الكنز الثمين الذي كان يمتلكه مواطنه أولي غونار سولشاير في فريق مولده، قبل أن تأتي لحظة الانفصال بإذهاب صاحب الوجه الطفولي إلى مانشستر يونايتد لإنقاذ الفريق بعد طرد جوزيه مورينيو، ورغم محاولاته لنقل هذا الهالاند إلى «مسرح الأحلام»، إلا أن كلها باءت بالفشل. واحدة منها بسبب اختلاف موعد اللقاء الافتراضي بين مسؤولي الناديين، ليحدث التحول الدرامي في فترة ما قبل وبعد كورونا، بتوجهه فترة قصيرة مع ريد بول سالزبورغ ثم مع بوروسيا دورتموند، فرصة الذهاب إلى أو الاستماع إلى آخرى، لكنه فَضل إلى البيئة المناسبة تلك المرحلة، حيث كان هدفه الرئيسي، اكتساب المزيد من الخبرات والنضوج في الشخصية، قبل التفكير في خطوة الانتقال لناد كبير ينافس على الألقاب الكبرى ويلعب دائما تحت الضغط الجماهيري والإعلامي.

هالاند هداف مان سيتي

وما أظهره هذا المخلوق الفضائي قبل وصوله إلى ملعب «الاتحاد»، كان مؤشرا الى أنه سيكون صفقة العقد، وربما القرن للمان سيتي، شريطة تطويع طاقته الفولاذية لمصلحة المنظومة الجماعية، تماما كما فعلها غواردیولا من قبل مع الجلاد الأنيق روبرت ليفاندوسكي في بايرن ميونيخ، وليس بتكرار مأساة الاسكندينافي الآخر زلاتان إبراهيموفيتش في برشلونة، والآن مع استمرار الفريق في قتاله على الثلاثية التاريخية، بقلب الطاولة على آرسنال في حملة البحث عن البريميرليغ للمرة الثالثة تواليا، وضمان مقارعة عدو المدينة في نهائي كأس الاتحاد الإنكليزي، وبعد 48 ساعة سيكون أمامه فرصة مثالية للثأر من النادي الملكي في نصف نهائي الكأس ذات الأذنين، فأقل ما يُمكن قوله، إن إيرلنغ أعطى للهجوم والمشروع برمته ما يفوق المصطلحات الكلاسيكية «إضافة» و«بعبع»، بتلك العبثيات الفردية المرعبة لأعتى وأكبر مدافعي أوروبا والعالم، التي جعلته يتحول إلى «بعبع» بكل ما تحمله الكلمة من معنى بالنسبة لخصومه، والعكس لجمهور السيتي الذي يعتبره «صانع السعادة» و«الرجل المُخلّص»، والأمر لا يتعلق فقط بسجله الخرافي، بتسجيل ما مجموعه 51 هدفا حتى الآن، منها 35 على مستوى البريميرليغ و12 في دوري الأبطال، بل أيضا لروحه القتالية وغيرته على شعار النادي، وتأثيره الكبير في المنظومة الهجومية، بالجمع بين الكمال على المستوى الفردي، بمحاكاة المعدلات التهديفية، التي كنا نعتقد أنها توقفت بعد تقدم الثنائي كريستيانو رونالدو وليونيل ميسي في العمر، وبين المواصفات شبه المثالية للمهاجم الذي يُعرف بوصف «محطة»، يتنفس من خلاله الحارس إيدرسون بكرة طويلة في لحظات الضغط العالي من المنافسين، للاستفادة من قدراته الخارقة في حوارات الفضاء مع المدافعين، ونموذج يُحتذي به في الجماعية وتنويع الأفكار في شن الغارات كما يريد المدرب، بذكائه الفطري في التحرك بدون كرة لخلق مساحات للأجنحة الطائرة والقادمين من الوسط، بجانب مرونته في صناعة الفرص وتقديم التمريرات الحاسمة، تحت شعار «مصلحة الجماعة أولا».

الطريق نحو البالون دور

بعيدا عن كل ما سبق، لو سألنا 10 مشجعين لأندية مختلفة في كل قارات العالم عن أفضل لاعب في العالم في الوقت الراهن، أو اللاعب الأكثر تأثيرا على المستوى الفردي هذا الموسم، فعلى الأغلب ستكون الأغلبية بفارق أكثر من 50% للمهاجم النرويجي، لكن السؤال الذي يفرض نفسه: هل من الممكن أن تكتمل الصدمة بتتويج هذه الظاهرة بجائزة «الكرة الذهبية» كأفضل لاعب في العالم من قبل مجلة «فرانس فوتبول» الفرنسية؟ صحيح الإجابة تبدو معقدة وتحتاج شرحا مفضلا، لكن واقعيا فهي ليست مستحيلة، بل بدون مبالغة ليست بعيدة المنال، رغم أنه على الورق، تبدو وكأن فرص البرغوث ليونيل ميسي أقوى من الجميع، نظير ما فعله في نهائيات كأس العالم قطر 2022، بقيادة بلاده للتتويج بالمونديال الثالث تاريخيا والمنتظر منذ معجزة الراحل دييغو أرماندو مارادونا نسخة المكسيك 1986، بتسجيل 7 أهداف والمساهمة في 3 أهداف آخرين من أصل 15 هدفا سجلها بطل العالم في الملاعب القطرية، أما بإلقاء نظرة واقعية وعادلة، سنجد أنه وفقا للمعايير الخاصة بالتصويت لاختيار صاحب جائزة «البالون دور»، أن فرص ليو تراجعت أكثر من أي وقت مضى بعد عودته من الدوحة، بعبارة أخرى بعد وصوله الى قمة الاسترخاء والاكتفاء الكروي بعد احتفالاته الصاخبة بتحقيق حلمه الكبير، بالتقاط الصور التذكارية بكأس العالم في شوارع بوينس آيرس، وانعكاس ذلك على مستواه وأرقامه المتواضعة مع باريس سان جيرمان، والتي تسببت بشكل أو بآخر في وصول علاقته بالنادي والجماهير إلى طريق مسدود، حتى أنه يُقال إنه لن يظهر مرة أخرى بقميص فريق الأحلام، ليس فقط كجزء من العقوبات الصارمة المفروضة عليه، بل لتعثر مفاوضات تأمين مستقبله في «حديقة الأمراء» إلى ما بعد يونيو / حزيران المقبل، وذلك كما أشرنا أعلاه، في الوقت الذي يمارس فيه صاحب الـ22 عاما، كل أنواع الإرهاب الكروي على المنافسين، محققا ما فاق توقعات الفيلسوف غواردیولا، بإحداث نقلة سيُكتب عنها في كتب التاريخ في هجوم المان سيتي، إذا سارت الأمور كما يخطط لها بيب الى نهاية الموسم، ويكون هالاند بمثابة الأداة أو السلاح الذي مكنه من معادلة إنجاز شيخ المدربين سير اليكس فيرغسون، عندما فاز بالثلاثية الوحيدة الإنكليزية مع اليونايتد في العام 1999، وهذا في حد ذاته، قد يقلب الموازين ويعطي هالاند أفضلية كاسحة عن باقي المنافسين على الجائزة الفردية الأهم عالميا.

المعايير الجديدة

بعض المصادر الصحافية، ما زالت تتحدث عن أفضلية ميسي على هالاند في الصراع على «البالون دور»، بحكم ما تحمله البرغوث من ضغوط في أفضل موندیال في كل العصور، لكن لو عُدنا بالذاكرة إلى أغسطس / آب الماضي، وقبل أسابيع من تتويج كريم بنزيمة بالجائزة، سنتذكر بيان إدارة المجلة الفرنسية عن التعديلات الجديدة على معايير التصويت، والتي من المفترض أن يبدأ تطبيقها على أرض الواقع بداية من نسخة 2023، أبرزها العودة إلى الأصول القديمة، بعبارة لطيفة إلى معايير ما قبل حقبة كريستيانو رونالدو وليو ميسي، بوضع المستوى الفردي وتأثير اللاعب على نتائج فريقه على حساب الإنجازات الجماعية، تماما كما عهدنا الجائزة في تسعينات القرن الماضي وبداية الألفية، بذهابها دائما وأبدا لأفضل لاعب في العالم من حيث الأداء والإبداع والتأثير، على غرار لويس فيغو 2000، مايكل أوين 2001، بافل نيدفيد 2003، أندريه شيفتشينكو 2004، فقط كان الاستثناء وربما اللغز الوحيد هو الغزال الأسمر تييري هنري، الذي كان يفعل كل شيء في كرة القدم، إلا إقناع المصوتين للجائزة بأحقيته في الفوز بها ولو مرة واحدة، ما يعني أن هذه المعايير الجديدة القديمة، التي ترتكز على فكرة استمرارية توهج وتألق اللاعب على مدار الموسم وليس على مدار عام ميلادي، بالكاد لا تنطبق على لاعب آخر هذا الكون أفضل من هالاند، على الأقل حتى هذه اللحظة، كهداف منتظر للبريميرليغ وبمعدل أهداف سيدوم للمرة الأولى في تاريخ وطن كرة القدم، ونفس الأمر في دوري أبطال أوروبا، بتربعه على عرش الهدافين برصيد 12 هدفا، مبتعدا بمسافة آمنة عن أقرب مطارديه، وأغلبهم تركوا البطولة، والحديث عن محمد صلاح صاحب الثمانية أهداف، لكنه ودع البطولة مبكرا على يد دابة الريدز السوداء في ثمن النهائي، وغونسالو راموس مهاجم بنفيكا، وهو الآخر توقف عند هدفه السابع بعد الخروج من الدور ربع النهائي على يد الإنتر الإيطالي، فقط لا يتبقى سوى فينيسيوس جونيور، لكن مهمته تبقى شبه مستحيلة، لحاجته لستة أهداف لمعادلة أهداف إيرلنغ، ويتبعه القائد المدريدي بأربعة أهداف فقط، كواحد من الأسماء الثقيلة، التي تحتاج معجزة من أجل الحصول على «البالون دور»، بسبب مشاكله مع لعنة الإصابة، وتأثيرها الكبير على مردوده البدني والفني مع الفريق في أغلب أوقات الموسم، باستثناء لحظاته الإبداعية السنوية في شهر رمضان، شأنه شأن مواطنه كيليان مبابي، الذي تبخر حلمه في تحقيق حلم «الكرة الذهبية» مرتين، الأولى لحظة الإخفاق في الاحتفاظ بالمونديال للمرة الثانية، والثانية بتوابع خيبة الأمل، تارة بصداع الانتكاسات العضلية، وتارة بالصدمات الباريسية المتتالية، بسلسلة النتائج المحطمة لآمال المشجعين، حتى بعد الخروج المبكر من إقصائيات دوري الأبطال أمام بايرن ميونيخ، آخرها السقوط بالثلاثة أمام لوريان في قلب «حديقة الأمراء»، وقبلها بشهر خرج من كأس فرنسا من دور الـ16 على يد الغريم الجنوبي مارسيليا.

الشاهد وما يصعب الجدال عليه، أنه باستعراض أبرز المرشحين المحتملين للقائمة المختصرة في تصويت «فرانس فوتبول»، لن نتفاجأ بأنهم متأخرون عن هالاند بمسافات ضوئية، والحديث مثلا عن الميغا ستار المصري محمد صلاح، الذي يبصم على واحد من أقل مواسمه مع ليفربول على مستوى تسجيل الأهداف في بطولته المفضلة البريميرليغ، بعدم كسر حاجز الـ20 هدفا في الربع الأخير، وهناك كذلك برونو فيرناندیز، وروبرت ليفاندوسكي، وهاري كاين، وفينيسيوس جونيور وكيفن دي بروين، هؤلاء بالكاد من سيتصدرون المشهد في قائمة العشرة الأوائل أو الأفضل، لكن السؤال الحقيقي، من يا ترى حافظ على مستواه وترك نفس تأثير اليافع الاسكندينافي على مدار الموسم؟

قولا واحدا: لا أحد، ويا حبذا لو جمع بين الأداء الفردي والإنجازات الجماعية في يونيو / حزيران المقبل، بقيادة السيتي لأول ثلاثية من هذا النوع في تاريخه، وهذا يتطلب عدم التنازل عن صدارة الدوري الإنكليزي الممتاز بأي ثمن، ثم افتراس الشياطين الحمر في نهائي الكأس، والأهم على الإطلاق ومفتاح تقدمه على ميسي والآخرين في الصراع على «البالون دور»، هو تجريد بطل أوروبا من لقبه في مواجهتي نصف نهائي ذات الأذنين، ويكون ختامه مسك مع المنتصر من حرب الشمال في إيطاليا بين ميلان وغريمه الأزلي الإنتر في الناحية الأخرى، أما غير ذلك، سيبقى تحت تهديد عظمة ميسي في هكذا مواعيد، كما حدث من قبل في العام 2019، باختياره للفوز بالجائزة على حساب قلب دفاع فيرجيل فان دايك، الذي توج في نفس العام بجائزة «ذا بيست»، كأفضل لاعب في العالم من قبل الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا)، نظير تأثيره الكبير في حصول ليفربول على دوري أبطال أوروبا، ومثله روبرت ليفاندوسكي، الذي اكتسح الأخضر واليابس مع ناديه السابق بايرن ميونيخ في حملة 2020–2021، بإنهاء الموسم وفي جعبته 48 هدفا في مختلف المسابقات، بخلاف ألقابه مع الزعيم البافاري، في المقابل كان ليو قد أنهى موسمه الأخير مع برشلونة في المرتبة الثالثة في جدول ترتيب أندية الليغا، والفوز بكأس الملك، لكن حصوله على كوبا أميريكا مع الأرجنتين، ساعده على الظفر بالجائزة السابعة في تاريخه، فهل سيتكرر نفس المشهد ويكون هالاند هو ضحية البالون دور الثامنة ليسي؟ أم أن المعايير الجديدة ستكون فارقة هذه المرة؟

هالاند أرعب المدافعين هذا الموسم

ميسي وزميله مبابي يتنافسان على الكرة الذهبية

هل تعمد ميسي شراء عداء باريس وجماهيره؟

لندن – «القدس العربي»:

أخذت أزمة الأعجوبة ليونيل ميسي، مع ناديه الفرنسي باريس سان جيرمان، منحى آخر في الأيام والساعات القليلة الماضية، وصلت الى حد دخول قوات الأمن في فرنسا على الخط، لتعزيز الحماية اللازمة لمنزل البرغوث في مدينة الموضة، تحسبا لخروج المتعصبين عن النص، أو بالأحرى حرصا على سلامته، بعد توتر علاقته بالجماهير الباريسية أكثر من أي وقت مضى، بسبب زيارته المفخخة الى المملكة العربية السعودية.

بداية الثورة

تضاربت الأنباء والأقاويل عن أسباب ثورة غضب مشجعي «بي إس جي» على البولغا الارجنتيني، ما بين أنباء تشير إلى أن قائد أبطال العالم، لم يبادر بشراء عداء النادي وجماهيره، على اعتبار أنه حصل على إذن من المسؤولين، لمغادرة الأراضي الفرنسية في رحلة سريعة إلى الشرق الأوسط، تحديدا إلى العاصمة الرياض، لتفعيل جزء من اتفاقه مع وزارة السياحة السعودية، للترويج للأماكن السياحية في المملكة، بصفته سفيرا للسياحة. وفي المقابل، تقول مصادر أخرى، إنه تعمد إيصال رسائله الاستفزازية الى الجميع في «حديقة الأمراء»، بالإصرار على رحلته الترويجية في هذا التوقيت، وعدم الانتظار الى نهاية ارتباطه الرسمي مع الفريق في مثل هذه الأيام من الشهر المقبل، ما تسبب بشكل أو بآخر في تسارع الأحداث وزيادة التوترات بين الطرفين الأسبوع الماضي، لا سيما بعد تسريب العقوبة الصارمة، التي صدق عليها رئيس النادي ناصر الخليفي، بتجميد أفضل لاعب في العالم 7 مرات من قبل لمدة لن تقل بأي حال من الأحوال عن أسبوعين، مع خصم راتبه بالكامل طوال هذه الفترة، ما فتح الباب على مصراعيه للتشكيك في رواية بقاء صاحب الـ36 عاما ضمن فريق الأحلام الى موسم آخر، تأكيدا على صحة ما كان يتردد في الأشهر الماضية، عن بطء مفاوضات تمديد عقده مع النادي الباريسي.

تجربة للنسيان

بوجه عام، يرى عالم كرة القدم أن التجربة لم تكن مفيدة أو مربحة لكلا الطرفين، أولا لعدم استفادة العملاق الباريسي من عظمة وحضور ميسي الطاغي، بظهوره على طول الخط بالنسخة التقليد (الصيني)، وليس الشعاع الذي كان يغطي مدينة برشلونة بأكملها طيلة السنوات الماضية، ربما لإخفاقه على التأقلم في الحياة بعيدا عن وطنه الثاني في شمال إسبانيا، وربما لظروف عدم الاستقرار والتوترات التي عصفت بغرفة خلع الملابس، أبرزها وأشهرها ما كان يُشاع عن خلافه شبه الدائم مع الفتى المدلل كيليان مبابي. ويكفي أنه في موسمه الأول، بصم على أسوأ معدل تهديفي في مسيرته الأسطورية، بتسجيل ما مجموعه 11 هدفا من مشاركته في 34 مباراة في مختلف المسابقات، منها 6 أهداف فقط على مستوى الدوري الفرنسي، مقابل 20 هدفا حتى اللحظة الفارقة في مشواره في موسمه الثاني، أغلبها في فترة ما قبل كأس العالم، وبين هذا وذاك، لم يحقق الهدف الرئيسي والمنشود، بتقديم يد العون الى المشروع في المباريات الحاسمة في إقصائيات دوري أبطال أوروبا، بل حدث العكس، بتمرس الفريق على الخروج من بداية مراحل خروج المغلوب، الأولى بالإقصاء على يد ريال مدريد في ثمن نهائي نسخة 2022، والثانية أمام بايرن ميونيخ هذا الموسم، وما زاد الطين بلة، وعجل بانتهاء شهر العسل بين ليو وأثرياء العاصمة الفرنسية، حالة الاسترخاء التي كان عليها بعد احتفالاته المستمرة حتى الآن بالتتويج بكأس العالم قطر، قبل أن تأتي رحلة الرياض التي قطعت شعرة معاوية مع المشجعين.

حلم العودة

لا يُخفى على أحد، أنه من قبل توتر علاقة ميسي بمشجعي باريس سان جيرمان، كانت الصحف والمواقع الرياضية العالمية، تتسابق في تحديث الاشاعات حول مستقبله الموسم المقبل، في مقدمتها الإعلام الكتالوني، الذي يتفنن في تخدير جماهير «كامب نو»، بالخطط الاقتصادية والاتصالات العاطفية وراء الكواليس، تمهيدا لإعادة الابن الضال إلى الإقليم المتمرد، لكن مع الاقتراب من لحظة الحقيقة، بدأت تتغير النغمة في «موندو ديبورتيفو» و«سبورت» وباقي المنصات المقربة من مكاتب إدارة البارسا، آخرها ما قيل عن مشقة المهمة على البرغوث، كونه سيضطر للتنازل عن 75% من أصل راتبه قبل مغادرته في صيفية 2021، أو كما انفردت «سبورت»، سيتعين عليه الموافقة على الحصول على راتب سنوي لا يزيد أبدا على 25 مليون يورو، وحتى إذا وافق، ستتبقى مهمة أخرى شبه مستحيلة أمام الرئيس جوان لابورتا ومجلسه المعاون، باقتطاع ما قيمته 200 مليون من نفس العملة من أجور اللاعبين، بالإضافة إلى 100 مليون أخرى من بيع أحد نجوم الفريق، وذلك لتجنب خرق قواعد اللعب المالي النظيف، في ما تعرف برسوم للامتثال للوائح الاتحاد الإسباني للعب المالي النظيف، وهذا يعكس مدى صعوبة حدوث السيناريو الذي يحلم به الصغير قبل الكبير في مدينة برشلونة، بعودة القائد والهداف التاريخي مرة أخرى، وبالتبعية يضاعف من فرص الطامعين الآخرين في الحصول على توقيعه بموجب قانون بوسمان مع حلول فصل الصيف.

عروض ووجهات محتملة

إذا أراد الاستمرار في أعلى مستوى تنافسي في أوروبا، فلن يجد في القارة العجوز أفضل من خيار لم الشمل بمدربه السابق ببب غواردیولا في مشروعه الضخم في مانشستر سيتي، منها سيضاعف من فرصه في تعزيز أرشيفه بمزيد من الألقاب الجماعية والجوائز الفردية الكبرى، ومنها لن يضطر لتقديم تنازلات مادية، بحصوله على راتب قريب مما كان يتقاضاه مع باريس سان جيرمان، لقوة المان سيتي المادية والشرائية، كواحد من القلائل القادرين على تلبية رغبات ليو في الدوريات الأوروبية الكبرى، مثل جار المدينة مانشستر يونايتد وغريم العاصمة تشلسي، أو تصدق صحة التقارير والروايات التي تتحدث عن توقف مشاريعه في أعلى مستوى تنافسي في المرحلة القادمة، لوصوله الى قمة التشبع والاكتفاء الكروي بعد تتويجه بكأس العالم، وهذا يعني أنه سيفاضل بين وجهتين لا ثالث لهما، إما السير على خطى المشاهير والنجوم الذين يتوجهون إلى الولايات المتحدة الأمريكية في خريف العمر الكروي، أمثال ريكاردو كاكا وغونزالو هيغوان وزلاتان إبراهيموفيتش، وقديما الراحل بيليه والآخر يوهان كرويف، وذلك استنادا إلى التقارير والتصريحات الرسمية التي تحدثت عن اهتمام مالك إنتر ميامي، الأسطورة ديفيد بيكهام، بالميغا ستار الأرجنتيني منذ فترة طويلة، آخرهم مدرب الفريق فل نيفل، مؤكدا بشكل لا لبس فيه في فبراير / شباط الماضي، صحة ما تردد عن رغبة الإدارة في اقتناء ميسي.

لكن واقعيا، يبقى الخيار الأكثر منطقية، في حال قرر الاستكفاء بما قدمه في الملاعب الأوروبية، هو إحياء الصراع الأزلي مع كريستيانو رونالدو في دوري روشن السعودي، وذلك بطبيعة الحال، لاستحالة مقاومة إغراء العرض، الذي قالت عنه «موندو ديبورتيفو»، إنه يفوق 10 أضعاف عرض برشلونة، بخلاف الامتيازات الأخرى التي سيتم الاتفاق عليها وراء الكواليس، أي أنها ستكون أكبر من مجرد صفقة في عالم كرة القدم، تماما كما حدث مع صاروخ ماديرا في صفقة انتقاله إلى النصر في سوق الانتقالات الشتوية الأخيرة، بل شراكة طويلة الأمد، ترتكز على فكرة منح النجم الكبير مبالغ خرافية تقدر بمئات الملايين، مقابل اتفاقيات للحصول على دعمه في حملات الترويج للمشاريع المستقبلية لمملكة النفط، بما في ذلك دعم الملف المحتمل لتنظيم كأس العالم 2030 في السعودية ومصر واليونان، وتأكيدا على صحة المعلومة، قالت شبكة «العربية» السعودية نصاً، إن ميسي الأب، تلقى بالفعل عرضا رسميا لنقل نجله إلى أحد كبار الدوري الأشهر في الشرق الأوسط، من دون الكشف عن أي تفاصيل أخرى، لكننا نعلم أن الحديث عن الهلال العاصمي، ردا على صفقة انتقال صاروخ ماديرا إلى أصحاب «مرسول بارك». فهل تنجح المفاوضات ويتجدد صراع ميسي ورونالدو في الدوري السعودي الموسم المقبل؟ هذا ما سنعرفه قريبا.

الأصلع الذي قلب «السخريات» الى «اسطوريات» في نابولي!

روما – «القدس العربي»:

لم تكن ليلة الخميس الماضي كغيرها من الليالي في مدينة نابولي، حيث عاشت احتفالات صاخبة لم تنته الى الآن بعد الإنجاز التاريخي، لكنها كانت ليلة عنت أكثر لرجل ظل خلف الستار في ظل توهج لاعبي نابولي هذا الموسم، حيث انتظر مدرب الفريق لوتشيانو سبالليتي الذي اعتاد على المنافسة في الدرجات الدنيا كلاعب والحلول وصيفا كمدرّب، حتى بلغ سن الـ64 ليكتب أخيرا اسمه من ذهب في سجلات كرة القدم الايطالية، بعد أن قاد نابولي الى لقب الدوري للمرة الأولى منذ العام 1990.

«لم أسافر أبدًا في درجة رجال الأعمال، دائما ما أوقف سيارة أوتو– ستوب»، قال الرجل المتحدر من إقليم توسكانا بعد الفوز الأخير على يوفنتوس، هو الذي بدأ مسيرته التدريبية قبل 30 عاما سبقتها 11 سنة على أرض الملعب. ويضيف الرجل الأصلع ذات الابتسامة الصغيرة والذي غالبا ما يرتدي بدلة رياضية حتى في ليالي دوري الأبطال: «غالبا ما سخروا مني لارتداء حذاء كرة قدم في المباريات (كمدرب). لكنني لم أنس كم عانيت من أجل الحصول على هذا الحذاء، عندما لم يكن لدي المال لأشتريه». وتابع: «أن أكون في موقع للفوز في السكوديتو هو مكافأة لكل التضحيات التي قدّمتها على مر السنين». وأصبح سبالليتي عن 64 عاما أكبر مدرب يتوج بطلاً لإيطاليا، محطما الرقم القياسي لماوريتسيو ساري المتوج في 2020 مع يوفنتوس عن 61 عاما.

علاقة سيئة

هذا اللقب هو الاغلى للوتشو، بعد 15 عاما من قيادته روما الى لقب كأس إيطاليا عامي 2007 و2008 والكأس السوبر الإيطالية (2007)، وبعد أكثر من عشر سنوات على قيادة زينيدين بطرسبرغ الى لقبي الدوري الروسي عامي 2010 و2012، خلال تجربته الوحيدة خارج بلاده. وارتبط اسم سبالليتي بالمركز الثاني الأبدي بعد أن حل مع روما وصيفا في الدوري أربع مرات. ولكنه ارتبط أيضا بالابتكار، بكرة قدم هجومية مع أندية متواضعة قبل أن يكشف عن نفسه من خلال قيادة أودينيزي ثلاث مرات متتالية إلى المسابقات الاوروبية بين 2002 و 2005. وكوفئ بالانتقال الى روما في العام 2005 حتى 2009 قبل أن ينتقل الى زينيت حتى 2014. وغاب عن التدريب موسمين وعاد الى العاصمة الايطالية في 2016.

وفي روما، يُنظر اليه على أنه الرجل الذي دفع الأسطورة فرانشيسكو توتي إلى الاعتزال في عام 2017، ما منح الجماهير شعور الضغينة تجاهه. أما في الإنتر الذي أشرف عليه بين 2019 و2019، لم تكن علاقته جيدة مع المهاجم الارجنتيني ماورو إيكاردي. وقبل انضمامه الى نابولي في صيف العام 2021، بدا سبالليتي وكأنه في مرحلة ما قبل التقاعد بعد انفصال غير سار مع الإنتر في 2019. منزعجا من إقالته رغم قيادته الفريق مرتين الى دوري الابطال، ولم يقدّم سبالليتي أي تنازل واستمر في تقاضي أجره بموجب العقد الذي مدّده مع نيراتزوري في 2018.

إرث مارادونا

ورفض سبالليتي العديد من العروض وفضل الاستفادة من الوقت مع عائلته، لعب الـ«بادل» وهي الرياضة التي يحبّ، وتفاخر بمجموعة قمصان أبرز اللاعبين التي جمعها خلال مسيرته كلاعب. لكن هذا العاشق للنبيذ الذي ينتجه أيضا بنفسه في توسكانا، عاد ليكتب إحدى أجمل القصص في كرة القدم الايطالية.

وفي نابولي، مع مجموعة من اللاعبين الشغوفين وفريق هجومي ممتع، تمكن من قيادة هذه الثورة في بلد اشتهرت كرته بالصلابة الدفاعية. ويقول المهاجم النيجيري فيكتور أوسيمين: «ساعدني كثيرا في التطور كمهاجم وكرجل». ولاقى نابولي إعجاب أوروبا والمدرب الاسباني بيب غواردیولا المعروف بدوره بكرته الهجومية، ولكن حتى أنصار نابولي الذين يرون أهمية تحقيق النجاح بطريقة جميلة، وفق سبالليتي ذاته.

حتى لو أنه لا تربطه أي صلة عائلية بالمدينة الجنوبية، تحدث سبا ليتي الذي عاش أكثر من عام في الفندق وفقا للصحافة، عن إرث الاسطورة الارجنتينية دييغو مارادونا الذي قاد الفريق الى لقبيه الوحيدين سابقا في 1987 و1990: «لقد فاز من خلال اللعب والجودة. نريد محاولة أن نكون مثله قدر الإمكان». ويعرف سبالليتي تماما ما يتحدّث عنه عندما يتكلم عن مارادونا، لقد أتيحت له الفرصة لرؤية كل ما يمكن أن يفعله الارجنتيني بالكرة عن كثب، وذلك خلال مباراة في كأس ايطاليا عام 1988 بين سيبتزيا الذي كان يلعب في صفوفه في الدرجة الثالثة ونابولي مارادونا.

خلدون الشيخ

أهلاً ميسي... وداعاً ميسي!

في عالم كرة القدم، عندما تكون منتصراً ومتألقاً، فما أجمل منها حياة، ولكن عندما يكون العكس هو الصحيح فكل زخرفة سقف البيت ستنهال على رأسك، وهو ما يكتشفه باريس سان جيرمان حالياً مع نجمه الارجنتيني ليونيل ميسي.

قبل عامين، عندما حارت الأقلام والعقول في تخمين من هو «المحظوظ» الذي سينال خدمات السوبر ستارز ميسي وشريكه في النجومية كريستيانو رونالدو، كان واضحاً أنهما يبحثان عن مكان هادئ ينعمان به بنفس قدر النجومية والهالة الاعلامية والتنافسية، لكن من دون مشقة السنوات الماضية، أو بمعنى آخر بدون مطالبتهما بالمزيد من الأرقام القياسية والعروض الخيالية والاهداف التعجيزية، حتى وان لم يذكرا هذا أبداً، فالسوبر ستار عندما يتخطى سن 33 عاماً، أسوأ سيناريو ممكن له ان ينضم الى فريق جديد يسعى الى البناء أو يكون في مرحلة انتقالية بعد معاناة، وينظر الى هذا النجم على أنه «المخلص»، فهكذا نظر مانشستر يونايتد الى رونالدو، وهو في مرحلة تخبط، فاخذق النجم البرتغالي في احياء نوستالجيا لأنصاره، لأن الزمن في الواقع لا يعود الى الوراء، والتاريخ لا يعيد نفسه في عالم كرة القدم. وفي حين كان ممكنا لرونالدو الذهاب الى الدوري الامريكي الأقل تطلباً، فانه اختار ثروة هائلة على اي اعتبار آخر، بانتقاله الى النصر السعودي، حيث عانى الأمرين في الامتار الأخيرة من عمر الدوري.

الأمر ذاته تكرر مع ميسي، فهو اختار ثروة هائلة، بانتقاله الى باريس، وحظي باستقبال الملوك، واستقبلته بحفاوة مئات الألوف من أنصار سان جيرمان، والتي وقف الكثير منها في الأيام الاخيرة متظاهرين أمام مقر النادي في بولوني–بيانكور للتعبير عن غضبهم حيال ما آلت إليه الأمور وتراجع أداء الفريق. وهتف المشجعون بعد 3 أيام من الخسارة أمام لوريان 1–3 في الدوري والتي كانت الثالثة لسان جيرمان في مبارياته الأربع الأخيرة على أرضه «سئمنا من المرتزقة! يجب طرد ميسي». كما تجمع قرابة 100 مشجع ارتدوا قمصانا سوداً أما منزل نيمار، الغائب عن الملاعب حتى نهاية الموسم الحالي جراء تعرضه لاصابة، في بوجيفال (إيفلين) وهم يرددون هتافات مسيئة «نيمار ارحل». وعلى خلفية هذه الأحداث، اتخذ سان جيرمان اجراءات لتعزيز الحماية، مع زيادة وجود حراس الأمن في مركز التدريب في «كان دي لوج» وأمام منازل نيمار وميسي وفيراتي «جميع المستهدفين» بهتافات معادية.

ميسي اعطى الانطباع بان الهدف من انتقاله الى باريس هو الترويج الى النادي، وتحقيق انتصارات سياسية وتسويقية أكثر، خصوصاً بعد نجاحات كبيرة لصورة النادي في الخارج، خصوصاً في شرق آسيا. كما سمح انتقال النجم الأرجنتيني بوصول رعاة جدد، وضمنت صورة علامته التجارية عمليات مربحة للنادي ومكّنت سان جيرمان من اتخاذ منعطف عالمي ايجابي، فبيع القمصان وعقود الدعاية والتغطية الإعلامية وارتفاع أسعار التذاكر، كلها عوامل ساهمت في زيادة دخل النادي.

لكن هذه النجاحات خارج الملعب، قابلتها اخفاقات في داخله، وهو ما قاد الى غضب عارم عند المشجعين، الذين سئموا معاملة النجوم والسوبر ستارز لناديهم على انه مرتع لنزواتهم ووجهة لقضاء اجازات سعيدة مع عائلاتهم مع ضمان مداخيل ورواتب عالية، فنيمار بالكاد يلعب في ربيع كل سنة منذ انتقاله الى النادي في 2017، في حين أظهر ميسي منذ تتويجه مع منتخب الأرجنتين بكأس العالم نهاية العام الماضي، وجهاً مختلفاً تماماً في باريس. ومع خيبات سان جيرمان هذا الموسم، بدا أنه فاقد الشهية في اللعب، فيمشي كثيراً وقليلاً ما يجري، ويخسر المواجهات والالتحامات الثنائية، وبعض مضات عبقريته القليلة لم تمح كل شيء. رغم ان الطموحات مع ميسي، كانت أن يسجّل سان جيرمان علامة فارقة في دوري الأبطال ويكسر العقدة ويحقق اللقب، لكن لا يزال النادي بعيداً مع إقصائين متتاليين من ثمن النهائي، ويبدو أقرب إلى الانحدار منه إلى التطوّر. ومنذ العودة من كأس العالم، أقصي سان جيرمان من دوري الأبطال، وكأس فرنسا أمام مارسيليا، إضافة إلى سلسلة هزائم في الدوري ضد دين وليون ومؤخراً ضد لوريان. وتزامنت تلك النتائج السيئة مع تراجع أداء ميسي في الملعب، فسدد أقل على المرمى، وركز أقل في التسديد، ولس عدد أقل من الكرات خصوصاً في منطقة الجزاء منذ مونديال قطر. فقبل المونديال، سجّل 12 هدفاً و14 تمريرة حاسمة في 19 مباراة. وبعده، سجل 3 أهداف وتمريرة واحدة حاسمة.

ميسي اعتذر على رحلته الى السعودية من دون اذن مسبق من ناديه، لكن الأنكى ان اعتذاره الذي جاء عبر تسجيل فيديو في حسابه على «انستغرام»، كان فقط لناديه ولزملائه، ولم يذكر قط الجماهير التي يعضون أصابع الندم، على لحظات اعتقدوا فيها أن قلوب النجوم تنبض عشقاً لهم ولأندیتهم، كعشقها لروابتهم ومداخيلهم، لكن في نهاية المطاف وبكل بساطة ستصبح الجماهير، وداعا ميسي، مثلما قالوا أهلا ميسي، من دون أن تشعر بأي فارق في حياتها.

@KhaldounElcheik

مجتمع

الفقر يدفع اللبنانيين لتجارة الخردة

عبد معروف

دفع ارتفاع حالات الفقر والبطالة اللبنانيين لتجارة الخردة والأواني والأدوات المستعملة، وجمع العملة المعدنية وبيعها في محاولة للتغلب على مصاعب الحياة وتأمين لقمة العيش من طعام وأدوية لأسرهم وأطفالهم.

فقد ارتفعت نسبة الفقر وتضاعف عدد المهاجرين بطرق شرعية وغير شرعية من لبنان، بسبب حالة الانهيار المالي والاقتصادي العام، وحالة الاستعصاء السياسي والتوترات الأمنية التي تشهدها البلاد.

ولم يعد يتردّد كُثر من اللبنانيين عن بيع أي شيء يمكن أن يردّ عليهم مبالغ ولو بسيطة لتأمين لقمة العيش لهم ولعائلاتهم، مع تزايد نسب الفقر إلى مستويات هائلة. وحسب آخر تقييم لمنظمة يونيسف فإن 84 في المئة من الأسر لا تملك ما يكفي من المال لتغطية ضروريات الحياة (خبز، دواء، أقساط المدارس، مواصلات، ... إلخ).

لا أحد يعرف تاريخا محدّدا لمهنة جمع وبيع الخردة في لبنان، إلا أنه من المؤكد ان هذه المهنة التي تنامى دورها مؤخرا، راجت بعد الحرب الأهلية وتطورت مع الحروب المتتالية التي شهدها لبنان ولم تتوقف مع عودة الأمن والاستقرار بسبب الأزمات الاقتصادية والمعيشية التي تزرح تحت وطأتها شريحة كبيرة من المواطنين، فضلا عن تحولها إلى مهنة ثابتة للكثيرين ممن لفظهم سوق العمل المحلي ولم يجدوا مكانا بديلا لهم.

هذه المهنة يعتبرها البعض أشبه بتجارة الذهب، بالنسبة للذين حولوها إلى تجارة عابرة للحدود، فغدت مصدرا يدر عليهم أموالا طائلة ويوفر فرصا عديدة للعمل في مجال جمع الخردة على أنواعها وفرزها وتوضيبها.

تحولت الأنظار إلى جمع وبيع الخردة في الفترة الأخيرة، خصوصا مع اكتظاظ النفايات في الشوارع ولجوء عدد من السكان إلى البحث داخلها عما يُباع. تبدأ عملية جمع الخردة بالنسبة لأحد المواطنين اللبنانيين عند الخامسة صباحاً وتنتهي الرابعة عصراً في مكان يطلق عليه اسم «البورة»، وهناك تتقاطع الأصوات، حيث حركة العمال التي لا تهدأ. يفرزون القطع، كل صنف على حدة. داخل «البورة» تتعرف إلى نمط جديد من حياة اللبناني.

وغالباً ما تجد قطعاً نادرة استخف أصحابها بها، يقول سلمان: «في إحدى المرات رمت إحدى السيدات فانوساً قديماً مزخرفاً وبعض القطع القديمة، فبعتها لهاو بمئتي دولار».

وقال حمزة من الضاحية الجنوبية من بيروت، أنه يجمع الخردة من بقايا الحديد والنحاس والألنيوم، حيث يجدها قرب مكبات النفايات وعلى جانبي الطرقات، ويعمل على بيعها لتجار كبار، يعملون على تذويبها وتصنيعها مجددا.

ويؤكد حمزة لـ«القدس العربي» أنه يكسب من وراء هذه التجارة مبالغ لا بأس بها تمكنه من تأمين لقمة العيش لأولاده والدواء لأمه المريضة.

وعن السبب الذي أدى به لهذا العمل، أضاف، «ارتفعت نسبة البطالة ولم نعد نجد فرص عمل بعد الانهيار الاقتصادي وإقفال مئات إن لم نقل آلاف المؤسسات التجارية أبوابها، حياة صعبة وقاسية في لبنان، ما دفعنا لاتباع هذه الطريق لتأمين لقمة العيش والدواء لأولادنا».

وفي منطقة الرملة البيضاء في بيروت، شاب يبحث في مستودعات للنفايات عن أدوات وقطع معدنية أو كما يطلق عليها (خردة) سألته «القدس العربي»: ما هي الخردة؟ أجاب، الخردة هي أواني المطبخ وقطع من السيارات والبرادات والغسالات والأدوات المصنوعة من معدن، سواء أكان من حديد، نحاس، ألمنيوم، زنك، كلها تسمى خردة.

وقال، نحن الفقراء نجمع الخردة التي القيت على جوانب شوارع المدن، وفي النفايات، والمناطق الصناعية ونبيعها مقابل مبالغ مالية بسيطة لتجار كبار. وأكد أنه حاول السفر لكن محاولاته فشلت ولم يجد أمامه إلا جمع وبيع الخردة.

وفي ظل الأزمة التي يعيشها اللبنانيون جراء تدهور العملة الوطنية أضحت القطع النقدية المعدنية من فئة 500 ليرة لبنانية وفئة 250 دون قيمة فعلية في عمليات البيع والشراء. وكانت العملة المعدنية قبل الأزمة تشتري العديد من الحاجيات الضرورية الصغيرة للاستعمال اليومي، وقيمتها توازي ثلث دولار أمريكي، أما اليوم فقد صارت هدفا للجمع من قبل هواة جمع العملات.

ظاهرة جديدة انتشرت بين اللبنانيين كنتيجة حتمية للأزمة بعد انهيار الليرة، حيث تحول بيع العملة المعدنية من فئتي 250 و500 ليرة إلى تجارة مربحة.

العملة المعدنية من فئة 250 ليرة، التي يبلغ وزنها أكثر من 5 غرامات تتكون من 3 معادن، وهي النحاس والألمنيوم والزنك، وبعد ان فقدت قيمتها كعملة صعدت قيمتها كمعدن.

أما العملة النقدية المعدنية من فئة 500 وزنها 6 غرامات مصنوعة بشكل أساسي من معدني النيكل والستيل، هي الأخرى مطلوبة، ويعمد البعض إلى تجميع تلك العملات المعروفة بـ«الفراطة» لبيعها وبلغ وزن كل 100 قطعة نصف كيلو غرام تقريباً. وغالباً ما يشتري التجار هذه العملات المعدنية ويقومون بصهرها وبيعها كمادة أولية تستخدم في الصناعة.

يقول الخبير المصرفي الدكتور ابراهيم حمود لـ«القدس العربي» إن «العملة المعدنية اللبنانية باتت قيمتها المعدنية أكبر من قيمتها النقدية، فمنع انهيار الليرة يلجأ البعض لشراء العملات المعدنية المصنوعة بمادة النيكل والنحاس والتي هي من فئة 500 و250 ليرة ليبيعها فيما بعد كخردة معدنية يعاد تذويبها ليكون المردود بالدولار الأمريكي».

وأكد حمود مع الانهيار المستمر بقيمتها الشرائية، قد يشهد مع الأيام المقبلة، انعداماً تاماً لوجود هذه القطع المعدنية في الأسواق، لأنه ببساطة سيكون مصيرها الصهر والتذويب وإعادة التصنيع.

وقال ردا على سؤال «بعد فقدان القطع المعدنية اللبنانية قيمتها كلّيًا بسبب تدهور العملة الوطنية وتراجعها من 1500 ليرة للدولار الواحد إلى أكثر من 40000 ليرة للدولار (وهو سعر معرّض للتغيّر يومياً) بات بالإمكان التعامل بها لكن بطريقة أخرى. فقطع 500 و250 ليرة وحتى 100 و50 ليرة التي لم تكن ذات قدرة شرائية كبيرة من تاريخ إطلاقها، بات لأوزانها اليوم قيمة تفوق أضعاف قيمتها الشرائية، بمعنى أن المعدن الذي صُنعت منه قطعة الـ250 ليرة المعدنية يُباع بالوزن لا بالقيمة الشرائية للعملة».

وعادة ما تتم صناعة العملات المعدنية في كل دول العالم من النحاس والنيكل والحديد وأحياناً القصدير والألنيوم، ما يجعل من قيمة المعدن المصنوعة منه العملة أكبر من قيمتها الشرائية في بلد يتعرّض لانهيار عملته الوطنية كلبنان.

«لا يزيد وزن قطعة 250 ليرة المعدنية في لبنان عن 5 غرامات، لكن وبما أنها مصنوعة من النحاس والألنيوم والزنك فإن قيمة الكيلو منها يفوق 30 دولارا، أما القطعة المعدنية من فئة 500 ليرة فيفوق وزنها الـ250 ليرة أي نحو 6 غرامات وهي مصنوعة من النيكل ولا تحتوي على النحاس، وبالتالي فلا تلقى تجارتها إقبالا كبيرا بين جامعي النقود المعدنية. لكن وعلى الرغم من ذلك يتاجر البعض بفئة 500 ليرة لأن قيمتها الشرائية تبقى أقل كثيراً من قيمتها المعدنية وإن كانت مصنوعة من النيكل. ويقارب سعر الكيلو منها نحو 20 دولارا».

وهناك لبنانيون بدأوا يجمعون القطع المعدنية لبيعها، ومن الواضح أنها ليست تجارة فردية، بل هناك مجموعات منظمة قادرة على جمع كميات كبيرة من القطع النقدية المعدنية، من أجل تذويبها وإعادة تصنيعها مجددا.

بعد الانهيار المالي والاقتصادي العام في لبنان، ازدهرت مهن وأعمال لم تكن لها قيمة إنتاجية، وأبرز هذه المهن اليوم تجارة الخردة، والعملة المعدنية، حيث انصرف عدد من الفقراء، للبحث عن أدوات معدنية وبقايا الأواني والسيارات لجمعها وبيعها لتجار كبار.

كيكة الباستا فلورا

المكونات

نصف كيلو دقيق
ربع كيلو سكر
نصف كيلو سمن
4 بيضات
ملعقة كبيرة بيكينغ باودر
ملعقة صغيرة فانيليا
ربع كيلو مربى فراولة

طريقة التحضير

نحضر وعاء ونضع السمن والزبدة مع السكر ونضربها بالمضرب الكهربائي جيداً.

نضيف البيض والفانيليا ونخفقها جيداً، ثم نضع الدقيق والبيكينغ باودر إلى الخليط ونقلّب جيداً حتى تتكون عجينة متماسكة.

نحتفظ بقليل من العجين ونتركها جانباً.

نحضر صينية مدهونة بالزبدة والقليل من الدقيق ونسكب العجينة ثم نضع المربى فوق العجينة ونفردها جيداً.

نصنع صوابع طولية من العجينة ونضعها بالطول وبالعرض على المربى.

ندخل الصينية الفرن على درجة حرارة 180 درجة لمدة 30 دقيقة حتى تصبح ذهبية اللون ثم نخرجها من الفرن ونقدّمها في طبق التقديم.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

تجنب هذه الأطعمة للحفاظ على صحة العظام

يعد الحفاظ على صحة العظام من الأمور الضرورية جدا للتمتع بصحة جيدة والابتعاد عن خطر الإصابة ببعض الأمراض مثل هشاشة العظام. مجموعة من الأطعمة يجب تجنبها للحفاظ على صحة العظام.

وخلال مرحلة الطفولة، سمع الكثير منا عن أهمية تناول المواد الغنية بالكالسيوم من أجل الحفاظ على صحة عظامنا، لكن مع تقدمنا في السن يدرك بعضنا أن نصائح الطفولة تلاشت مع مرور الوقت، وأصبح اتباع بعض العادات الغذائية السيئة هو الأمر الشائع.

ويتسبب تناول بعض الأطعمة بشكل يومي في ضرر بالغ على صحة العظام، وقد تتطور الأمور إلى الأسوأ ويصاب الشخص بمرض هشاشة العظام الخطير. وتشير مجلة «فيت فور فان» إلى أن هناك مجموعة من الأطعمة التي يجب الابتعاد عنها من أجل حماية العظام.

السكر: لا شك أن الكل منا تقريبا يعرف أن السكر غير صحي أبدا، ولديه تأثيرات سلبية على الجسم. ويتسبب السكر بضرر خاص للعظام لأنه يسرق الكالسيوم والمغنيسيوم من العظام، ويعطل التمثيل الغذائي لفيتامين د، وهو ما يزيد خطر الإصابة بهشاشة العظام.

القهوة: شرب القهوة من الأمور الضرورية في حياة الكثير من الناس، لاسيما في فترة الصباح. إلا أنه يجب شرب القهوة بكيفية معتدلة في حال أراد الشخص الحفاظ على صحة عظامه. ويؤدي الكافيين إلى منع امتصاص الكالسيوم ما يؤثر على صحة العظام. لذلك يعد الكافيين ضارا بصحة العظام، خاصة عندما يقترن بالسكر، حسب مجلة «فيت فور فان».

أطعمة تحتوي على حمض الأكساليك: يوجد حمض الأكساليك في العديد من الأطعمة. ويشكل هذا الحمض مع الكالسيوم معقدات غير قابلة للذوبان، حيث تفرز عبر الأمعاء وتمنع امتصاص الكالسيوم. ومن بين الأطعمة التي تحتوي على نسبة عالية مع حمض الأكساليك هناك: السبانخ، اللوز، الشوكولاتة وعشبة الرواند.

الكولا: أيضا، شرب الكولا من الأمور المضرة بصحة العظام ليس فقط بسبب ما تحتويه من سكر وكافيين، بل أيضا من فوسفات، والذي يمنع امتصاص الكالسيوم في الجسم. وأظهرت دراسة سابقة أن شرب الكولا بشكل يومي قلل من كثافة العظام في الوركين، لاسيما بالنسبة للنساء. فضلا عن خطر حدوث كسر في عنق عظم الفخذ، وفق نفس المصدر الألماني.

السجائر والكحول: يشكل هذا الثنائي الضار جدا بالصحة خطرا على صحة العظام، إذ يضعفان امتصاص الكالسيوم، ولهما تأثير سلبي على التمثيل الغذائي لفيتامين د. ويقلل التدخين من مستويات هرمون الأستروجين، وهو أمر بالغ الأهمية لصحة العظام، حسب مجلة «فيت فور فان».

نصائح للحفاظ على صحة العظام

من جهة أخرى، يمكن اتباع مجموعة من الخطوات للحفاظ على صحة العظام، والتقليل من خطر الإصابة بمرض هشاشة العظام، حسب ما أورده موقع جامعة زيوريخ السويسرية.

الحركة وممارسة الرياضة لأن الإجهاد الناتج عن الركض وممارسة الرياضة يحفز نمو العظام. وينصح بممارسة الرياضة حتى مع التقدم بالسن والمشي لمسافات طويلة.

كما يجب الاعتماد على نظام صحي غني بالكالسيوم والبروتين المغذي بشكل كبير في بناء العظام والعضلات القوية للحفاظ عليها. وينصح بتناول اللحوم، الخضروات والفواكه، منتجات الألبان، المكسرات والبقوليات.

وأيضا، قضاء بعض الوقت تحت أشعة الشمس لأنها تزود الجسم بفيتامين «د» المهم جدا لصحة العظام، حسب نفس الموقع. (dw)

الحمل

تكون موضع ثناء في الأيام المقبلة

الثور

سوء فهمك يجلب لك مشاكل

الجوزاء

مارس هواياتك التي تريحك نفسياً

السرطان

من الممكن أن تزيد مسؤولياتك بالعمل

الاسد

لديك رغبة في القيام بعمل مختلف

العذراء

يمكنك طلب النصيحة من الآخرين

الميزان

الأمور أكثر سهولة مما كنت تتوقع

العقرب

وضعك الصحي أكثر من جيد

القوس

لا تحاول استفزاز الشريك

الجدي

لا تدخل بمتاهة التفاصيل

الدلو

كن منطقيا في طريقة تفكيرك

الحوت

أحلامك كبيرة جداً

جديد الطب

تفعيل جهاز اليقظة في الجزائر بعد رصد حالات سل وسط الرعايا الأفارقة

الجزائر ـ «القدس العربي»:

أعلنت السلطات الجزائرية اكتشاف حالات سل وسط الرعايا الأفارقة المقيمين في الجزائر بطريقة غير نظامية، وكشفت عن تفعيل جهاز اليقظة للتصدي لانتشار هذا المرض المعدي.

وقال ديوان ولاية الجزائر العاصمة، في برقية مستعجلة موجهة للمصالح الصحية والوقائية، إن معلومات وردت إليها تفيد بتسجيل تزايد في انتشار مرض السل في وسط الرعايا الأفارقة المقيمين فوق التراب الوطني بطريقة غير شرعية، حيث تم رصد حالات مشتبه في إصابتها على مستوى المؤسسة العمومية للصحة الجوارية بمدينة الأبرياء جنوب غرب العاصمة، مع تسجيل «رفض المصابين التحويل نحو المؤسسات الإستشفائية من أجل الخضوع للعلاج».

وأشارت مصالح الولاية، إلى تواجد رعايا أفارقة مقيمين بطريقة غير شرعية بمنطقة السابع الواقعة بوادي الجمعة في الحدود الإقليمية لكل من بلديات الأربعاء أولاد سلامة وبلدية سيدي موسى (بلديات تقع بين ولايتي الجزائر والبليدة) حيث يبيتون في بيوت بلاستيكية تتوسط نفايات منزلية وهامدة وينتشرون صباحا للتسول والعمل لدى الخواص.

وطلبت سلطات الجزائر العاصمة بناء على ذلك من مدير الصحة بالولاية «تعزيز جهاز اليقظة والإنذار المبكر بالتنسيق مع المؤسسات التابعة لقطاع الصحة» وذلك لاستباق ظهور أي حالات جديدة ومنع تفشي العدوى. كما وجّهت الوالي المنتدب بإرسال تقرير عن الوضعية والسهر على اتخاذ كل التدابير الوقائية ومتابعة التكفل الطبي بالإصابات على مستوى المؤسسات الصحية تكثيف عمليات التلقيح». ودعت مدير الحماية المدنية، الدفاع المدني في أهبة الاستعداد للتدخل عند الاقتضاء لتحويل المصابين.

وينتشر اللاجئون الأفارقة الذين نزحوا بسبب الفقر والحروب خاصة بعد أزمة منطقة الساحل، في المدن الكبرى الجزائرية، بعضهم يمارس أنشطة وآخرون يمتهنون التسول.

وباتت الجزائر في السنوات الأخيرة بلد استقبال ومقصدا للمهاجرين الأفارقة الذين يبحثون عن فرص عمل خاصة في قطاع الإنشاءات والفلاحة، بعدما كانت قبل ذلك بلد عبور نحو أوربا.

علماء يتوصلون إلى طريقة لقراءة الأفكار في عقل الإنسان بواسطة الذكاء الاصطناعي

لندن ـ «القدس العربي»:

تمكن علماء أمريكيون من تطوير تقنية خارقة يمكنها قراءة أفكار الإنسان في دماغه وكتابتها مباشرة، وتعتمد هذه التقنية على تكنولوجيا «الذكاء الاصطناعي» التي تثير الكثير من الجدل حالياً بسبب المخاوف من أن تتفوق على الإنسان وتخرج عن سيطرته.

وقال تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية واطلعت عليه «القدس العربي» إنه يمكن لتكنولوجيا قراءة الأفكار الآن نسخ أفكار الأشخاص في الوقت الفعلي بناءً على تدفق الدم في أدمغتهم.

ووضعت دراسة ثلاثة أشخاص في أجهزة التصوير بالرنين المغناطيسي وجعلتهم يستمعون إلى القصص، ومن ثم تم التوصل إلى هذه النتائج المذهلة.

ويدعي الباحثون لأول مرة أنهم أنتجوا نصاً متداولاً لأفكار الناس، وليس مجرد كلمات أو جمل مفردة، وذلك دون استخدام غرسة دماغية، وإنما فقط بمجرد إجراء المسح للدماغ وتحليله بواسطة التقنية التي تعتمد على «الذكاء الاصطناعي».

ولم تقم تقنية قراءة الأفكار بتكرار القصص تماماً، ولكنها استحوذت على النقاط الرئيسية.

ويثير هذا الاختراق مخاوف بشأن «الخصوصية العقلية» حيث يمكن أن يكون الخطوة الأولى في التمكن من التنصت على أفكار الآخرين.

وباستخدام تقنية مشابهة لتلك التي يستخدمها برنامج «تشات جي بي تي» فسرت التقنية أيضاً ما كان يراه الناس عندما شاهدوا أفلاماً صامتة، أو أفكارهم كما تخيلوا رواية قصة.

لكن الباحثين أشاروا إلى أن الأمر مألوفة نسبياً، حيث هذه المرة الأولى التي يتحدث فيها العلماء عن طريقة لقراءة الأفكار دون استخدام أي نوع من زراعة الدماغ، وبحيث لا تكون هناك حاجة لعملية جراحية.

ويقول تقرير «دايلي ميل» إنه في حين يتطلب الأمر حالياً جهازاً ضخماً ومكلفاً للتصوير بالرنين المغناطيسي، فقد يرتدي الأشخاص في المستقبل رقعاً على رؤوسهم تستخدم موجات من الضوء لاختراق الدماغ وتوفير معلومات عن تدفق الدم، وقد يسمح هذا باكتشاف أفكار الأشخاص أثناء تدفقها.

واستخدمت الدراسة الجديدة «وحدة فك ترميز» تضم نموذجاً حاسوبياً لتفسير نشاط دماغ الأشخاص وتكنولوجيا معالجة اللغة للمساعدة في إنشاء كلمات محتملة. وبعد ساعات من التدريب، تمكنت وحدة فك التشفير من التقاط ما كان يفكر فيه الناس نصف الوقت.

وهذا يعني أنه أنتج نصاً يطابق بشكل وثيق، وأحياناً تماماً، الكلمات التي كان الناس يستمعون إليها ويعملون على ذلك باستخدام نشاطهم العقلي فقط.

وعلى سبيل المثال، شخص يستمع إلى متحدث يقول «ليس لدي رخصة قيادة حتى الآن» تمت ترجمة أفكاره على أنها «لم تبدأ حتى في تعلم القيادة بعد».

ويقول الباحثون إن هذا الاختراق يمكن أن يساعد الأشخاص الذين لديهم وعي عقلي ولكن غير قادرين على الكلام، مثل ضحايا السكتة الدماغية أو المصابين بمرض العصبون الحركي.

وتقوم هذه التقنية الجديدة باكتشاف النشاط في مناطق تكوين اللغة في الدماغ، على عكس التقنيات الأخرى الماثلة التي تكتشف عادةً كيف يتخيل شخص ما تحريك فمه لتكوين كلمات محددة.

وقال الدكتور الكسندر هوث، كبير مؤلفي الدراسة من جامعة تكساس في أوستن: «لقد صدمنا نوعاً ما لأن هذا يعمل بشكل جيد.. هذه مشكلة أعمل عليها منذ 15 عاماً». وأضاف: «بالنسبة لطريقة غير جراحية، فهذه قفزة حقيقية إلى الأمام مقارنة بما تم القيام به من قبل، والذي عادة ما يكون عبارة عن كلمات مفردة أو جمل قصيرة».

وفيما يتعلق بالمخاوف من إمكانية استخدام التكنولوجيا على شخص ما دون علمه، مثل نظام استبدادي يستجوب السجناء السياسيين أو يتجسس صاحب العمل على الموظفين، يقول الباحثون إن النظام لا يمكنه قراءة أفكار الفرد إلا بعد تدريبه على أنماط تفكيره، لذلك لا يمكن تطبيقه على شخص ما سراً.

وقال الدكتور هوث: «إذا كان الناس لا يريدون فك تشفير شيء من أدمغتهم، فيمكنهم التحكم في ذلك باستخدام إدراكهم فقط.. يمكنهم التفكير في أشياء أخرى ثم ينهار كل شيء».

منوعات

«النار بالنار» نقل حديث الناس ووضع العنصرية اللبنانية تحت المجهر

طارق تميم: لعبت على إنسانية جميل وطيبته ومحمد عبد العزيز مخرج جدي وسلس

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

«النار بالنار» مسلسل درامي تمكّن في شهر رمضان من حصد نسبة مشاهدة عالية. مسلسل لبناني سوري مشترك سلّط الضوء على العلاقات بين الشعبين اللبناني والسوري، خاصة مرحلة النزوح المستمرة منذ بدء الحرب في سوريا سنة 2011. مع هذا المسلسل الذي شكّل النجوم الرجال بطولته كان الترقّب للتالي سيد الموقف. المشاهد على الشاشة كما الناس في الشارع، كانوا أمام أسئلة كثيرة مضمرة وعلنية عن النزوح السوري إلى لبنان. لكنّ المسلسل يعود ببعض مفاصله إلى مرحلة الوجود السوري العسكري في لبنان، وما تركه من آثار خاصة ما يتعلق بالمخطوفين والمختفين.

أثار المسلسل جدلاً وتعليقات كثيرة على مختلف مستوياته، وشخصية جميل التي جسّدها الممثل القدير طارق تميم تركت ردود فعل مستنكرة. فقد كان اليساري المنغمس في لعب الميسر حتى أذنيه. لكنه كان طيباً وإنسانياً، ومنكسراً بعد أن فقدت الثورة التي شارك فيها توازنها وانهارت.

«النار بالنار» من كتابة رامي كوسا وإخراج محمد عبد العزيز، وتمثيل نخبة مميزة من النجوم اللبنانيين والسوريين. مع طارق تميم هذا الحوار:

○ لماذا جذبتك شخصية جميل في مسلسل «النار بالنار» بعد سبع سنوات من الانقطاع عن شاشة التلفزيون؟

● اخترت التوقف عن التمثيل في الدراما التلفزيونية، واكتفيت بالعمل في المسرح والسينما. بعد سبع سنوات على هذا القرار تلقيت اتصالاً للمشاركة بمسلسل «النار بالنار». تذرّعت أولاً بقرار الامتناع، لكني وجدت ما يشدّني بدءاً من شركة الصيّاح للإنتاج، ومن ثمّ اختياري من قبل المخرج بالإسم. تمّ اللقاء التعارفي مع المخرج محمد عبد العزيز، وسريعاً سرت بيننا كيمياء فنية مشتركة. محمد عبد العزيز معروف سينمائياً بالنسبة لي، سلّمني النص وعلقت بالشخصية، خاصة وأني أدرك أنه سيقدمه للمشاهد بأسلوب سينمائي. شعرت بتشابه بيني وبين «جميل» وبأني سأتمكن من إعطاء الشخصية ما تحتاجه وزيادة.

○ ما هي حدود الشبه بينك وبين الرجل اليساري الذي ينهزم رويداً رويداً في المسلسل؟

● يشبهني بيساريته، وبطيبته، وإنسانيته وانكساره.

○ لكنّ «جميل» نموذج غير إيجابي لليساري خاصة معاقرة القمار؟

● صحيح. نحن لسنا بصدد الإنسان الشيوعي أو اليسار بشكله العام. في إحدى حلقات العقل زينة لزياد الرحباني يقول «بعرف واحدة بتكسر السوق الأوروبية المشتركة بخرجيتها... ويسارية». قرأت عن مواقف متسائلة من قبل اليسار اللبناني عن ماهية كتابة دور «جميل اليساري» وفق هذا المنحى؟ ولماذا هذا التنميط؟ خاصة بعد جملة في النص يرددها جميل «شو باقي من اليسار غير بطحة العرق»؟ إضافة إلى جملة أخرى «ما اليساريي نصن سكرجية ونصن قمرجية». وهذا ما أوقد الاعتراضات. في الواقع جميل حالة فردية في المجتمع، تشبه تماماً الكاراكتيرات التي نلعبها فيما يخص مكونات لبنان من طوائف. وأي كاراكتير لهذه الطوائف لا يدعو مطلقاً للتعميم. إذاً نحن حيال كاراكتير يساري صدف أنه يلعب القمار.

○ وهل اليسار وحده منكسر في لبنان؟

● المختلف أن جميل منكسر حتى من اليسار. منكسر من الممارسات، ومن وطن ينحدر هبوطاً أمام ناظريه. منكسر مما وصل إليه الحال. من جهتي كممثل تعمّقت بهذه الشخصية وبنيت لها خلفية لأتمكن من التحليق معها ومنحها ما تستحقه. في خلفية جميل أنه كان مواظباً على المشاركة بالثورة. ووجد فيها الأمل بعد انكسار طويل. كان برفقة زوجته وبعد أيام من البهجة بهذه الثورة راح يراقب تحولها وانقلابها على ذاتها، ودخول سوسة التلوث إليها. إذا بعد الثورة دخل جميل في الإنكسار التام، لكنه بقي على إنسانيته ومبادئه الأساسية ويساريته.

○ هل أتعبك جميل في مكان ما؟

● هو التعب اللذيذ نعم. تقصدت أن لا أكون في كاراكتير مصمم مسبقاً. أديت جميل كما أنا وعلى طبيعتي. في جزء كبير من هذه الشخصية كان طارق تميم نفسه. لعبت على إنسانية جميل، وعلى طيبته وعلى تلقائيته وطبيعيته. أديت الدور وكأني أسمع أو أقول ما أقوله للمرة الأولى، والهدف تحقيق مشهد طبيعي بقدر المستطاع. ثمة جمل قلتها ليست موجودة في النص. كافة الممثلين استمدوا الروح والقوة من المخرج، الذي استبق التصوير بالعديد من جلسات العمل والقراءات المشتركة للنص. وهذا ما ساهم بضبط النص بين لهجة لبنانية وأخرى سورية. المخرج محمد عبد العزيز جدي وسلس ويتحاور مع الممثلين.

○ ما هو الدور الذي كان مرجحاً أن يلعبه حمل قمر في حياة جميل؟ وهل يشبه حملها الكاذب حال الثورة في لبنان؟

● عندما فشلت قمر في إيقاف جميل عن لعب القمار بعد محاولات متعددة، فكّرت بأن وضعه أمام الأمر الواقع قد يلعب دوراً مساعداً، فقالت له أنا حامل. حاول التهرّب وطلب إسقاط الجنين. توترت الأجواء بينهما، ضربته بكفها ذات اليمين وذات اليسار، لكنه امتنع عن مد يده عليها رغم استعداده لذلك. هذا الشجار العنفي بدّل العلاقة بين قمر وجميل، وبقي رافضاً للطفل.

○ وبنهاية المطاف قبل به وباع كليته لتأمين المال للولادة؟

● نعم. وكاد ينهار حين أخبرته أنها اختارت اسم والدته زهرة للطفلة. لقد بكيت حقيقة في هذا المشهد.

○ النار بالنار هو المسلسل الأول الذي يناقش النزوح السوري مباشرة. هل شكل زمن 11 سنة من عمر النزوح ما يكفي لمعالجته بموضوعية؟

● كاتب السيناريو رامي كوسا يعرف تماماً الحياة في لبنان، ومطّلع على موضوع النزوح السوري ومواقف اللبنانيين منه. ولا شك أن عنصرية بعض اللبنانيين تهزّ السوريين، تماماً كما قد تهزّنا أية عنصرية تمارس ضدنا. الحي الذي جرت فيه أحداث المسلسل يضمّ نازحين سوريين ولبنانيين، يعيشون معاً فقراً مدقعاً. ومن خلال لقطات سينمائية نفذها المخرج ظهر قاع المكان، وأحياؤه الفقيرة. المهم أن انطلاق الشرارة بدأ مع يافطة رفعها «عزيز» جورج خباز تقول بمنع تجول السوريين بدءاً من ساعات المساء الأولى. بالتأكيد ليست اليافطة وحدها هي السبب، بل تراكمات العنصرية جعلتها الشرارة.

○ لماذا برأيك استنكر المشاهدون سيطرة عمران «عابد فهد» كسوري على الكبيرة والصغيرة في هذا الحي؟

● لقد فات المشاهدين في الحلقات الأولى للمسلسل أن عمران الذي يعيش في لبنان منذ أكثر من 30 سنة نال الجنسية في المرسوم الذي صدر سنة 1994. عمران هو الحرامي والمرابي وأكثر من ذلك، لكنه يرفض المساومة على أمن الوطن. وكانت مواقفه واضحة تماماً خلال المسلسل. لم يترك عمران موبقة بعيدة عنه، لكنه يتعاون مع المخابرات اللبنانية فيما يخص أمن الوطن.

○ كما أنه شخصية فاقدة لأي نوع من الإنسانية؟

● صحيح. هو المرابي المجرم فقد حاولت بيعه من مكتبتي مسرحية «تاجر البندقية» طبعة أولى لشكسبير. وقد أخبرته أن شخصية شايلوك في تاجر البندقية تشبهه كثيراً. شايلوك وعمران يبيعان والدتيهما لأجل المال. في حين أن شايلوك الحقيقي قطع بعضاً من جسد أحدهم استردادا لدين.

○ برأيك هل برّد المسلسل العنصرية اللبنانية أم زادها ضد السوريين؟

● برأيي أنه بردّها لأنه وضع الإصبع على الجرح. بطريقة معالجة المواضيع كانت على درجة عالية من المسؤولية. وكان يمكن لمخرج آخر أن يقدم المسلسل نفسه ويؤدي لإشكاليات.

○ وماذا في جعبة طارق تميم بعد هذا المسلسل؟

● ابتعدت عن التلفزيون لأني بت أرفض الكوميديا والاستكشات من خلال الشاشة الصغيرة. أبحث من خلال الشاشة الصغيرة عن حضور درامي، عندما أجده ويقنعني فأنا حاضر. وأرحب بالكوميديا الهادفة من خلال المسرح، وهذا ما سجّلته في أكثر من حضور العام الماضي. لن أكون على شاشة التلفزيون في دور أقل من جميل. والدور بالنسبة لي ليس حجماً بقدر ما هو أثر وتأثير.

أسرار «بيروت الستينات» يسردها معرض في المتحف العربي للفن في قطر ويروي أوجاع وأفراح سويسرا الشرق

الدوحة-«القدس العربي»: سليمان حاج إبراهيم

يكشف معرض بيروت الستينات الذي يحتضنه المتحف العربي للفن الحديث، في العاصمة القطرية الدوحة، من خلال نحو 230 عملاً فنيًا و300 مادة أرشيفية تم جلبها من حوالي 40 مجموعة مقتنيات من حول العالم، أسرار المدينة النابضة بالحياة في حالاتها المختلفة، وبغوص في أعماقها وروحها التي هواها كثيرون. يروي المعرض الذي تحتفي به قطر، قصصاً للزائر الشغوف بفهم بيروت، ليلامس تفاصيل حياة ضجت بأحداث مترابطة من تاريخ المنطقة، كانت المدينة حلقة وصل، مع تفاصيل وهموم الإنسان العربي في تلك الفترة المميزة من تاريخ المنطقة. خلال جولة «القدس العربي» في المعرض رفقة مسؤولين ومشرفين من متحف، المؤسسة التي أصبحت خلال سنوات مرجعاً في المجال، تخبرنا كلثم الكواري رئيسة قسم مرشدي متاحف بالوكالة، أن المجموعة الفنية لمتحف، أكبر مجموعة للفن الحديث والمعاصر في المنطقة، والوحيدة من نوعها في العالم، هي شراكة مع الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثاني الذي يملك مجموعة أوّلية من هذه الأعمال. وخلال الجولة اطلعنا على أعمال مميزة من مجموعة الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثاني، وهو فنان قطري، وجامع مقتنيات، وباحث، تحوي مجموعته آلاف القطع الفنّية التي تمّ جمعها على مدى أكثر من 25 عاماً، وهي في تزايد مستمرّ. ويفوق عددها اليوم 9.000 عمل فني من العالم العربي وأقاليم أخرى مرتبطة تاريخيًا بالجزيرة العربية مثل إيران، وتركيا والهند. وكانت ظاهرة وبارزة اللوحات والأعمال الفنية التي تكشف أسرار بيروت الستينات وتروي قصصها. ويُسلط المعرض الضوء على فصل رائع من تاريخ بيروت الحديث في الفترة ما بين 1958 و1978. تبرز الأعمال التي قسمت في المعرض لأقسام خمسة، عقودا طويلة من تاريخ بيروت التي اعتبرت منارة العالم العربي وفضاء حرياته وإبداعه ومختبر ثقافاته. والزائر يشعر بوجود المفكرين والروائيين والشعراء والمسرحيين والفنانين التشكيليين والكتاب والصحافيين العرب، وأصواتهم تصدح في أحياء ومقاهي وبيوت، أوتهم وسمعت قصصهم ومناجاتهم، وآمالهم وأحلامهم وخيباتهم أيضا. من هنا مر كثيرون، شعار يبرز همساً من اللوحات والأعمال الفنية التي تشي لزائر معرض «بيروت الستينات» الذي يحتضنه «متحف: المتحف العربي للفن الحديث» عشرات الكتاب والمفكرين الفلسطينيين والمصريين والسوريين والعراقيين، وتوثق رحلتهم في بيروت التي كانت بتنوعها ورحابتها رئة العالم العربي وبقعة ضوئه، وملجأ أولئك الهاربين من اضطهاد أنظمتهم وقمعها. اكتسبت بيروت فرادتها مدينة منتجة للرؤى والأفكار والتصورات الحداثية، لتمتد ارتداداتها الثقافية إلى خارج حدود لبنان، وهو ما كانت توحي به الأعمال الفنية المعروضة، التي ركزت على دور بيروت المهم في إبراز رؤية جديدة للحداثة من خلال فن انخرط في السياسة وقتما كان الأمل موجوداً في التغيير. ولا يغفل المعرض عن الروابط المتشابكة بين الماضي ونضالات بيروت الحالية، والتي تندلع في نهايتها الحرب الأهلية اللبنانية عام 1975. يتتبع المعرض التشابك المعقد للفن والثقافة داخل التناقضات المتباينة عبر المنطقة لتلك الفترة العصيبة. واعتبرت الشيخة المياسة بنت حمد بن خليفة آل ثاني، رئيسة مجلس أمناء متاحف قطر: أنB إحدى أهم أدوار الفن تتمثل في استرجاع ذكرى أو تخيل مكان لم يعد موجودًا، وتتمثل إحدى أهم الأدوار العديدة لمتاحف الفن، في إنشاء هذا المكان من جديد، حتى لو كان فقط بشكل مؤقت، كي يستطيع من تركوه أو ابتعدوا عنه الوقوف لوهلة وتأمله». وتعتبر المسؤولة القطرية المشرفة على المتاحف في الدولة، وتساهم مع فريقها في تحويل الدوحة عاصمة عالمية في المجال، أن «متحف: المتحف العربي للفن الحديث خير مثال لهذا المكان، فمجموعاته ومعارضه وبرامجه تضم رؤى الفنانين وأصوات المفكرين من العالم العربي، والذين عانى الكثير منهم شخصيًا من آلام النزوح والتهجير». وتستطرد الشيخة المياسة أن «معرض بيروت الستينات: العصر الذهبي يجمع هذه العناصر معًا». الشيخة المياسة التي تتابع شخصياً أنشطة الهيئات التي تشرف عليها، اعتبرت خلال جولتها في المعرض أن بيروت الستينات «هو باقة مميزة ومؤثرة ومدروسة من الأعمال الفنية والوثائق، يعود العديد منها لفنانين تُعرض أعمالهم في مجموعات متحف، تصف مكانًا كان مذهلاً ومضطربًا، وبرغم ضياعه وتدميره، لا يمكننا نسيان بيروت المزدهرة ذات الطابع العالمي في الفترة من 1958 حتى 1975.

جولة في دهاليز بيروت ومحطات المدينة

«تقودنا الخبيرة القطرية كلثم الكواري والمرشدة في رحلتنا، لدهاليز بيروت، التي نراها من خلال أقسام المعرض الخمسة التي تروي جوانب متعددة من حياة سكانها. البداية من مرفأ بيروت، واستشفينا المكان وعلاقة الناس به، ولوحة نساء يسبحن، وتفاصيل من سنة 1958 عن دور واشنطن في السياسة اللبنانيّة في بداية الحرب الأهليّة، والتحولات التي شهدها البلد، انطلاقاً من شريان حياته وهو الميناء مصدر دخل الكثيرين. المتأمل في اللوحات يسترجع قصصاً كثيرة قيلت عن المكان وروايات لبنانية تحدثت عن الميناء أو أسهبت في تفاصيل عنه مثل دروز بلغراد: حكاية حنا يعقوب لربيع جابر التي فازت بجائزة البوكر، التي تضمنت تفاصيل عن المرفأ، وكأن كل شيء في بيروت يبدأ من المكان ومنه ينطلق. ويعتقد كثيرون أن مصير أهل بيروت وساكنتها يرتبط أساساً بالبحر، ويشكل ذاكرتهم وهويتهم التي لمسناها في زوايا المعرض، فنفس المكان ينقل الأحزان مقابل الأفراح، الغنى والفقر، الرفاه والقحط، وكل هذا يربطه خيط واحد يبرز شخصية الإنسان ومعركة البناء مهما كان الأمر والألم واشتدت الحاجة.

مرفأ بيروت عاكس انفعالات اللبنانيين

وبين لحظة التشظي في مرفأ بيروت في الخمسينات، وصولاً لانفجارات المرفأ الأخيرة، وما سبته، تروي الأعمال العديد من التفاصيل وتكشف للزائر تفاصيل يشكلها في ذهنه وفق نظرته وتبعاً لرؤيته ومن الزاوية التي يشاهد بها العمل، مع انعكاس ذلك على رصيده المعرفي. تطوف بنا المشرفة والمرشدة الفنية كلثم أرجاء القسم الثاني من معرض بيروت لتخبرنا عن علاقة الجسد التي تضمنتها الأعمال المنتشرة، وتعبر عن تغيرات القيم الاجتماعية، وكيف أثرت على أعمال الفنانين، من مختلف المدارس الفنية وإن طبع عليها الجانب السريالي، وتركيزها على أعضاء الجسد. وترى كلثم الكواري أن القسم الثالث من بيروت الستينات يبرز تكوين الشكل ونلمسه من أعمال مختلفة تجسد هذا العنصر، حتى نصل للقسم الرابع وعنوانه الرئيسي السياسة، العامل المحدد والمؤثر في حياة اللبنانيين من مختلف الفئات العمرية، سواء بعنوان فرعي عن الوحش والطفل، ولوحة عن جنازة جمال عبد الناصر الحاضر في لبنان بإرثه وتأثيره ونفوذه والجدل المثار حوله بين مختلف الفاعلين السياسيين من أنصاره وأعدائه على حد سواء. قسم الحرب، هو مرحلة مثيرة يقف عندها الزائر لمعرض بيروت في بعدها وتأثيرها واستقطابها وتشكيلها ملامح بيروت وهدمها أيضاً لجوانب من روحها وتأثيرها على أجيال مختلفة. طائر الفينيق الحاضر في المعرض يبرز أيضاً تفاصيل من مشهد المدينة ويحمل أبعاداً رمزية لما شكلته في ذاكرة الكثيرين، وحتى تشي للزائر من أسرار مدينة أسرت الكثيرين وسحبتهم لدوامتها واحتفظت بالبعض، ورفضت أن يغادروها مثلما لفظت خارج دائرتها آخرين.

مبادرة قطر تبدع والاحتفاء بالتنوع

ومعرض «بيروت الستينات: العصر الذهبي» بتنظيم من متحف ومتاحف قطر ومبادرة «قطر تُبدع» المبادرة الثقافية الوطنية التي تستمر فعالياتها على مدار العام والتي ترعى وتروج للأنشطة الثقافية في قطر وتحتفي بتنوعها، وتنقل المهتمين بالمجال الفني في رحلات عبر ذاكرة مثقلة بأحداث وهيمنة عليها تطورات فرضت نفسها. معرض «بيروت الستينات: العصر الذهبي» يأتي بتقييم فني من سام بردويل وتل فيلراث مديرا «هامبرغر بانهوف» المتحف الوطني للفن المعاصر في مدينة برلين – والقيم الفني المساعد ناتاشا غاسباريان. وكان أول عرض لمعرض بيروت الستينات: العصر الذهبي في صالات عرض غروبيوس باو في برلين، وتم تقديمه باعتباره قسمًا رئيسيًا من بينالي ليون السادس عشر للفن المعاصر في فرنسا. ويقدم معرض بيروت الستينات: العصر الذهبي أعمال مجموعة متنوعة من الفنانين المشهورين عالميًا في المشهد الفني مثل إيتل عدنان

كنوز الأسرة الملكية في متاحف القاهرة والإسكندرية

كمال القاضي

تنتهي مراحل الحُكم التاريخية بتفاصيلها السياسية والاجتماعية والإنسانية وتنطوي صفحة الانتصارات والانكسارات، ولا يتبقى من مظاهر الترف والنعيم سوى الأثر فقط مُجسداً في بعض البنايات والمُقتنيات والصور والكنوز التي دخل أصحابها التاريخ من أوسع الأبواب فظلت أشياؤهم الثمينة علامات واضحة تشهد بما يدل عليهم وتثير الفضول لمعرفة المزيد حول كنيتهم وثقافتهم وحياتهم ومستوى رفاهيتهم.

من بين الصروح الأثرية المهمة للتاريخ الملكي متحف المجوهرات الملكية الكائن في مدينة الإسكندرية والذي تم ترميمه قبل عدة سنوات ليكون لائقًا بما يحويه من مئات القطع الذهبية وبعض مُقتنيات أسرة محمد علي باشا، حيث يبلغ عدد الأقراط ومجموعة المصنوعات الذهبية والماسية نحو 900 قطعة من أندر المجوهرات وأغلاها ثمناً وقيمة.

وحسب الإحصائيات التي أقرتها لجان الجرد المختصة وصل عدد الصناديق التي تحوي المجوهرات 26 صندوقاً من بينها أربعة صناديق مملوءة بالمُستندات والأوراق المهمة، وكلها تم فرزها والكشف عليها وتقنينها إيذاناً بعرضها للجمهور بمتحف الأسرة المالكة بالإسكندرية وتوزيع بعضها على بقية المتاحف الأخرى بالقاهرة، وفق طبيعة القطع وعصورها المُختلفة.

ويرجع تاريخ متحف المجوهرات الملكية بالإسكندرية إلى عهد الأميرة فاطمة الزهراء صاحبة القصر الذي شُيد عام 1919 على الطراز الأوروبي لتُقيم فيه الأميرة عام 1923 وتظل فيه إلى عام 1952 تاريخ قيام ثورة يوليو، حيث لم تبرحه ولم تُجبر على إخلائه وإنما بقيت كما هي مقيمة به وحارسة على جميع محتوياته حتى وفاتها عام 1983 ليتحول بعد ذلك إلى استراحة خاصة برئاسة الجمهورية.

وفي عام 1986 صدر قرار جمهوري بتحويل قصر الأميرة فاطمة الزهراء إلى متحف لمجوهرات أسرة محمد علي، وبالفعل تحول القصر المنيف المقسم إلى جناحين والمُزينة جدرانه بلوحات فنية تاريخية لمتحف أثري وبقي صرحاً معمارياً دالاً على براعة المهندس الإيطالي أنطونيو لا شباك الذي صممه وأشرف على تشييده.

ويحوي القصر الأثري المذكور بجانب القطع الذهبية والمجوهرات، عدداً من الأواني ومقلمة ملكية مصنوعة من حجر الزورد النادر مثبت عليها من الخلف نموذج مُصغر للتصميم الهندسي لكوبري قصر النيل الشهير بالقاهرة، والمقلمة مصنوعة من الذهب الخالص، ومحفوظ معها في دواليب القصر والفاتريتات الزجاجية الخاصة عُلبة نشوق ذهبية أهديت للملك فؤاد الأول في واحدة من المناسبات التاريخية المهمة.

كما يوجد في المتحف أيضاً ضمن المُقتنيات الملكية الخاصة تاج من البلاتين المُرصع بالماس وحبات اللؤلؤ كانت تتزين به الأميرة شويكار الزوجة الأولى للملك فؤاد، ويُضاف إلى المقتنيات طاقم لأواني الشاي مصنوع من الذهب ومكون من 13 قطعة محفور عليها الحروف الأولى من اسمي الملك فاروق والملكة فريدة.

وكذلك يضم المتحف طاقما من الحُلي مكون من عُقد وقرط وثلاثة أساور وعدد 2 من أثمن الخواتم كانت ملكاً للملكة ناريمان، الزوجة الثانية للملك فاروق. ومن بين المجوهرات المحفوظة في المتحف تاج الملكة فريدة المصنوع من البلاتين مُرصع بالماس وكؤوس من الذهب، بالإضافة إلى عدد من الأساور والأقراط.

وتختلف كل هذه المُقتنيات الثمينة عن مجوهرات شقيقتي الملك فاروق، الأميرة فايزة والأميرة فوزية والتي تنحصر في عدد وفير من المصوغات والمشغولات الذهبية النادرة بالإضافة إلى أدوات الزينة والمكياج ومُقتنيات الملكة نازلي والدة الملك فاروق، فضلاً عن النياشين الخاصة بالأمير محمد علي توفيق والأمير إلهامي حسين والأدوات المكتبية الخاصة بالملك فؤاد، كما تم حصر جميع الأشياء الصغيرة الموجودة في القصر الملكي ذات القيمة الأثرية والتاريخية للأمير أحمد فؤاد ابن الملك فاروق وشطرنج من الذهب وغيره الكثير من أدوات التسلية والترفيه.

ومما سبق يُمكن الاستدلال على أن ما قامت ثورة يوليو بتأميمه من ثروات تخص الأسرة الملكية لم يتم فقدانه أو ضياعه أو الاستيلاء عليه كما زعم البعض، حيث كل الأشياء لا تزال محفوظة ومؤمن عليها وفق القواعد والتعليمات وبالنظم العلمية السليمة وهذا ينفي شبهة الاستيلاء والاستغلال الشخصي للثروات ويؤكد أن كل المُقتنيات لا تزال ملك الدولة المصرية ومودعة داخل خزائنها بشكل رسمي وتحت الإشراف الحكومي.

وهناك أيضاً متاحف أخرى لها ذات الأهمية الأثرية يُمكن التحدث عنها لاحقاً كمتحف المركبات الملكية الذي تم تطويره والعناية به بوصفه ضمن المزارات السياحية المُرتبطة بتاريخ الأسرة العلوية وملامح عصورها المختلفة.

القدس العربي
الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير:
سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
Volume 35 - Issue 10977 Sunday 7 May 2023
السنة الخامسة والثلاثون العدد 10977 الأحد 7 أيار (مايو) 2023 – 17 شوال 1444 هـ

عرابته بريجيت ماكرون: أول باندا ولد بفرنسا سينقل إلى الصين

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

سينقل Yuan Meng أول باندا صغير ولد في فرنسا آب/اغسطس عام 2017 إلى الصين، في شهر تموز/يوليو المقبل، على أن يستقر هناك هذا الصيف في مركز أبحاث الباندا العملاقة والتكاثر في تشنغدو في الصين «ليتكاثر مع أنثى لا علاقة لها بها» وفق ما أعلنت عن ذلك إدارة حديقة الحيوانات في Saint-Aignan الفرنسية.

قبل شهر من رحيله، سيتم وضع Yuan Meng والذي تعتبر بريجيت ماكرون، زوجة الرئيس الفرنسي، عرابة له، في الحجر الصحي. على أن يتوجه في الرابع من تموز/يوليو المقبل إلى مطار فرانكفورت في ألمانيا في شاحنة مكيفة. سيرافقه مدرب وطبيب بيطري حتى محطته الأخيرة في تشنغدو. وكان من المفترض في الأصل أن ينضم Yuan Meng إلى الصين سن 3 أو 4 أعوام، ولكن تم تأجيل رحلته بسبب جائحة كوفيد تسعة عشر.

ويقول، رودولف ديلور، مدير حديقة الحيوانات في Saint-Aignan الفرنسية حيث يوجد الباندا: «هناك الكثير من المشاعر. بالنسبة لنا، إنه حدث، لكنه استمرار منطقي. ما يهمنا هو الحفاظ على الأنواع».

للتذكير، فإن أسلاف Yuan Meng: Yuan Zi و Huan، وهما معاران منذ عام 2012 من قبل السلطات الصينية، تم تمديد إقامتهما مؤخرًا حتى عام 2027 وخارج الصين، فإن حوالي عشرين حديقة حيوانات فقط تمتلك حيوانات من نوع باندا، التي تعد رمزاً للصداقات الدبلوماسية للصين.

ومنذ ولادته ، كان الباندا Yuan Meng في قلب العلاقات الدبلوماسية بين باريس وبكين. تمت تسميته في حديقة الحيوانات «بوفال» بحضور بريجيت ماكرون وشخصيات صينية.

وتعد حيوانات الباندا العملاقة مدرجة ضمن قائمة الاتحاد الدولي للحفاظ على الطبيعة للأنواع المهددة بالانقراض، وذلك بسبب الاحترار العالمي الذي يهدد موائلها/بيئتها على وجه الخصوص. وتم تصنيف الباندا العملاقة في البداية على أنها من الأنواع «المهددة بالانقراض» وقد انضمت منذ عام2016 إلى حالة الأنواع «المعرضة للخطر» ولا سيما بفضل جهود الحماية التي تبذلها بكين.

بخيوط المكرمية أكاديمي تركي يغزل لوحات فنية مبهرة

تعتبر الخيوط والحبال واحدة من المواد التي تستخدم في الأعمال الفنية اليدوية، وهو ما يعتمد عليه أكاديمي تركي في تقديم أجمل الفنون اليدوية بغزل خيوط المكرمية لتشكيل أجمل اللوحات الفنية بعقد الخيوط مع بعضها لتشكيل رسمته.

ويعتبر فن المكرمية عملا يدويا يتم من خلال عقد الخيوط أو الحبال معا لإنشاء أنماط وأشكال مختلفة، ويعود أصل الفن إلى الحضارات العربية والإسلامية والذي انتشر لاحقا في الحضارات الآسيوية والأوروبية.

عميد كلية الفنون الجميلة في جامعة بيكنت بإسطنبول، حمدي أونال، يتبع أسلوبا جميلا في غزل خيوط المكرمية لرسم مختلف الأشكال والأنماط من الجداريات الجميلة، لتبدو وكأنها مرسومة على لوحة ورقية.

يصنع البروفيسور أونال لوحات فنية أبهرت زوار معرض أعماله الذي أقامه بولاية طرابزون شمال شرقي البلاد، وخصوصا تلك اللوحات التي تظهر شخصيات تعزف على آلات موسيقية.

وقال أونال إنه يقيم منذ 20 عاما معارضا لتصميم السجاد وإنتاجه في داخل تركيا وخارجها؛ إلا أنه قرر منذ فترة دمج المواد النسيجية والتعبيرات التصويرية معا.

ولإبراز أهمية آلة العزف «هورون» المنتشرة في المناطق الشمالية لتركيا، قرر أونال رسم لوحه للآلة من خيوط المكرمية.

ولفت إلى أن تقنية عقد الخيوط مع بعضها تعود إلى عصر آشور وبابل، حيث استخدمت التقنية كعنصر زخرفي في الملابس الاحتفالية، ولا تزال تستخدم حتى اليوم لتعليق الأشياء عليها أو لأغراض التزيين والديكور.

وعن أعماله في المعرض، قال أونال إنه يحوي 11 عملا فينا، تختلف درجة صعوبة إنجاز كل لوحة بحسب العُقد والأشكال المتبعة في العمل.

وأضاف: «أنجز كل عمل في فترة تتراوح من 15 يوما إلى شهرين، وأستخدم خيوطا ملونة وغير ملونة لإظهار الشكل الذي أريد».

وأوضح البروفيسور أن أكثر ما أخذ من جهده ووقته، هي لوحة الشخصيات الخمس التي ترقص على أنغام آلة الهورون، لأن حركات واتجاهات وديناميكية الأشكال في اللوحة تختلف عن بعضها.

ووصف أونال عمله في رسم اللوحات الفنية قائلا: «عادة ما يستخدم الرسام فرشاته وأقلامه وألوانه الزيتية في رسم لوحاته، إلا أنني لا أعتمد على أي واحدة منها، وإنما أستعمل يدي وأربط العُقد بين الخيوط لأحصل على الشكل والرسم الذي أريد».

ومؤكدا على ضرورة مزج العاطفة بالأعمال الفنية، أوضح أونال أن كل عقدة من عقد الخيوط لديها هدف لإظهار حركة أو شكل معين.

وتابع: «هناك عنصران أساسيان في طريقة عقد الخيوط، أحدهما هو الغزل المسطح الذي يعتمد على التفاف الخيوط من الداخل، والآخر هو الحياكة التي تعطي التأثير والبنية الحلزونية من الخارج». (الأناضول)

مهرجان كان يعرض آخر فيلم للمخرج الراحل جان لوك غودار

(أ ف ب) – يُعرض آخر فيلم للمخرج الفرنسي السويسري الراحل جان لوك غودار ضمن فئة «كلاسيكيات كان» التي أعلن المهرجان أمس برنامجها وقائمة الأعمال المدرجة ضمن فئة «سينما الشاطئ»، قبل 11 يوماً من افتتاحه.

وتشهد الدورة السادسة والسبعون للمهرجان بعد ثمانية أشهر من رحيل غودار العرض الأول عالمياً لفيلمه القصير «درول دو غير» الذي يقع في 20 دقيقة، ويُعدّ آخر عمل للمخرج الكبير قبل وفاته.

ووصف المهرجان في بيان فيلم «درول دو غير» بأنه «آخر حركة سينمائية» لغودار.

ويشمل برنامج «كلاسيكيات كان» أيضاً فيلماً وثائقياً عن وضع السينما يحمل عنوان «شامبر 999» للبنى بلايوست، صُوِّر العام الفائت خلال الدورة الخامسة والسبعين للمهرجان، ويتضمن مقابلات مع نحو 30 من أبرز شخصيات الفن السابع كانوا موجودين في المهرجان كان، على غرار المخرجين الأمريكي جيمس غراي والفرنسي أوليفييه أسياس والإيراني أصغر فرهادي.

ومن أبرز الأعمال التي أدرجت ضمن قسم «سينما الشاطئ» فيلم بعنوان «فلو» عن سيرة الملاّحة الفرنسية فلورانس أرتو التي توفيت عام 2015.

وردّ القضاء الفرنسي في منتصف نيسان/أبريل الفائت دعوى رفعتها ابنه أرتو بصفة العجلة لوقف عرض الفيلم لخشيتها من الصورة التي سيعطيها عن والدتها، مطالبة بنسخة من من السيناريو. (أ ف ب)